وزارة الإرشاد القومى
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة
٦٩٣

ساستنا تجاه النزاع الإسرائيلى - العربى

بقلم
ب. وايزمان
و
ر. ف. تيسيدر

P. WAJSMAN et R.F. TEISSEDRE

NOS POLITICIENS
face au conflit
israélo-arabe

déclarations de

RENE ANDRIEU • MAURICE CLAVEL • JACQUES DUHAMEL • P.E. GILBERT • LEO HAMON • PIERRE MENDES FRANCE • GUY MOLLET • EDGARD PISANI • ROBERT POUJADE • MICHEL ROCARD • DAVID ROUSSET • JACQUES SOUSTELLE • LOUIS TERRENOIRE • J.L. TIXIER-VIGNANCOUR • ANDRE MALRAUX

FAYARD

وزارة الإرشـاد القومى
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة
رقم ٦٩١

ساستنا

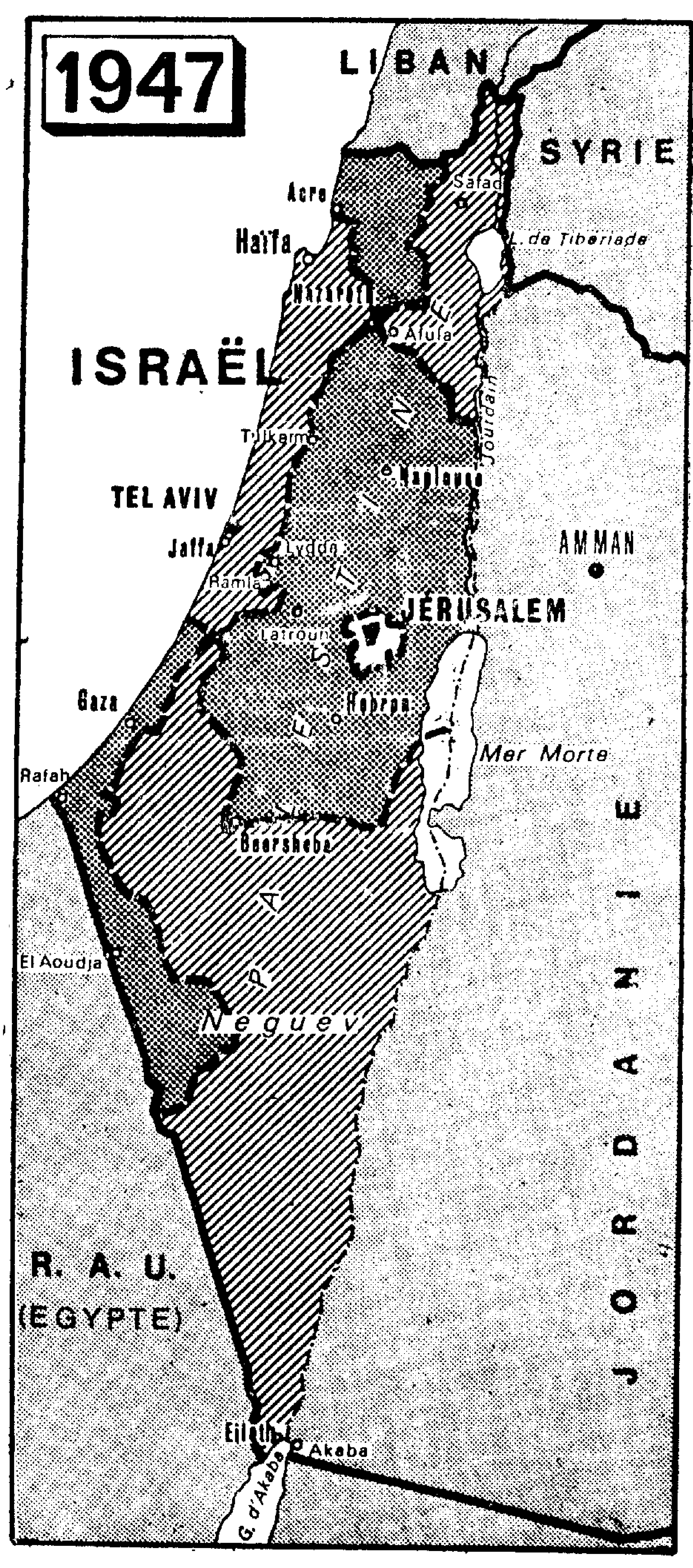
تجاه النزاع الإسرائيلى - العربى

بقلم : ب. وايزمان و ر.ف. تيسيدر

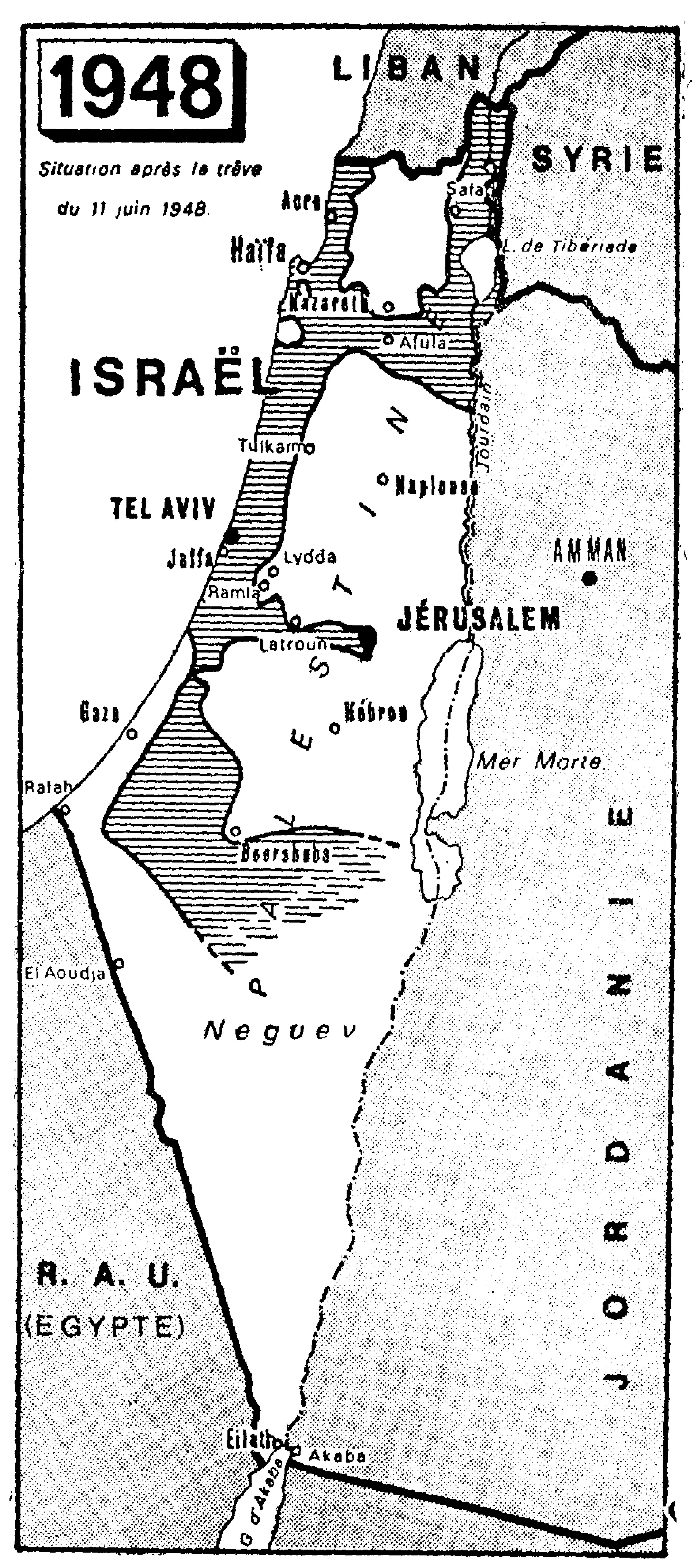
ترجمة : محمود حسن حلمى

تصريحات :

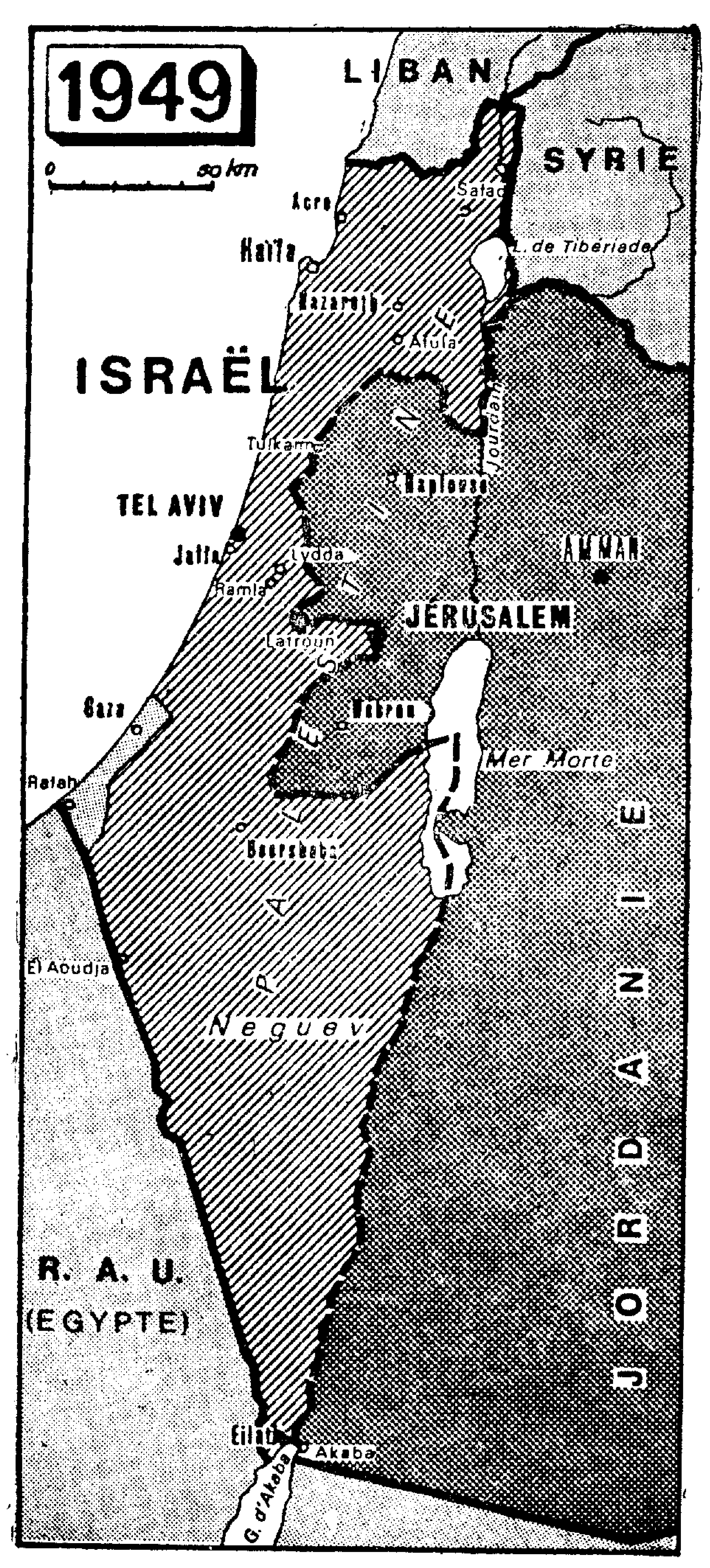
رينيه اندريو ـ موريس كلافيل ـ جاك دوهاميل ـ ب.أ. جيلبير
ليوهامون ـ بيير منديس فرانس ـ جى موليه ـ ادجار بيسانى ـ
روبير بوجاد ـ ميشيل روكار ـ دافيد روسية ـ جاك سوستيل ـ
لوى تير ـ نوار ـ ج.ل. تيكسييه ـ فينانكور ـ اندريه مالرو .



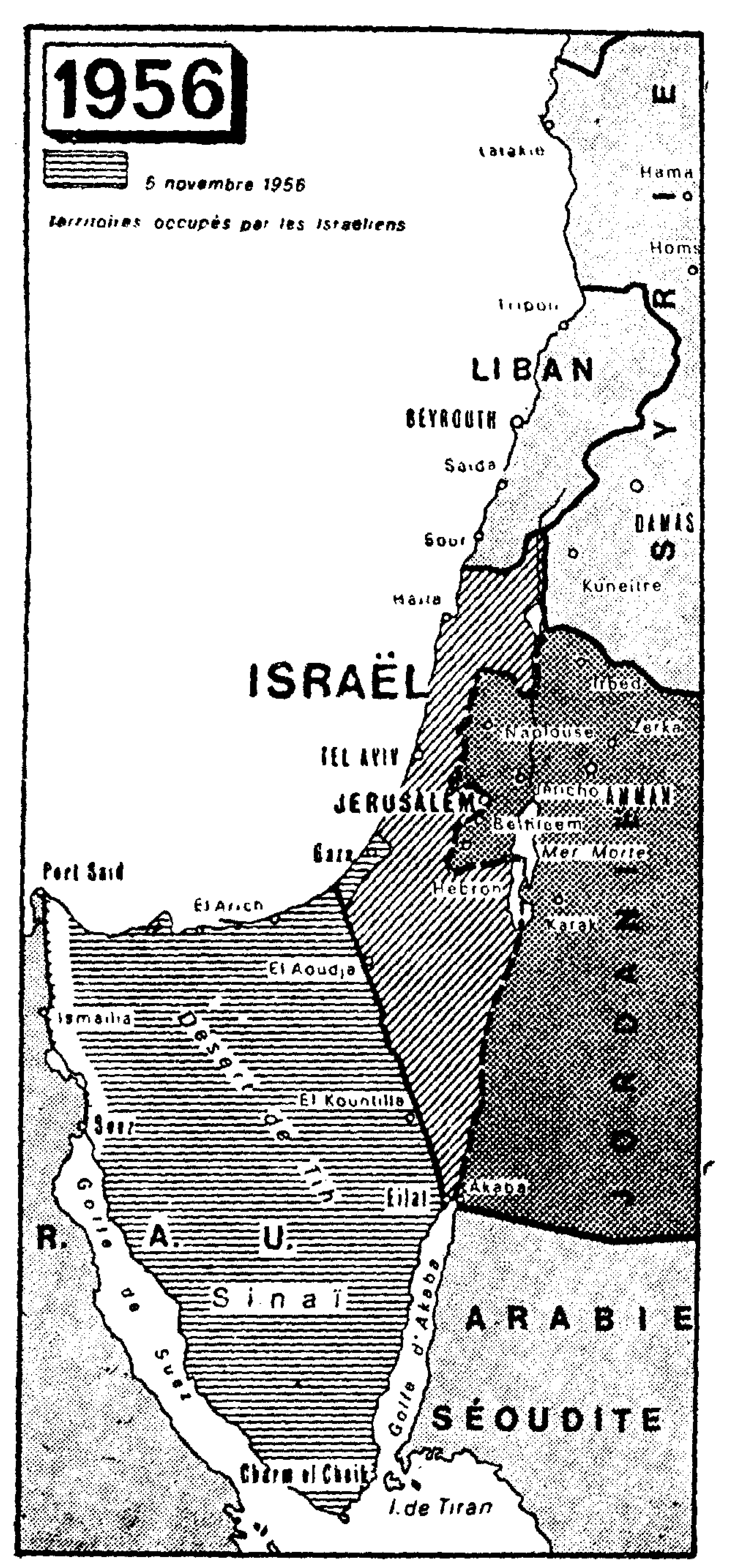
خطة التقسيم التى تم التصويت عليهـا فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ فى الامم المتحدة (الدولة العربية الفلسطينيـة تظهر فى الخريطـة باللون الرمادى الغامق)



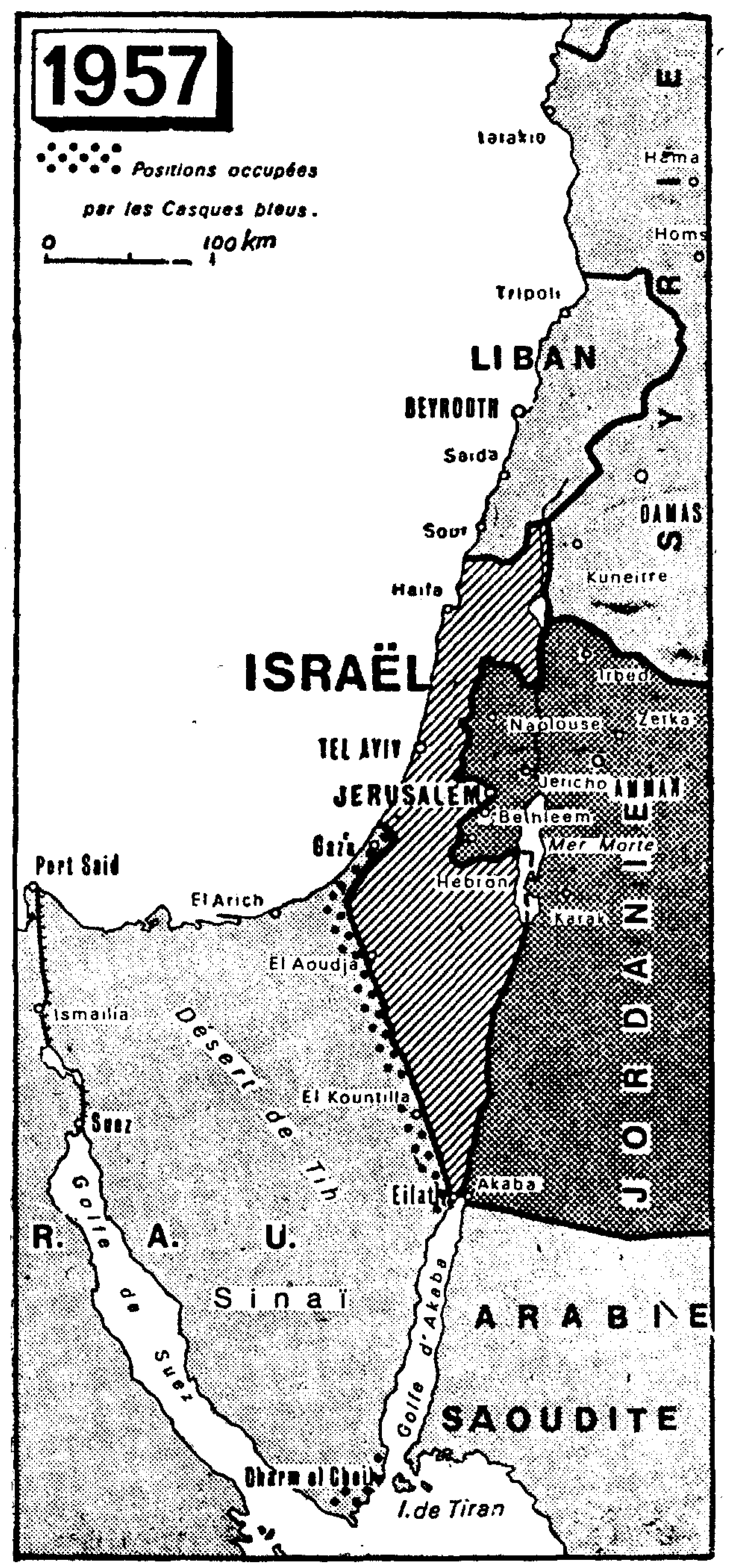
الوضع بعدهدنة ١١ يونيه ١٩٤٨ والتى طبعت بنـاء على طلب مجلس الامن (الاراضى التى يحتلها العرب تظهـر باللون الابيض فى الخريطة)



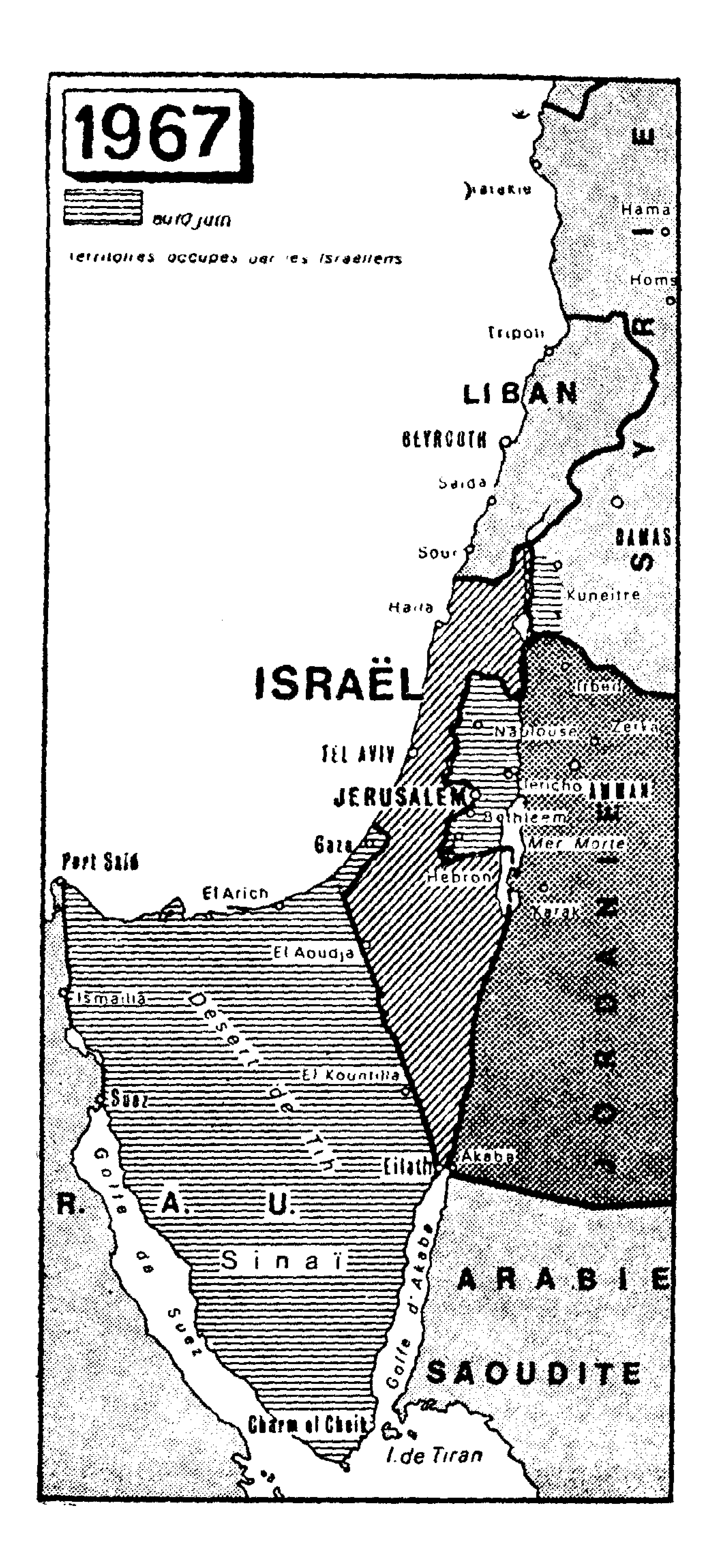
الخطوط التى تحـدد الحدود بعداتفاقيات الهدنة فى عام ١٩٤٩ — تتقاسم اسرائيل والاردن الاراضى التى كانت من المقرر أن تؤول للدولة العربية الفلسطينية ، باستثناء غزة التى عهد بها للادارة المصرية



في أعقاب الهجوم الاسرائيلي على سيناء في خريف عام ١٩٥٦ ٠ القوات اليهودية لم تبلغ شاطىء قناة السويس ، ولكنها تحتل ، للمرة الأولى ، كل أراضي سيناء، بما فيها شرم الشيخ وغزة



انسحبت القوات الاسرائيلية فى بداية شـــهر مارس ١٩٥٧ من جميع الاراضى المصرية ومن غزة، تاركة المكان لقـوات الطـوارىء الدوليـة ، عادت الدولة اليهودية الى حـــدود عام ١٩٤٩



الوضع فى الشرق الاوسط فى أعقاب الانتصارات الاسرائيليـة

الشخصيات الواردة فى الكتاب
كما تبدو فى نظر المؤلفين

رينيه اندريو ــ رئيس تحرير صحيفة « لومانيتيه » وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى وهو ممثل بارز للبيروقراطية الستالينية كما يقول شارل بيرج ، ويمارس لغة جميلة مزدهرة وزاخرة بالأقوال المقتبسة . وهو الزعيم الشيوعى الذى يتسم بسرعة الغضب وشدة الاخلاص فى نفس الوقت .

شارل بيرج ــ السكرتير العام لتحالف الشباب من أجل الاشتراكية ، وقد ظهر فى شهر مايو ١٩٦٨ كزعيم للاتحاد الأوروبى الثورى ، وهو منظمة تروتسكية ثم حلها كغيرها من المنظمات المماثلة بمرسوم صدر فى يونية ١٩٦٨ ، وهو الآن الممثل الوحيد الحقيقى للتروتسكية النقية الصلبة التى تتنبأ بالثورة وتفكر فيها وتريدها .

موريس كلافيل ــ صحفى ، وكاتب ومناظر ، قلبه على طرف قلمه، ديجولى ، وموضع ثقة الجنرال ديجول الى أن وقع حادث بن بركة ، وعندئذ « تحول الى جانب العدو » وهو ممزق القلب . وقد ظل معبود قراء مجلة « نوفيل اوبزرفاتير » ويتحدث عن مايو ١٩٦٨ « بجنان » . انه رجل تقى .

جاك دوهاميل ــ نائب اقليم جورا ، ورئيس حركة « التقدم والديمقراطية الحديثة » عمره أربعة وأربعون عاما . انتخب لأول مرة فى الجمعية الوطنية فى عام ١٩٦٢ وكان يعمل مديرا لمكتب اوجار فور رئيس الوزراء فى عهد الجمهورية الرابعة ومنذ أن استطاعت الأغلبية فى الجمعية الوطنية الاستغناء عن الأربعين صوتا التى تؤيده فقد بدأ ، وهو الرجل الذى ينتمى للوسط ، ينحاز للمعارضة شيئا فشيئا ، وفى السباق الصعب نحو منصب رئاسة الجمهورية ، يبدو أن

بومبيدو يتفوق عليه كثيرا ، والواقع أن بومبيدو قد بدأ السباق قبله .

جيلبير ـ انه طفل اسرائيل المدلل ، وقد عمل سفيرا بها منذ عام ١٩٥٢ ، حتى عام ١٩٥٩ وهو مسئول عن الود الذى أظهرته الدولة العبرية لمدة طويلة لبلادنا ، والواقع أنه كان دبلوماسيا فى عهد كانت فرنسا تلتزم فيه بتعهداتها .

ميشيل حبيب ولونكل ـ نائب عن باريس وعضو فى اتحاد الدفاع عن الجمهورية ، عمره سبعة وخمسون سنة وهو نائب منذ عام ١٩٥٨، وقد بدأ حياته السياسية فى حركة التجمع الشعبى الفرنسى ، واحتل منصب وكيل وزارة الخارجية ، وظل منذ ذلك الوقت بعيدا عن الحكم ، وهو قانع الآن برئاسة جماعة فرنسا لبنان فى الجمعية الوطنية والواقع ان التقارب الفرنسى اللبنانى هو موضع اهتمام فى الوقت الحاضر .

ليوهامون ـ نائب عن أقليم اسون ، وعضو فى اتحاد الدفاع عن الجمهورية ، عمره واحد وستون عاما .

كان يعمل مستشارا للجمهورية من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٨ ، أصبح نائبا منذ عام ١٩٦٨ ، وكان من رجال المقاومة ذوى الجرأة ، كان عضوا فى الحركة الجمهورية الشعبية حتى عام ١٩٥٤ ، ثم أصبح من مؤسسى الاتحاد الديموقراطى للعمل ، وقد حصل على درجة الاجريجاسيون فى القانون منذ بعض الوقت وهو يعانى من مشكلتين ـ فهو ديجولى وفى نفس الوقت يسارى ، وهو ديجولى وفى نفس الوقت متعاطف مع اسرائيل ، والنتيجة ـ تمزق .

اندريه مالرو ـ وزير ، عمره سبعة وستون عاما ، الطريق الذى سار فيه منذ اندلاع الثورة الصينية حتى أصبح وزيرا للثقافة ، عاصر أكثر من ثورة ثقافية ، وأكثر من تحول سياسى .

وظيفته — الضمان العبقرى والملهم لنظام فى حاجة اليه •

بيير منديس فرانس — رئيس وزراء سابق ، عمره اثنان وستون عاما ، وهو معروف بحيث ليس ثمة مايدعو الى التحدث عن تاريخه السياسى ، وهو رجل شريف ، رجل دولة لا يمكن التكلم عنه بسوء ، وهو رجل وحيد ، والأرجح أنه سيظل وحيـدا فى المطالبة بوضـع برنامج لليسار ، وهو لم يعد نائبـا منذ شهر مايو عام ١٩٦٨ ، وقد فقدت الجمعية الوطنية منذ ذلك لوقت أحد عناصرها النادرة ، ولم يعد يشترك فى الحياة السياسية ، وفرنسا تأسف على انها فقدت رجل دولة من هذا الطراز •

جى موليه — نائب رئيس وزراء سابق وسكرتير عام سابق للحزب الاشتراكى الفرنسى ، يبلغ من العمر ثلاثة وستين عاما •

تولى الحكم فى عام ١٩٥٦ لكى يعيد السلام الى الجزائر ، ولكنه واصل الحرب وقرر وهو السكرتير العام للشعبة الفرنسـية للعمال الدوليين ارسال حملة السويس ، وهو اشتراكى ، سـاهم فى اعادة الجنرال ديجول الى الحكم ، بل عمل أيضا معه كوزير دولة ويبدو أن جميع مواقفه ناجمة عن رغبته فى المحـافظة على سـلامة النظرية الاشتراكية التى دافع عنها قبله جوريز وبلوم • ويبدو أن مستقبله أصـبح وراءه ، ومع ذلك فهو لا يزال الرجل الواسـع النفوذ فى الحزب الاشتراكى الجديد •

جاستون مونرفيل — عضو بمجلس الشيوخ •

ظل رئيسا لمجلس الجمهورية حتى الغاء هذا المجلس فى عام ١٩٥٨ وظل رئيسا لمجلس الشيوخ حتى عام ١٩٦٨ ، وهو لم يرشح نفسه بعد ذلك لكى لا يدفن بدون شك ، هذه الهيئة الموقرة ، كمـا فعل بسـابقتها ، له « هواية » هى الـدفاع عن المؤسسـات التى كان لا يريدها •

كريستيان بينو ــ كان على رأس وزارة الخارجية الفرنسية فى حكومة موليه فى عام ١٩٥٦ أثناء حملة السويس ، وهو رجل متعدد المواهب ، ومتحفظ •

أدجار بيسانى ــ نائب سابق ، وزير سابق • يبلغ من العمر خمسين عاما • ظل مدة خمس سنوات وزيرا فى حكومة الجنرال ديجول والشيء المدهش أنه هو الذى استقال على غير ماجرت عليه العادة ، عندما أصبح نائبا ، أعطى صوته لقرار بلوم الحكومة فى شهر مايو ١٩٦٨ ، وبهذا أعطى درسا فى الأخلاق السياسية لجمعية وطنية تغط فى النوم ، لا تعى خطورة الأحداث ولا تفعل أكثر من الخضوع لها ، وهو رجل ينظر الى بعيد ، ومع أنه الآن بعيد عن السياسة « فى الاحتياطى » ، فلا شك أنه سيواصل السير الى مدى بعيد •

روبير بوجاد ــ نائب منطقة السكوت دور عن اتحاد الدفاع عن الجمهورية ، سكرتير عام اتحاد الدفاع عن الجمهورية • يبلغ من العمر ٤١ سنة •

انتخب لأول مرة فى الجمعية الوطنية فى عام ١٩٦٧ ، ثم أعيد انتخابه فى عام ١٩٦٨ ، وهو كمدرس تاريخ يشغل وقت فراغه فى ممارسة نبوغه التربوى على جماعة من صفوة أعضاء اتحاد الدفاع عن الجمهورية يبلغ عددها نحو ٣٠٠ شخص ومستقبله يكمن فى عهد ما بعد ديجول ، مع جورج بومبيدو ، الذى يبدو أنه من أنصاره •

ميشيل روكار ــ سكرتير عام الحزب الاشتراكى الموحد •

مفتش للمالية مثل كثيرين غيره ، ان هذا الزعيم الذى يدير شئون الحزب الاشتراكى الموحد لم ينجح ، كما نجح فى الشئون المالية ، فى تضخيم صفوف حزبه القليل العدد للغاية •

دافيد روسيه ــ نائب عن اقليم ايزير وعضو فى اتحاد الدفاع عن الجمهورية ، عمره سبعة وخمسون عاما •

انتخب نائبا لأول مرة فى عام ١٩٥٨ •

صحفى لامع ، كان ذو اتجاهات تروتسكية حتى عام ١٩٤٧ ، ولا يزل لديه شيء منها ، مما يفسر دون شك عزلتـه وسط أغلبية تعتبر ماركسية معتدلة .

الكسندر سانجينيتى ـ نائب عن اقليم الحارون الأعلى ، عضـو اتحاد الدفاع عن الجمهورية ، رئيس لجنـة الدفاع الوطنى ، عمره ستة وخمسون عاما .

انتخب نائبـا فى الجمعيـة الوطنيـة فى عام ١٩٦٢ ، ثم سقط فى انتخابات عام ١٩٦٧ ، واعيـد انتخابه فى عام ١٩٦٨ ، وقد حصل فى الفترة بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ على كمية ضخمة من الأوسمة ، وعين فى بادىء الأمر عضوا فى حكومة اندريه فيليب فى عام ١٩٤٦ ثم تحول بسرعة نحو اليمين ، وانضم الى جان ـ بابتيست بياجى وجان لوى تيكسييه ـ فينانكور ، وعقب عام ١٩٥٨ تعاون مع روجيه فراى فى وزارة الداخلية واستحق لقب « السـيد المنـاهض لمنظمة الجيش السرية » ، وقد تولى وزارة المحاربين القدماء فى عهد الجنرال ديجول وهو بارع فى الجدل ، ويتميز بالتطرف .

جاك سـوستيل ـ خبير فى السلالات البشرية ، عمره خمسـة وستون عاما .

انضم الى المقاومة منذ الساعة الأولى ، كان سكرتيرا عاما سـابقا لحركة التجمع الشعبى الفرنسى ، كان هو مدير حركة ١٣ مايو ١٩٥٨، عمل وزيرا فى حكومة الجنرال ديجول ، أبعد وأصبح مغضوبا عليه لأنه كان من أنصار الجزائر فرنسية ، ظل يتجول مدة ست سنوات فى شبه سرية ، عاد الى فرنسا وبدأ جدله كتابة مع الجنرال ديجول .

لوى تيرنوار ـ نائب اقليم اورن ، عضـو اتحـاد الـدفاع عن الجمهورية ، عمره ستون عاما انتخب لأول مرة فى الجمعيتين الوطنيتين التـأسيسيتين ، ثم فى الجمعية الوطنيـة فى عام ١٩٤٦ ، ثم سقط فى الانتخابات مرتين ، وأعيد انتخابه فى عام ١٩٥٨ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٧ ،

١٩٦٨ ، انضم للمقاومة منذ أول ساعة وأصبح عضوا فى الحركة الجمهورية الشعبية وانتخب مرتين سكرتيرا عاما لحركة التجمع الشعبى الفرنسى وعين مرتين وزيرا فى عهد الجمهورية الخامسة ، وهو الآن يعمل من أجل أوربا ، والقضية العربية ، ويبدو أنه يحب القضايا الخاسرة •

جان لوى تيكسييه فيناتكور ـ محام • رئيس التحالف من أجل التقدم •

عمره واحد وخمسون عاما •

ميزته أنه لا يوجد شخص الى يمينه ، ولكنه أيضا زعيم سياسى بدون أنصار •

هو المحامى بمعنى الكلمة لقضية الجزائر فرنسية ، هوايته السيرك

ريمون تريبوليه ـ نائب عن اقليم كالفادوس ، عضو فى اتحاد الدفاع عن الجمهورية ، عمره اثنان وستون عاما •

عضو فى الجمعية الوطنية منذ عام ١٩٤٦ بدون انقطاع ، وديجولى على الدوام • كان وزيرا لوزارة المحاربين القدماء ـ عام ١٩٥٥ ، فى حكومة ادجار فور وكذلك فى حكومة دبريه فى عام ١٩٥٩ ، ١٩٦٢ بحيث تخصص فى هذه الوزارة بشكل ما • رئيس جماعة فرنسا ـ أسرائيل فى الجمعية الوطنية ، وهو يدافع بطريقة سيئة عن قضايا الدولة العبرية •

القسم الأول

الصراعات الجانبية

الفصل الأول

من اللاجىء الى الارهابى
الوطن المفقود

اسرائيل موجودة ،
ويجب تدميرها ..
(مثل فلسطينى)

— ١ —

الاستغلال السياسى للاجئين الفلسطينيين
بواسطة الدول العربية — قبل يونية ١٩٦٧

« العام القادم فى القدس » — لقد كان هذا هو الحلم الذى يتلوه يهود الشتات فى صلواتهم طوال اقامتهم فى المنفى . والواقع أن الشعب اليهودى ظل حتى منتصف القرن التاسع عشر يفكر فى العودة الى « الأرض الموعودة » على أساس معان دينية بصفة خاصة وفى نطاق حلول تنطوى على الاندماج .

ولكن المفكرين الصهيونيين السياسيين أخذوا بعد قليل — حوالى الفترة من عام ١٨٦٠ وعام ١٨٨٠ — تحت تأثير بعث الفكرة الوطنية فى أوربا ، والاضطهادات التى كان اليهود يزدادون تعرضا لها . يتبنون الفكرة الجريئة القاتلة بأن حل المشكلة اليهودية يجب أن يقوم على أساس اعادة انشاء قومية سياسية فى فلسطين ، ورغم تقلبات التاريخ ، تحقق الحلم ، وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، حيث أعلن دافيد بن جوريون قيام دولة اسرائيل .

وبعد عشرين عاما ، وبعد ثلاثة حروب رسمت المنظمات الفلسطينية على شعاراتها المثل الذى اتخذه يهود الشتات منذ الفى عام ــ « العام القادم فى القدس » •

انها المأساة القديمة تمثل مرة أخرى ، وهى مأساة تلعب فيها شخصيات ثلاث (الدول العربية ، وعرب فلسطين ، والاسرائيليون) واحدى هذه الشخصيات « الدول العربية » تلعب الدور الاكثر اثارة للمتاعب، وكل منها تقاتل الأخرى بوحشية، مؤكدة فى نفس الوقت أنها تعمل من أجل قضيتها ، بينما تشير جميعا ، والدم يلطخ أيديها ، الى منظر وطنها الممزق •

وقد عاد اليهود الى أرض فلسطين بعد فوزهم فى حرب الاستغلال، رغم كل التكهنات وبعد ألفى عام من تغيبهم عنها ، لكى يواصلوا فيها تجربتهم كيهود بطريقة طبيعية ، بوصفهم مواطنين اسرائيليين •

أما عرب فلسطين الذين كانوا يحتلون هذه المنطقة من الشرق الأدنى منذ عام ٦٣٥ م وقد أصبح معظمهم فى المنفى فى غزة والأردن وسوريا ولبنان •

وهكذا جاء بعد اليهود الذين كانوا لاجئين فى العالم ، دور اللاجئين من عرب فلسطين وأصبح هناك شعبان يتطلعان لنفس الأرض ــ انها ظاهرة الامتلاء بأكثر مما ينبغى تتضح مرة أخرى بصورة لا شك فيها • وأصبحت اسرائيل ، كما قيل كثيرا ، أيضا « موعودة أكثر من اللازم » •

أ ــ ضحايا بدون جلادين :

هل الصهيونيون أم « الأشقاء العرب » هم المسئولون عن خروج السكان العرب من فلسطين ؟ هل ينبغى التحدث عن لاجئين أو عن أناس ذهبوا الى المنفى باختيارهم ؟ سوف ندرك بسهولة أن كلا الطرفين قدم وجهات نظر متعارضة فى هذا الصدد :

(أ) ينكر بعض الوطنيين الاسرائيليين على سكان فلسطين الذين ذهبوا الى المنفى صفة اللاجئين ، ويؤكدون أن السبب الوحيد لمغادرتهم فلسطين هو النداء الذى وجهه اليهم الزعماء العرب ومفتى القدس الأكبر بالفرار مؤقتا ، ويبدو أن هناك تصريحات تؤكد وجهة النظر هذه :

فقد أعلنت القيادة العليا للمتطوعين العرب من أجل تحرير فلسطين فى نداء أذيع من راديو القاهرة فى ١٦ مايو ١٩٤٨ — « أيها الأخوة العرب فى فلسطين » أن جيوشنا ستقوم فى خلال أيام قليلة بتطهير الأرض المقدسة التى لوثتها العصابات الاجرامية الملحدة ، ولكى لا يلجأ اليهود الذين لعنهم الله الف مرة الى الانتقام منكم بنذالة وغدر قبل القضاء عليهم « فاننا ندعوكم الى قبول ضيافتنا » •

* حدد رئيس وزراء العراق من جانبه بأعصاب باردة فى صحف بغداد المصير الذى سيلقاه يهود فلسطين على أيدى الجيوش العربية فقال : « اننا سنسحق البلاد ببنادقنا وسندمر كل مكان يحاول اليهود الالتجاء اليه ، ان العرب ينبغى عليهم أن يضعوا أطفالهم ونساءهم فى مكان أمين أثناء الخطر ، وبعد ذلك ستصبح كل فلسطين لهم • »

ولكن نتيجة الاحتكام للسلاح لم تكن مواتية بالنسبة لمن وجهوا هذه الدعوات المتهورة دون أن يهتموا اهتماما حقيقيا بمستقبل مصير عرب فلسطين ، والوعود التى بذلتها « الدول الشقيقة » لاستضافة هؤلاء العرب لم تنفذ الا بصورة ضئيلة الى حد أن اللاجئين لم يترددوا فى التنديد دون مواربة بالذين تقع على كاهلهم مسئولية نفيهم •

* فى يوم ٦ سبتمبر ١٩٥٤ صرح لاجىء بوجهة نظره فى صحيفة

« الدفاع » كما يلى : « لقد كنا سادة فى بلادنا ، سعداء بمصيرنا ، ولكن كل شىء تغير بين يوم وليلة ، لقد قالت لنا الحكومات العربية :

ــ « اخرجوا لكى نستطيع الدخول » ولقد خرجنــا ولكن هــذه الحكومات لم تدخل على الاطلاق •

(ب) لقد اعترف بعض الاسرائيليين ذوى المرونة فى أحكامهم بواقعة طرد عرب فلسطين بواسطة قوات الدولة العربية الشــابة ، ولكن فى فترة معينة فقط ودون التردد فى القول بأن هذا الطرد كان « نتيجة محتومة » للحرب التى شنتها الدول العربية ضد اسرائيل ، ولم يكن هدفا فى أى وقت من الأوقات لحرب متعمدة من جانب الصهيونية •

(جـ) أما الدول العربية فانها تعرض من الحجج ، ماينافض وجهات النظر الاسرائيلية تماما وتؤكد أنه لا تقع عليها أية مسئولية فى هــذا الأمر كله على الاطلاق •

والحقيقة توجد ، كما يحدث دائما ، فى منتصف الطريق بين هذه التــأكيدات المتطرفة ولكن الذى يهم هو الحقيقة وحــدها ، وليس التكهن حول أسبابها ، والحقيقة تفرض الاعتراف بأن الدول العربية لم تقصر فقط فى العمل باخلاص من أجل مصالح « أشقائها » من عرب فلسطين ، بل انها علاوة على ذلك استغلتهم سياسيا ، وعارضت فى توطينهم ، وأبقتهم على حدود الدولة العبرية على الأمل فى العودة الى فلسطين ، وهو أمل ليس من المحتمل أن يتحقق •

وقبل أن نعرض على القارىء رأينا فى هذا الموضوع فقد طلبنا من جاك سوستيل ، ولوى تيرنوار ، ورينيه اندريو ، وكريستيان بينو ، وجان ــ لوى تيكســييه ــ فينانكور ، الادلاء بآرائهم عن هــذا الاستغلال الذى يمارســه زعمــاء العــالم العربى تجــاه اللاجئين الفلسطينيين :

١ ــ ج • سوستيل :

« ان الاستغلال الســياسى للاجئين الفلسطينيين من قبــل الدول العربية ، أمر لا نزاع فيه • وهذا الاستغلال يعترف به العرب أنفسهم ••• وأنى أذكر ما قاله نائب أردنى فى برلمان عمــان بدون حيــاء :

ـ « يجب أن نحتفظ بمشكلة اللاجئين لكى نستخدمها كسلاح ولكى نبقى على حالة الحرب فى النفوس » .

« ان المصيبة بالنسبة لهؤلاء اللاجئين هى أن الحكومات العربية التى دعتهم فى عام ١٩٤٨ الى مغادرة فلسطين لكى يعودوا اليها بعد ذلك مع جيوش القاهرة وعمان وبغداد المنتصرة ، قد هزمت فى الحرب . ان هؤلاء الرجال وذريتهم الذين يعشون منذ واحد وعشرين عاما على ما تجود به الأمم المتحدة من احسان ، وفى ظروف غير طبيعية على الاطلاق لم تفعل الدول العربية ـ كما قلت ـ شيئا من أجل امتصاصهم والسماح لهم بأن يعيشوا حياة عادية .

« وينبغى الاشارة ، فى هذا الصدد ، الى أنه فى اللحظة التى غادر فيها ٤٥٠ ألف أو ٥٠٠ ألف عربى أراضى فلسطين ، فأن ٥٠٠ الف يهودى طردوا من الدول العربية وادمجوا فى اسرائيل دون اثارة مثل هذا الضجيج .

لقد تم تبادل حقيقى بين السكان ، مع هذا الفرق وهو أن اسرائيل استوعبت ٥٠٠ الف مهاجر بالاضافة الى ٥٠٠ الف غيرهم جاءوا من كل مكان ، وذلك رغم ضيق رقعة أراضيها ، بينما الدول العربية التى تملك أراضى شاسعة ـ لم تفعل شيئا مطلقا ، رغم مساعدات الامم المتحدة » ...

٢ ـ ل . تيرنوار :

« ان الادعاء بأن الدول العربية كانت تستطيع استيعاب اللاجئين الفلسطينيين هو ادعاء ينطوى على تجاهل الظروف المناخية وامكانيات استيعاب مليونى شخص فى هذه الدول .

« فالأراضى القابلة للزراعة فى الدول العربية محدودة جدا بالنسبة لما هو عليه الحال فى أوربا فالطرق عبارة عن صحراء من الرمال ممتدة بين نهرى دجلة والفرات ولبنان به سهل خصيب جدا .. ولكنه بفضله

يستطيع اطعام المملكة العربية السعودية حيث لا ينمو شيء سوى النخيل •

« ولكن فلنعقد مقارنة ــ لو كان هتلر قد كسب الحرب لاستطاعت فرنسا أن تستوعب كل أهالى اللورين الذى كان سيطردهم ، وجميع أهالى الألزاس الذين كانوا لا يريدون البقاء تحت حكم المانيا الظافرة، وجميع سكان الشمال الذين لم يكونوا ليقبلوا فصلهم عن فرنسا لضمهم الى بروكسل • وكانت فرنسا تستطيع أن تفعل ذلك لأن أراضيها الزراعية واسعة ولأن كثافة السكان قبل الحرب كانت أقل من ٨٠ نسمة فى كل كيلو متر مربع •

« وكل هذه المعطيات تفتقر اليها الدول العربية • ان اللاجئين العرب أناس طردوا من بلادهم وهم يريدون العودة اليها ولا يمكن لومهم على ذلك ، وقد عاشوا حتى الآن بفضل الأمل ، وهو أحد الفضائل الدينية الثلاث (الايمان ، والخير ، والأمل) التى تعمر قلوبهم الى أقصى حد ، وهذا الأمل قد ورثوه اليوم للشبان الفلسطينيين الذين ولدوا فى المنفى ، والذين يحملون أيمانهم على طرف بنادقهم • »

٣ ــ ر • اندريو :

« ان القول أن الدول العربية تستغل اللاجئين الفلسطينيين استغلالا سياسيا ، يعنى الخلط بين المعتدين وضحاياهم والمعتدى هنا هو دولة اسرائيل، وفيما يتعلق بالعرب فان الأمر أشبه باتهام « المقاومة الفرنسية » بأنها استغلت سياسيا معسكرات الاعتقال العسكرية ، أى ابادة ستة ملايين يهودى فى أفران حرق الجثث ، ويكفى الذهاب الى المنطقة للتحقق من أن اللاجئين الفلسطينيين ليسو مجرد عذر وانما حقيقة مفجعة (١) • انهم قلب المشكلة • »

(١) من رأينا أن التعبيرين ليسا متناقضين • بل على العكس ، فنظرا الى أن الدول العربية كان لها مصلحة فى أن تستخدم ، طوال عشرين عاما ، اللاجئين كعذر بدلا من ان تحاول استيعابهم ، فقد أصبح هؤلاء يشكلون اليوم حقيقة مفجعة •• (المؤلف)

٤ ــ ك • بينو :

« اللاجئون هم « حجة العـداء » الرائعة التى تبحث عنها الدول العربية وتحتفظ بها • ان عبد الناصر لم يشأ مطلقا أن يأخذ حتى ولو مائة لاجىء لكى يجعلهم يعملون فى السد العالى بأسوان ، ومع هذا فقد كان من السهل على مصر ، وعلى سوريا ، وعلى العراق أن تعيد توطينهم • ان الأرض ليست هى التى تفتقر اليها هذه البلاد ، وانما هى تفتقر الى العمل • ورغم هذا فقد ظل اللاجئون « لاجئين » لأن كل جهد قد بذل لابقائهم على هـذا الحـال • ومن رأيى أن الامم المتحدة اخطأت باستمرارها سنوات طويلة فى دفع نفقات معسكرات الاعتقال الحقيقية التى يعيشون فيها •

٥ ــ ج ــ ل تيكسييه ــ فيتانكور :

« كم كان عدد الفلسطينيين الذين اضطروا الى مغادرة البلاد فى عام ١٩٤٨ ؟ لقد كانوا بصفة اجمالية ٤٠٠ الف بين رجل وامرأة وطفل ، بما فى ذلك الجديان والماعز أيضا •

« ولكن الاسلام يشمل المنطقة من جاكارتا حتى الدار البيضاء • فمن الذى يمكن حمـله على أن يصـدق أنه كان من المستحيل على الدول الكبرى (ولا ينبغى أن تنسى أن النفوذ الغربى كان لا يزال يمارس سلطاته فى عام ١٩٤٨ فى رقعة من بلاد الاسلام) أن تعيد توطين ــ تحت اشراف الامم المتحـدة ــ ٤٠٠ الف شـخص فى البـلاد الاسلامية ، ابتداء من جاكارتا حتى الدار البيضاء ؟ ••

« وبدلا من هذا فقد أقيمت معسكرات على حدود الدولة العبرية، وفى بلاد لا يوجد فيها ما يمكن عمله ••• سوى انجاب الأطفال •

« واليوم يوجد حوالى مليون ونصف مليون لاجىء ينبغى ايجاد مأوى لهم ، وهؤلاء الرجال ليسو هم لاجيىء عام ١٩٤٨ ، وانما هم أبناؤهم واحفادهم •• لقد ترك الموقف لكى يتفاقم عن طريق اتخـاذ تدابير حمقاء • هذه هى المسألة » •

ب ــ استغلال « الأشقاء العرب » :

(أ) قبل بدء القتال فى شهر مايو ١٩٤٨ ظهرت خلافات بين عرب فلسطين والدول العربية . لقد كان موقف سكان فلسطين ينطوى على الخصومة والعداء لأية فكرة تهدف الى الاتفاق مع الصهيونيين . وقد رفضوا مثلا قبول حق اليهود فى الهجرة ، وأعلنوا على الملأ تصميمهم على عدم منح اليهود الموجودين حينئذ فى فلسطين حق الرعوية فى بلد أغلبية سكانه من العرب .

أما زعماء الدول العربية فقد كانوا على العكس ، يحبذون التوصل الى حلول أكثر جنوحا الى الوفاق ــ وفى أعوام ١٩٤٢ ــ ١٩٤٥ أقترحت شخصيات عراقية وسورية انشاء دولة فلسطينية ديموقراطية مع ضمانات للسكان اليهود ووافقت على الهجرة اليهودية الى أن يتم التعادل بين الطائفتين ، وفى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد فى لندن من أغسطس ١٩٤٦ حتى فبراير ١٩٤٧ أعربت الدول العربية عن موافقتها على انشاء دولة فلسطينية بحيث يمثل اليهود تمثيلا نسبيا فى الحكومة وفى مختلف المؤسسات ، بل ان الأمر وصل الى حد عقد ميثاق مع الصهيونية ــ هل من المفيد أن نذكر هنا بالاتفاقية التى عقدت فى ٣ يناير ١٩١٩ بين الأمير فيصل ، مندوب العرب الرئيسى فى مؤتمر الصلح الذى عقد فى باريس بينه وبين الدكتور ــ وايزمان الذى كان حينئذ مندوب المنظمة الصهيونية العالمية والتى تم التوقيع فيها بين الطرفين على تصريح بلفور ، واعترف فيها بفلسطين كوحدة يهودية قائمة بذاتها ؟

(ب) أما عرب فلسطين من جانبهم ، فلا يريدون أن يفهموا حقائق الأمور . ومهما يكن العطف الذى يمكن أن يشعر به المرء تجاه هذا الجانب أو ذاك ، فانه يجب الاعتراف بأن عداءهم لليهود لا يقوم على أساس قوى ، والواقع أنه اتضح بسرعة ، وخاصة أثناء العمليات العسكرية فى عام ١٩٤٨ ، ان القضية الفلسطينية لا تهم الدول العربية

كثيرا ، فهى مجرد عذر ، أما هدفهــا الأساسى فهو ، قبــل كل شىء العمل على الحصول على مكاسب أقليمية .

ولما اشتعلت حرب الشرق الأدنى ، يوم اعلان قيام دولة اسرائيل ، بدأت الجيوش النظامية للدول العربية المشتركة فى القتال باحتــلال جزء من الأراضى التى آلت الى سكان فلسطين بموجب قرار التقسيم الصادر فى نوفمبر ١٩٤٧ . وبعد هدنة شــهر يوليــة ١٩٤٨ ، طالب المصريون فى شهر ديسمبر من نفس العــام بمشاغلة الاسرائيليين فى الشمال للتخفيف عن قواتهم التى كانت قد استأنفت القتال فى الجنوب ولكن شرق الأردن أصمت أذنيها . فقد قامت بطرد اليهود من القدس ويبدو انه لم يكن لديها أدنى رغبة فى تحمل مخاطر اضافية والتضحية بجيشها على مذبح القضية الفلسطينية .

بل على العكس ، فان عبــد الله (جــد الملك حسين ملك الأردن الحالى) عقد مؤتمرا فى أريحا للزعماء الفلسطينيين ــ وهم رجال من قش ــ واقترح عليهم أن يطالبوا بضم غرب الاردن الى شرق الاردن، وهذا هو ماحدث فعلا . وتبين حينئذ بوضوح ان ضم فلسطين العربية الى مملكة شرق الأردن كان هو الهدف الوحيد الذى من أجله دخلت المملكة الهاشمية الحرب .

أما مصر فقد تمسكت من جانبها بقطاع غزة ، والعدد الكبير من اللاجئين الذين يعيشون فيه ــ أو بالأحرى الذين ظلوا على قيــد الحياة ــ يشكل أبلغ دليل على التضامن العربى الفلسطينى .

ان اللاجئين الفلسطينيين يعتبرون ، بالنسبة للحكومات العربية ، بمثابةسلاح سياسى جوهرى ، أن قبول اعادة توطينهم فى البلاد العربية، أو على الأقل الاشتراك فى أية محاولة لتحسين أحوالهم كما اقترحت اسرائيل مرارا (ربما باصرار غــير كاف) ولكن هل يمكن مطالبة الدولة الغربية بأن تكون أكثر تحمسا للعرب من العرب أنفسهم ؟ .

ان قبول ذلك يعنى فى نظر حكومات القــاهرة ودمشق وبيروت وعمان بمثابة فقدان حجة جوهرية يمكن تلخيصها كما يلى :

ـ ان تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين يعنى فقدان باعث العداء الأزلى الذى أعلناه ضد اسرائيل ، الدولة التى قامت على الاغتصاب، والتى لا نريد قبولها أو الاعتراف بها ان فقدان هذه الحجة يعنى عقد الصلح مع الدولة العبرية ، وعقد الصـلح مع اسرائيل يعنى حرماننا دفعة واحدة من كبش فداء ملائم نلقى عليـه فى كل يوم مسئوليـة مصاعبنا الداخلية وتخلف تطورنا الصناعى •)

ويضاف الى هذا التفسير تفسير آخر على مستوى العرب كلهم ـ وهو يتعلق بالمزايدة القائمة بين مختلف الدول العربية التى تتنافس متحمسة فى اظهار رغبتها المزعـومة لتحرير أرض فلسطين والحقيقة هى ان هذا التنافس فى التضامن انما يعكس الصراع الصامت القائم بين الدول العربية التى تسمى « التقدمية » وبين الدول التى تشكل الكتلة الرجعية أو الاقطاعية وهذا الصراع الذى يقع فيه الفلسطينيون بين شقى الرحى ليس سوى فصل محزن من مواجهات أخرى مماثلة كانت تنتقل أحيانا الى ساحات القتال كما حدث فى حالة اليمن ••

ان هذا المنطق الحقود الذى أسفر عن تحويل اللاجئين الى مجرد أدوات تستغل يعتبر شيئا بشعا • والقضاء على هذا المنطق يكاد يرقى الى مرتبة الواجب ما لم توجد ، هنا أيضا ، الأدلة والشواهد •

ـ الم يعلن عبد الله نواس يوم ٦ يونية ١٩٥٢ ، عندما كان نائبا فى برلمان عمان « يجب الابقـاء على مشكلة فلسطين بأشـد اصرار ممكن ، لانها مسألة حيوية •• ان حرب فلسطين ستستمر فقط اذا كان هناك لاجئون • ان مجرد وجودهم يجعل المشكلة قائمة » •

ـ فى يوم ١٩ يولية ١٩٥٧ أذاع راديو القاهرة ـ أقوالا مشابهة تثـير القلق ـ « ان ماتبذله اسرائيـل من محاولات لحل مشـكلة اللاجئين يثبت ان لها مصلحة فى هذا الحل •• وفيما يتعلق بالعرب فان هذا يكفى لكى يجعلهم يرفضون أية محاولة لهذا الحل » •

وكثيرا ما رددت الصحف العربيـة ذاتها صـدى نداءات تطالب بتحقيق العدالة للاجئين الفلسطينيين الذين جعلتهم الآلام التى قاسوها

طوال عشرين عاما فى « الدول الشقيقة » يدركون حالتهم ،ويشعرون بنفاد الصبر تجاه مطالبهم ، ويحسون بخيبة الأمل ازاء أمانيهم ومهما تكن الدولة (المضيفة) فان نفس الاصوات ترتفع فى احتجاج واضح وترد على بعضها البعض دون ان يكون هناك تعارف بينها .

ــ نشرت صحيفة « الأسبوع العربى » اللبنانية مقالا بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦٦ بتوقيع « عاطف سليف البر » من دمشق تضمن أقوالا على لسان لاجىء سورى : ان الأجانب يتمتعون بحرية مطلقة فى التنقل فى الدول العربية ، وتقدم لهم فى الصدد جميع التسهيلات (...) ، ولكن العقبات توضع أمام الفلسطينيين (...) فهل نحن معتقلين ، أم أسرى حرب ، أم رهائن ؟ » .

ــ وقد احتج أيضا اللاجئون فى غزة فقالوا : « لو كانت غزة قد سلبها العدو لعرفنا أن الذى يذلنا ويسىء معاملتنا هو المتآمر الصهيونى بن جوريون وليس أخانا العربى الذى يدعى عبد الناصر (..) (من أقوال رجل فلسطينى من غزة فى صحيفة « المدينة » التى تصدر فى المملكة العربيةالسعودية بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٦٦ .

ــ مع أن الأردن هى الدولة الوحيدة التى منحت الجنسية الأردنية للفلسطينيين الذين لجأوا اليها ، فان حقوق هؤلاء الفلسطينيين ليست مساوية بأى حال لحقوق الأردنيين وعلى هذا فقد نشرت صحيفة « فلسطين » الأردنية بتاريخ ١٦ يونية ١٩٦٥ أن وزير خارجية الأردن أمر ممثل بلاده فى الامم المتحدة « أن يتعاون مع ممثلى الدول العربية وأن يبذل قصارى جهده لكى يجعل الدول الصديقة والمنظمات المختصة تقف الى جانب العرب لأحباط هذه المحاولات » .
و « المحاولات » التى أشار اليها الوزير الأردنى وردت فى نفس المقال، وهى تتعلق ــ « بالخطط والدسائس الامبريالية والصهيونية التى تهدف الى القضاء على مشكلة اللاجئين الفلسطينيين » .

ومن السهل ذكر المزيد من هذه التصريحات . ويكفى أن نشير فى

كلمة واحدة الى أن اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان لا يتمتعون ، هم أيضا بوضع عادل ، بل أنهم على العكس ، يصادفون عقبات متزايدة فى مختلف نواحى حياتهم •

فقد أكدت صحيفة « الحياة » اللبنانية الواسعة الانتشار ، دون أقل حياء ، فى عددها الصادر فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٦ أنه « قد تقرر عدم السماح بالزواج بين اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان الا بترخيص صريح من ادارة شئون اللاجئين الفلسطينيين (•••) ، وفى ٢٦ فبراير ١٩٦٧ أعترفت صحيفة « الحوادث » اليومية التى تصدر فى بيروت فى مقال يقطر سخرية تجاه الفلسطينيين بأن « عددا كبيرا من العمال الفلسطينيين قد فصلوا من أعمالهم فى هذا الأسبوع » بحجة « أنهم لا يملكون التراخيص الضرورية » •••

ولكن قد يقال كيف يمكن قبول أن يتعرض شعب يتألف من مليون نسمة طوال عشرين عاما ، رغم مطالبه ، وشعوره الواضح بالظلم • لظروف تتناقض تناقضا صريحا مع فلسفة الاسلام ؟ •

ان عقيدة القرآن تمنع فى الواقع أن يعتبر المؤمن لاجئا لدى اخوته المؤمنين ، وان يحال بينه وبين تقلد أكبر المناصب مادامت مواهبه تؤهله لذلك •

والدول العربية توفق مع ذلك بين هذه المتناقضات بطريقة واضحة، فاذا كان هناك مسلمون « لاجئون » مع أنهم يعيشون فى أراضى الاسلام ، فان ذلك يرجع الى أنهم لاجئون مؤقتون ، وقد قيل للاجئين الفلسطينيين أن كونهم لاجئين ليس سوى مرحلة انتقالية هى الخطوة الأخيرة قبل الوصول الى باب « الوطن المفقود » •

وينبغى الاعتراف بأن ثمة دعاية عربية منسقة جيدا تهدف الى تعزيز هذا الأمل لدى اللاجئين منذ باكورة سنى حياتهم ، وهو أمل غير واقعى لأنه ضيق النظرة أكثر مما ينبغى، فضلا عن أنه مشبع بالكراهية تجاه يهود اسرائيل ، وهاك البرهان • ـ فى كتيب للسنة الثالثة

الابتدائية نشرته المكتبة المصرية فى القاهرة (معظم الكتب المستخدمة فى مدارس اللاجئين تنشر فىالقاهرة أو فى دمشق)، وعنوانه « قصص وأناشيد جديدة » (١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ ، توجد مسرحية شعرية تجرى حوادثها فى أحد معسكرات الجيش المصرى فى سيناء • وقد اقتطفنا منها هذه الفقرة الموجزة (صفحة ٣٣ ــ ٣٤) وهى موجهة للأطفال فى سن الثامنة :

« الفارس ــ ان عزمنا هو النار ، وسيفنا ممشوق •

« مصر ــ أيها الجنود : كونوا مستعدين ، لقد حانت ساعة العمل•

« الجنود ــ وماذا ينبغى علينا أن نفعل ؟

« مصر ــ استمعوا الى الأنبـاء ، يا أولادى ، لاتتأخروا ، لقد اجتاح العدو فلسطين •

« الجنود ــ ان النار ستلتهم أعداءنا •••

« مصر ــ تعالوا ايها الجنود • تعالوا ، ان فلسطين تنادى أســود الحرب المقدسة • »

فى عام ١٩٤٧ كان سحق الجيوش العربيــة بمثابة اذلال للعــالم العربى ، وهذه الدول العربية التى لم تكن تتخلص حينئذ من وصاية الغرب ، ولم تكن قد كونت بعد لنفسها شخصية عربيــة وطنيــة ، وبالأحرى لم تكن توجد هنالك شخصية فلسطينية ، وعرب يافا ، أو الناصرة الذين كانوا فىالمنفى فىبلاد الاسلام لميكونوا سوى«لاجئين» وهذه الحالة أصبحت على مر الأعوام لا تحتمل ، لا سيما بعــد أن اتضح أن وعود الدول العربية « المضيفة » لم تكن سوى أكاذيب ، وبعــد أن أحس هؤلاء الرجال بحــدة التفرقة بينهم وبين غيرهم من العرب بحيث أصبحوا يشعرون من جديد أنهم مرتبطون بفلسطين ، وبعد أن كانوا مجرد لاجئين أصبحوا لاجئين « فلسطينيين » وأخذوا يشكلون لأنفسهم بالتدريج رأيا جماعيا عن أنفسهم ، وفى يونية ١٩٦٧ كانت الهزيمة العربية لا تبررها فى نظرهم أية أعذار ، والاســتغلال

الذى تعرض له اللاجئون على يد الحكومات العربية ، وهو الاستغلال الذى استمر عشرين عاما ظهر لهم على حقيقته بوضـــوح تام ، وحل محل الشعور بالدخل والخداع ، الشعور بالوعى الوطنى ، وهؤلاء الرجال الذين كانوا لاجئين فلسطينيين تحولوا الى فلسطينيين ، لقد كانت الدولة العربية تقوم حاجزا بين الفلسطينى ومصيره ، وهى التى كانت تحول دون نضج شخصيته نضجا كاملا ، لقد غيرت حرب الأيام الستة معطيات المشكلة : فقد أتاحت للممثلين الاصليين فى المأســاة (الاسرائيليين والفلسطينيين) أن يتقابلوا وجها لوجه وأصبح لزاما على الحكام العرب من الآن فصاعدا أن يقوموا بمناوراتهم بحذر .

الاستغلال السياسى للدول العربية
من جانب الفلسطينيين

١ ــ ان عودة « المأساة » الى أبعادها الأولى لم يسفر مع ذلك عن تبسط للمشكلة . ان نفاق الدول العربية تجاه الفلسطينيين لم ينتج عنه كما هو واضح الغاء أو تحديد الطابع المبالغ فيه وغير الواقعى لمطالب الفلسطينيين تجاه اسرائيل لقد أخذ الوعى الفلسطينى الذى عانى من القهر العربى يزداد قوة فى نضاله ضد الدولة العبرية .

٢ ــ ان هذا النضال تقوم به منظمات للمقاومة بعضها موجود منذ سنوات عديدة ، ولكنها جميعا لم تشعر بأنها المسئولة الحقيقية الوحيدة عن القضية الفلسطينية الا منذ يونية ١٩٦٧ .

ألم يصرح أحد زعماء منظمة فتح بقوله :

« الحمد لله على هزيمة ٥ يونية التى أعطتنا حرية العمل ، وبررت مواقفنا ، وخلصتنا من وصاية الحكومات العربية » ؟ (صحيفة لوموند ، فى ٢٢ اكتوبر ١٩٦٨ ، بقلم ب . كارلنسكى) .

٣ ــ توجد أكثر من اثنتى عشرة منظمة للمقاومة الفلسطينية ، بعضها ليست له سوى أهمية شكلية ، وبعض هذه المنظمات وحدت أعمالها ، وبعضها اندمجت سويا «[١]» وبعد اندماج منظمة التحرير الفلسطينية ــ التى كانت فيما مضى أداة طيعة فى يد مصر ــ فى منظمة فتح وتولى ياسر عرفات ، المعبود الجديد للشعب الفلسطينى رئاسة هذا التنظيم ، فانه يمكن القول أنه أصبح هناك اتجاهان كبيران يواجهان بعضهما داخل الحركة الفلسطينية .

---

(١) انظر فى ملحقات الكتاب قائمة بأهم المنظمات الفلسطينية .

(أ) الفلسطينيون غير المهتمين بالسياسة

ان بعض الفلسطينيين (وهم بصفة عامة أنصار منظمة فتح) يناضلون لتحرير فلسطين ولا يناضلون الا من أجل هذا الهدف . والحل الذى يحبذه ياسر عرفات ، وطبقا لأقواله نفسها ، هو ما يلى :

« تدمير الكيان الصهيونى ،والعنصرى لاسرائيل ، وانشاء فلسطين علمانية وديموقراطية تمتد من البحر الأبيض المتوسط حتى الأردن (٢١ فبراير ١٩٦٩) . وهذا يعنى بلغة غير دبلوماسية أن زعيم فتح يطالب بالقضاء على اسرائيل باعتبارها وحدة تمثل دولة ، وذلك لكى يقيم بدلا منها دولة يهودية عربية حيث يكون فيها الفلسطينيون ، الذين يشكلون الأغلبية ، هم فى الحقيقة أصحاب الحكم ولكن زعماء فتح ، مثلهم فى ذلك مثل زعماء منظمات المقاومة الأخرى ، وليس لديهم عن هذه الدولة المفترضة سوى أفكار غامضة هلامية واهتمامهم الرئيسى ينحصر فى القتال . فقد أعلن ياسر عرفات :

(اننى بعد كل شىء لست سياسيا ، أننى مقاتل ، والمدفع الرشاش هو وسيلة تعبيرى) « صحيفة لوموند ، ٢٠ فبراير ١٩٦٩ ».

واعترف بقوله :

« أن العالم لا يحترم لا الضعفاء ولا البؤساء . فهو لا يحترم سوى القوة ، والسياسة التى تولد من فوهة البنادق » (حديث ياسر عرفات فى التليفزيون المصرى فى ١٢ فبراير ١٩٦٩) .

وهكذا فنحن لسنا بعيدين عن مفاهيم « فرانز فانون » ...

وهكذا فان منظمة فتح تتميز بصفة خاصة بأن زعماءها يرغبون رغبة شديدة فى ألا تكون لهم اتجاهات أيديولوجية معينة ، بما فى ذلك تلك الاتجاهات التى تحاول بعض الدول العربية اغراءهم بها ، وهذا هو السبب فى أن فتح لم تجعل من نفسها حزبا سياسيا ، كما أن هذا هو السبب أيضا فى أن هذه الحركة

تطالب جميع أعضائها بألا يكون لهم اتجاه حزبى • وهذا هو السبب أيضا فى أن فتح توجه دعوتها الى جميع الفلسطينيين مهما تكن طبقتهم الاجتماعية ، لأنه سيكون هناك فى « الدولة » التى تأمل أن تنبثق فى المستقبل من كفاحها ، مكان لكل منهم بما فى ذلك « البورجوازية الوطنية • »

ولكى تحدد منظمة فتح نوعية نضالها فانها قصرت أعمال حرب العصابات والتخريب على أرض فلسطين ، وذلك على عكس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، مثلا ، التى تقاتل اسرائيل فى مطارات سويسرا • «(١)»

وهذا لا يعنى ان فدائى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومنظمة فتح لا يهاجمون المدنيين • وثمة ملاحظتان تتعلقان بهذا الموضوع بصفة خاصة ينبغى ذكرهما :

ـ اذا أمكن فهم الكفاح المسلح الذى يقوم به الفدائيون الفلسطينيون على أرض المعركة ، فى منطقة غرب نهر الأردن المحتلة مؤقتا ضد قوات الجيش الاسرائيلى ، فانه على العكس من الصعب كثيرا استساغة أعمال معينة ترتكب ضد المدنيين العزل ، وهى أعمال لا علاقة لها مطلقا بالمقاومة ، وانما بالأرهاب (٢) • ان هذه الأعمال انما تحط من شأن الحركة الفلسطينية عندما تحاول هذه الحركة التفرقة ـ وهى تفرقة غير واقعية ـ بين مناهضة الصهيونية ومناهضة السامية وتجعل من هذه التفرقة عملا وهميا تماما •

والواقع أن النظرية الفلسطينية القائمة على وجود اليهود المناهضين للصهيونية أو المؤيدين للصهيونية لا تسمح بتبرير الأعمال التى يرتكبها الفدائيون ضد ضحايا مجهولين لا يعرف أحد بالضبط

---

(١) حادث الاعتداء على طائرة العال الاسرائيلية الذى وقع يوم الثلاثاء ١٨ فبراير ١٩٦٩ •

(٢) انظر فى هذا العدد ما أوردناه فى أحاديثنا الصحفية .

اذا كانوا صهيونيين أم لا ، بل تدين كذلك هذه الأعمال ان صفتهم الوحيدة « الواضحة » هي انهم يهود .

ـ أن مطالبة الفلسطينيين بالقضاء على دولة اسرائيل تشمل الدولة اليهودية بحدودها التى كانت عليها قبل يونيـة ١٩٦٧ ، أو بعبـارة أخرى فانه عندما يتكلم ياسر عرفات عن اعادة فتح فلسطين فانه يغفل ذكر أن اسرائيل لم يسمح لها منذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٦٧ ، بأن تمتلك الا سدس فلسطين التاريخية ، الوطن المشترك لليهود وللعرب والباقى أعطى لدولة عربية أو ضمته هذه الدول ، وهاك ما حدث :

١ ـ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى كانت فلسطين ، وهى حينئذ مقاطعة عثمانية ، تضم ١١٨ ألف كيلو متر مربع ، أى مجموع الأراضى التى قسمت بين اسرائيل والأردن ، وقد اعترف تصريح بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، والذى أدمج فيما بعد فى صك الانتداب الذى منحته عصبة الأمم لبريطانيا فى ٢٤ يولية ١٩٢٢ ، بالروابط التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين ، وحقه فى أن يقيم فيها وطنا له غير أن بريطانيا اقتطعت فى عام ١٩٢٢ من الأراضى التى كانت خاضعة من قبل للحكم العثمانى كل المنطقة الواقعة شرقى نهر الأردن لتخلق فيها ، لمصلحة المملكة الهاشمية مملكة شرق الأردن ، وبهذا تقلصت مساحة فلسطين التاريخية من ١١٨ الف كيلو متر مربع الى ٢٧ الف كيلو متر مربع .

٢ ـ عقب الحرب الاسرائيلية العربية التى نشبت فى عام ١٩٤٨ ، ضمت مملكة شرق الأردن اليها مناطق نابلس والخليل الواقعة غربى نهر الأردن ، وأصـبحت تسمى الأردن ، وهكذا وجـدت اسرائيل نفسها وقد أصبحت مساحتها ٢١ الف كيلو متر مربع تحتل صـحراء النقب نصفها .

فاذا قيل فى مثل هذه الظروف أنه يجب الاستعداد لتحرير فلسطين من الاستعمار الذى « تمثله دولة اسرائيل ذات النزعة العسـكرية

البروسية » (كما جاء فى حديث ياسر عرفات مع صحيفة لوموند يوم ٢١ فبراير ١٩٦٩) فان مثل هذا القول يبدو مبالغا فيه بعض الشيء •

(ب) الأيديولوجيات المتصارعة :

أما الاتجاه الثـانى للحركة الفلسطينية (الذى يعبر عنه بطريقة جوهرية بواسطة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فانه يعطى لكفاحها هدفا مزدوجا ــ تحرير فلسطين من « المحتل الاسرائيلى » وكذلك بعض الدول العربية من نظامها الرجعى • وهذا الجناح الماركسى ــ اللينينى يهاجم الدول العربية ذات التركيب الاقطاعى وهـذا يعنى خاصة الدول التى تمتلك البترول والتى تستخدم أموالها مع ذلك فى مساعدة رجال حرب العصابات الثوريين ، فهل هذا هو مجرد تناقض لعالم غير معقول ؟ سنرى فيما بعد أن الأمر يتعلق بشيء آخر • فهذه الجبهة المرتبطة بحركة الوطنيين العرب منحازة بولائها نحو السياسة السوفيتية وتركز على الصراع بين الطبقات •

ان هذا التقسيم للحركة الفلسطينية الى كتلتين لا يخلو من بعض التعميم ، فهذا التقسيم الذى عرض بقصـد الايضـاح لا ينبغى أن يجعلنا ننسى أن الحقيقة أكثر تعقيدا من ذلك • وهكذا نجد أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ممزقة تمزيقا شديدا ، بل ويتنازعها اتجاهان، أحدهما ــ وهو يمينى ــ يبدى ترددا فى انهاج الالحاد الماركسى الذى لا بد أن يؤى ، فى نظرها ، الى « القضاء على الشخصية العربيـة » وعلى العكس فانه لا يمكن اغفال وجود جناح يسارى فى منظمة فتح يتفق الى حـد كبير فى وجهـات النظر مع وجهات نظر جبهة تحرير فلسطين «[1]» •

(ج) ــ الاخوة الأعداء :

ولكن سـواء كانت الحركات الفلسطينية « فى مجموعها » تهتم

---

(١) انقسمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الى حركتين متميزتين تماما فى شهر فبراير عام ١٩٦٩ .

بالناحية الأيديولوجية أم لا ، فان علاقاتها تبدو على الأقل متوترة مع الحكومات العربية « فى مجموعها » سواء زعمت هــذه الحكومات أنها تقدمية (مثل مصر) أو كانت حكومات رجعية (مثل الأردن) . والفلسطينيون هم الذين يستغلون من الآن فصاعدا الدول العربية من الناحية السياسية . وهم يبــذلون جهدهم ، مستندين فى ذلك على الانقسامات التقليدية فى هذا العالم العربى ، لدفع الدول (الشقيقة) على الدخول فى مزايدة دائمة لتأييد القضية الفلسطينية . لقد قال لنا طالب فلسطينى من أعضاء منظمة فتح قابلناه فى باريس ــ « هذا هو ما يجب أن نقوله بصراحة « لأخوتنا العرب » لقد ادعيتم طوال عشرين عاما لكم تناضلون من أجل مصلحتنا . والآن فاننا نأخــذ مصيرنا بين أيدينا ونحن ننتظر منكم مساعدة مادية ، ومساندة عامة متزايدة ، لقد ساندتمونا بالأمس بالأقوال ، لأن هــذا كان يخــدم مصالحكم ، فاستمروا اليوم فى مساندتنا لأن هذا يخدم مصالحنا . »

هنا تشعر الحكومات العربية بألم الجرح . ان هذه الدول التى لم تمتزج مصالحها حقا مطلقا مع القضية الفلسطينية أصبحت مصالحها الآن مناقضة لهذه القضية أكثر من أى وقت آخر .

ان الشاغل الوحيد للكولونيل عبــد النــاصر والملك حسين هو استرداد الأراضى التى استولت عليها اسرائيل فى يونية ١٩٦٧ ، أى ايجاد حل سياسى للنزاع ، ولكن ياسر عرفات لا يريد أن يفهم شيئا من ذلك ، ويعتقد أن حرب العصابات هى وحدها التى ستقضى على الدولة اليهودية . ان السلام الاسرائيلى ــ العربى (بدون ــ معاهدة رسمية مع ذلك) هو الحــل الصعب الذى يأمل الزعمــاء العرب فى التعلق به . والسلام الاسرائيلى ــ العربى هو أيضــا الشبح الخطر الذى يخشاه الفلسطينيون الذين لم يعد يخارهم أقل وهم منذ زمن طويل فيما يتعلق بالتضامن العربى ــ الفلسطينى .

وقد صرح بعض الزعماء الفلسطينيين لأريك رولو بحديث نشرته صحيفة لوموند فى ٥ فبراير ١٩٦٩ قالوا فيه ــ « أن الشاغل الكبير

والعاجل للفدائيين الفلسطينيين هو خوفهم من عقد تسوية سلمية بين الدول العربية واسرائيل تكون نتيجتها تدعيم الدولة اليهودية داخل حدود « آمنة ومعترف بها » وتؤدى ، فى نظرهم ، الى تصفية الأمة الفلسطينية ، وعندئذ فانه يخشى أن تحدث أسـوأ الكوارث ، ولا يستبعد أن تقع مذبحة من نوع مذبحة سان ـ بارتلمى سندفع نحن ثمنها ، والواقع أنه ليس من المقصـود أن يتفـاوض المسـئولون الاسرائيليون مع العواصم العربية دون أن تتعهد هذه العواصم مقدما بتصفيتنا ماديا ... »

كما نشرت صحيفة لوموند فى ٢١ فبراير ١٩٩٦ حديثا لياسر عرفات مع أريك رولو قال فيه : « ان الذين يخافون يهددون .

والفلسطينيون لا يكذبون هذا المثل ، ويحذرون «أخوتهم العرب» ـ ان بنادقنا موجهة الآن تجاه المحتلين ، ولكن أى شخص يحـاول أن يطعننا فى ظهورنا سيدفع غاليا ثمن خيانته » .

وهكذا تظهر من جديد المأساة القديمة المؤلفة من ثلاث شخصيات أن كلا منها عدوة للأخرى ، ولكنها تعترف بذلك من الآن فصاعدا . ويتدخل كورس الدول الكبرى ليهمس بشىء للدول العربية ، ويتقدم الاسرائيليون والفلسطينيون الى مقدمة المسرح ويدرك كل فريق أن فصلا غير متوقع سوف يلعب ...

سؤال ـ هل من الصواب تشبيه الارهاب الفلسطينى بالمقـاومة الفرنسية كما فعل ذلك السـيد « بيرار » ممثل فرنسـا فى الامم المتحدة ؟

١ ـ أ . سانجينيتى :

« ان حرب العصابات فى الدول الصناعية مستحيل . وليس معنى ان الفرنسيين يقيمون معسكرات خلال العطلات انهم من رجال حرب العصابات ...

« ان الشيء الذى يجب ألا ننساه هو أن رجل حرب العصابات يمثل درجة أكبر من الفلاح على صعيد العالم الصناعى » •

٢ ـ م • روكار :

« ان مقارنة المقاومة الفلسطينية بالمقاومة الفرنسية فيما بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٤٥ « لا يمكن أن توجد حلا سياسيا للنزاع » وعلى هذا الأساس فأنها لاتنطوى الا على فائدة سيكولوجية • واذا كان الأمر كذلك • فانْ التشابه بين الموقفين يلفت النظر حيث انه تشاهد الآن منظمات شبه عسكرية أو عسكرية تقاوم والسلاح فى أيديها ، بأعمال الارها بالتى ليس لها من نتيجة فى المدى الطويل سوى وقوع عمليات انتقامية من جانب المحتلين الذين يحاولون بكل الوسائل ادماج السكان المدنيين واثارة مشاعر التعاون لدى زعماء هؤلاء السكان •

« لقد اعترف دائما الحزب الاشتراكى الموحد الفرنسى ، من جانبه بالوجود الوطنى الفلسطينى ، وبالوجود الوطنى الاسرائيلى ، على السواء وفى مجريات الأمور الحالية ، فان الشعب الفلسطينى وحده هو الذى يحظر عليه أى نشاط للتعبير عن وجود الوطنى • ونحن نعتقد ان جميع الاشتراكين وجميع التقدمبين لا يسعهم الا أن يناضلوا من أجل الاعتراف بهذا الواقع الوطنى ، الذى يعتبر ايذانا بانتهاء سيطرة البورجوازية الامبريالية والرجعية سواء فى اسرائيل أو فى بعض الدول العربية •

٣ ـ ر • بوجاو :

« فيما يتعلق بالارهاب الفلسطينى ، فانى أعترف لكم بأنى استمع قليلا الى ما يقوله السيد بيرار ممثل فرنسا فى الامم المتحدة ••• ولكن التشبيه الذى ذكره صحيح • ان المقاومة تتحدد على أساس علاقتها بالأرض ، وقد كانت منظمة الجيش السرية الفرنسية هى أيضا من منظمات المقاومة •••• »

٤ ــ ج • موليه :

« فيما يتعلق بالارهاب الفلسطيني فقد قرأت واستمعت في هذا الموضوع الى تصريحات متناقضة أشد التناقض • لقد أدان رجال من ذوي النية الحسنة أعمال الارهاب ، وكما أدان أشخاص مثلهم العمليات الانتقامية التي تثيرها هذه الأعمال •• « ان هذا مجرد موقف أخلاقي » أن السياسي ينبغي عليه بصفة خاصة أن يبحث عن سبب الداء ، لانه بمعرفة هذا السبب يمكن ايجاد الدواء • »

٥ ــ م • كلافيل :

« فيما يتعلق بالمقاومة الفلسطينية فاني أوافق مسيو بيرار فهي « مقاومة » فعلا • انني لا يمكن أن أطلق على أن فلسطيني كلمة « ارهابي » •

« ولو توليت الحكم ، وهو افتراض جرىء الى حد ما ، فانني سوف أبذل كل جهدي لكي أضمن أمن اسرائيل ، ولكنني سأحكم على اسرائيل بأن تقدم تضحيات ضخمة للعرب •

« ولكن يجب أولا الاعتراف باسرائيل ، ثم تدفع بعد ذلك •• ولكنها لا يمكن أن تدفع من وجودها •••

« ولكي نقول « هي » تدفع ، يجب أن يظل الفاعل « هي » موجودا • »

٦ ــ ر • اندريو :

« ان المقارنات ليست لها سوى قيمة نسبية ، حيث ان الظروف ليست متشابهة دائما •

« ان الشيء الذي يبدو أمامي واضحا ، هو أن « المقاومة » الفلسطينية مشروعة وحتمية في نفس الوقت ، لقد طرد الفلسطينيون من أراضيهم ، واغتصبت ممتلكاتهم ، وسرق منهم وطنهم ، والتاريخ

يثبت أن العنف يولد العنف والاحتلال يؤدى الى المقاومة ، وأن القمع يخلق النضال من أجل التحرير • »

٧ ـ أ • بيسانى :

« على قدر استيائى شخصيا من بعض الأشياء التى حدثت فاننى أيضا لا أستطيع الا أفهم مقاومة الشعب الفلسطينى ، ولو كنت فلسطينيا لكنت فى « المقاومة » ••• ولهذا فأننى أعتبر أن تحلبل اسرائيل ليس جيدا دائما وأننى أفضل كثيرا لو ان الدولة اليهودية ، بعد أن كسبت بعض الأراضى قدمت بعض هذه المغانم « على صنية » من أجل أن تبدأ المفاوضات • »

٨ ـ ك • بينو :

« آه كلا • كلا مطلقا • على الأقل الآن القومية الفلسطينية ليس لها أى وجه شبه بالقومية الفرنسية • ان التشابه ربما يكون صحيحا بالنسبة للارهاب الفلسطينى الذى يحدث اليوم فى الضفة الغربية المحتلة من نهر الأردن بقدر ما يتعلق الأمر بأناس كانوا يعبشون فى قرى ويزرعون أراض ، ثم وجدوا أنفسهم وقد طردوا منها وتعرضوا لبعض أنواع القمع ••• هنا وهنا فقط استخدم كلمة « المقاومة » •

« ولكن فيما يتعلق باللاجئين الذين كانوا يعيشون فى غزة وفى سوريا الخ والذين كان الفدائيون يجندون من بينهم ، فان مقارنة السيد بيرار تعتبر غير صحيحة مطلقا • »

٩ ـ ج • سوستيل :

« كلا على الاطلاق • ليس هناك أى وجه للشبه أن الارهاب الفلسطينى ينبغى البحث عن أصوله فى السنوات التى سبقت الحرب الكبرى ، فى الوقت الذى كان فيه مفتى فلسطين يبذل كل جهده لاثارة هذا الارهاب ، ففى هذا العهد كانت هناك سلسلة من أمواج الارهاب التى زحفت على المدن وعلى أهداف منعزلة ، لقد كان هذا هو المصدر الحقيقى لحركة الارهاب ، التى ترجع الى العهد الذى

استوطن فيه الصهيونيون فلسطين ، ومن الواضح أنه ليس ثمة أى وجه للتشابه بين هذه الظاهرة ، ورد الفعل لدى الفرنسيين المحتلين الذين كانوا يدافعون عن أنفسهم ضد الجيش الهتلرى ..

« أما فيما يتعلق بالارهاب الذى يحدث فى الأراضى التى تحتلها اسرائيل منذ شهر يونية ١٩٦٧ فانه غير موجود تقريبا . وكيف نتكلم عن « المقاومة » اذا عرف ان أعمال الفدائيين الفلسطينيين تحدث سواء فى الخارج (فى أثينا وفى زيوريخ) أو فى وسط تل أبيب أو القدس؟؟

« لقد زرت منذ وقت قريب «[١]» الأراضى المحتلة واستطيع أن أذكر لكم انه لم يكن يوجد هناك أى أثر للارهاب ، أو للاحتلال ، لقد طفت طويلا بالسيارة عبر تلال منطقة «السامرة» وسهل «جوديه» اليهودية فلم أشاهد جنديا اسرائيليا واحدا ... »

١٠ ــ ل . تيرنوار :

« من الطبيعى التحدث عن المقاومة . وأعتقد انى تكلمت عنها بوضوح «[٢]» . وهذا شىء طبيعى حيث أن هذه المنظمات الفلسطينية تمثل الشعب الفلسطينى ، وهذا التمثيل منبثق بصفة جوهرية من الوسائل التى يستخدمها الاسرائيليون (لأن النظام يخلق التضامن) وهى وسائل تختلف عن الوسائل التى كان يستخدمها النازى ولكنها خطيرة مثلها .

« لقد كان جنود هتلر يقتلون . وجنود تساهال (جيش الدفاع الاسرائيلى) يقتلون هم أيضا ، ولكنهم بصفة خاصة يدمرون منازل جميع العرب المشتبه فيهم ومنازل أقارب رجال المقاومة .

« لقد اعتقلنى رجال الجستابو مرتين فى منزلين مختلفين : ولو كان الاسرائيليــون هم الذين اعتقلونى لدمروا المنزلين ، ولدمروا منزل

---

(١) قابلنا مسيو سوستيل فى السادس من فبراير عام ١٩٦٩ .

(٢) انظر تصريحات ل . تيرنوار عن اللاجئين الفلسطينيين التى سبق الاشارة اليها . (المؤلف)

أقاربى أيضا اذا حامت الشكوك حولهم فى انهم آوونى لديهم أو قدموا لى المساعدة •

« وينبغى أن تعترفوا بأن ثمة ما يثبط همة الناس فى بلاد لا توجد فيها أحراش أو أدغال بعكس ما كان عليه الحال فى الجزائر التى نعرفها وحيث كانت طبيعة الأرض ملائمة « للمقاومة » •

« وعلاوة على ذلك بأن أعيان الفلسطينيين الذين يؤيدون المقاومة، يتعرضون للطرد من جانب الاسرائيليين • وهكذا فانه لن يبقى بعد قليل سوى الأعيان الذين يقبلون أن يعيشوا كما كان يعيش الشبان الفرنسيون فى ظل « الاحتلال الالمانى » طبقا لأسلوب حكام فيشى انتى لا أقول انهم « متعاونون » ، لأنى لا أعتقد أنه يوجد كثير منهم بين الفلسطينيين ، ولكن يوجد رجال من طراز هؤلاء الفرنسيين الذين كانوا يعيشون فى ظل حكومة فيشى ولسان حالهم يقول : يجب أن نتهادن •

« وفى هذه الظروف من السهل القول أن منظمات المقاومة لا تمثل الشعب الفلسطينى : اذ ليس هناك استفتاء شعبى • فكيف يمكن التأكد من ذلك ؟ » •

١١ ــ ج • دوهاميل :

« أعتقد أنه توجد دوامة ومن الممكن أن توجد فى كل مكان وتتألف من الانتصار ، والاحتلال ، والمقاومة ، وعمليات الانتقام • ان الاحتلال يؤدى بالضرورة الى ردود فعل والى أعمال قمع وأعتقد أن الشعب اليهودى والدولة الاسرائيلية يحسان بمخاطر ذلك أكثر من أى شعب أو دولة أخرى • ان اسرائيل التى ولدت فى القمع لاتستطيع أن ترى نفسها وقد لجأت الى القمع • وانطلاقا من هذه النقطة فان السيد جيرار مخطىء من الوجهة الفلسفية وان كان على حق فيما يتعلق بالأمر الواقع •

« ان هناك مشكلة فلسطينية ، ومن العبث انكار ذلك ، واعتقد

ان حل هذه المشكلة لا يمكن ايجاده بطريقة سليمة ودائما الا اذا نشأ بين اليهود والفلسطينيين اتفاق بين النفوس أكثر منه اتفاق بين القوى. ان أولئك وهؤلاء مدعوون لأن يعيشوا على نفس الأرض : وهــذا التعايش ممكن حيث أنه كان قائمــا فى داخــل الدولة اليهودية فى حدودها التى كانت موجودة يوم ٤ يونية ١٩٦٧ حيث كان ٣٠٠ ألف عربى اسرائيلى يواصلون الحياة بذكاء وحصافة مع مواطنيهم اليهود دون أن يكون هناك ارهاب أو مآسى ... »

١٢ ــ ر . روسيه :

« ان ســؤالكم يوضــح الموقف الحــالى . ان ظهور الارهاب الفلسطينى كان نتيجة ما يمكن تسميته اليسار العربى : الجزائريون والسوريون ... لماذا ؟

« عندما تحدثت مع بن بيلا ، فى عهد حكمه ، كان منطقه واضحا جدا . فقد قال : « ان الصورة التى يتخيلها العالم للنزاع الاسرائيلى العربى هى صورة «دولة» صغيرة يحيط بها عرب كثيرون ويسيطرون عليها ، ولكن هذه الصــورة خاطئة ، لأن القضــية الفلسطينية تهم الفلسطينيين فى المقام الأول ، وليس الدول العربية . وهذه الســمة يجب أن تكون واضحة . ولهذا فانه يجب على الفلسطينيين أن يفعلوا ما فعلناه : لقد أنشأنا جيشنا الخاص ضد الفرنسيين وليست تونس أو المغرب أو مصر هى التى خلقت المشكلة الجزائرية . لقد كانت من صنعنا نحن .

« وعلى ضوء هذا التفسير يمكن فهم المناقشــة الحقيقية بطريقة أفضل ان أعمال الفدائيين موجودة لأنهــا تعتبر فى نظر الفلسطينيين أفضل وسيلة لجذب المسألة الفلسطينية من مجموع المشاكل العربية وجعلها فقط المسألة الوطنية والاجتماعية لتحرير فلسطين .

١٣ ــ م . حبيب ــ دلونكل :

« توجد عملية حتمية . احتلال طويل تثير رد فعل من جانب الذين

يعانون الاحتلال . ورد الفعل هذا يسمى « المقاومة » عندما يحدث داخل الأراضى المحتلة . فاذا لم يستطع أن يحدث فيها فانه من الطبيعى أن يلجأ الى أراضى فى الخارج بعيدة عن تأثير سلطات الاحتلال . وهكذا فان « المقاومة الفرنسية » استندت الى انجلترا التى كانت بمنأى عن الاحتلال الالمانى ، ومثل هذا حدث أيضا بقدر ما ، وان كان التشبيه مؤلما بالنسبة للفرنسى ، أثناء التمرد الجزائرى الذى استند الى بلاد كانت بعيدة عن السيطرة الفرنسية .

« وعلى ضوء هذه الصورة فقد كان من المحقق تماما منذ أن احتل الاسرائيليون الضفة الغربية للأردن بصورة مستمرة أن تحدث ردود فعل داخلية فى هذه المنطقة ، وهى ردود فعل تستند على البلاد التى ليس لاسرائيل تأثير عليها .

« ان هذا يبدو فى نظرى بمثابة قانون تاريخى ومن الممكن التكلم عن المقاومة .

« قبل يونية ١٩٦٧ كان الأرهاب موجودا بالتأكيد ، ولكن لم تكن له نفس الطبيعة أو نفس الجسامة ، لقد كان مجرد أرهاب يقوم على الغارات الخارجية ضد السكان الاسرائيليين وضد المستعمرات ، ومع هذا فان مما له دلالة أن أخطر الاعتداءات كانت تقع سواء فى القدس العربيـة أو فى الضـفة الغربيـة للأردن ولا يعرف شىء عن وقوع اعتداءات (باستثناء المظاهرات الملفتة للنظر للارهاب الخارجى) فى تل أبيب أو حيفا ، أى باختصار فى قلاع اليهودية »[1] .

« وعلى هذا النحو ، فانه فى أثناء المقاومة الفرنسية لم يهاجم أحد سكان برلين ، ولكن على العكس كان الهجوم مقصورا على المنطقة التى يحتلها العدو .

« ومن الصعب اصدار حكم أدبى على العمليات الانتقامية التى

---

(١) ان الاعتداءات التى تقوم بها منظمة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فى تل أبيب وفى القسم « اليهودى » من القدس انما يثبت ذلك . (المؤلف)

تحدث نتيجة أعمال المقاومة الفلسطينية ، ومن الممكن أيضا اصدار حكم على أعمال المقاومة ذاتها على زعم انها أعمال عنف وان أى عنف يعتبر موضوع استنكار •

« ولكننا ندرك ما هى العواقب المحتومة للاحتلال •

« ان ما اعتقده ، وهو أنه يجب على الاسرائيليين أن يزنوا نتـائج أعمالهم الانتقامية • ان اطلاق بضع قنابل على الضفة الشرقية لنهر الأردن قد يعتبر اجراء متناسبا مع الأعمال الارهابية ، ولكن قصف أهداف بالقنابل داخل أراضى الجمهورية العربيـة المتحدة ذاتها — حيث يوجد أخصائيون سوفيت وقطع المواصلات بين وسط الأردن والبحر الأحمر فان هذا يتجاوز فى نظرى الى حد كبير جـدا حجم الغارات الارهابية ، ويهدد بأن يكون بمثابة استفزازات جديدة لاثارة الحرب •

« ان غلطة اسرائيل هى انها تضرب الحكومات العربية وتدفعها الى التضـامن مع الارهابيين المتطرفين • وهـذا يخلق اندماجا محزنا • والمعروف الآن جيـدا جـدا أن مصر والأردن تقبلان وجـود دولة اسرائيل • والدول العربية بها أيضا من يتمردون «[1]» على هذا الموقف، هذا كل ما فى الأمر • »

١٤ — ر • تريبوليه :

« يوجـد مظهران للمشـكلة ينبغى التمييز بينهما : فمن الوجهة « النظرية » من الصعب انكار أن هؤلاء الذين يقـاتلون لا يمثلون أحدا على الاطلاق وسواء كانوا ارهابيين أو من رجال المقاومة فانهم يعرضون حياتهم للخطر وهم بهذه الصـفة لهم نفوذ بالضرورة على السكان ، ولكن اذا عرف ان بعض المجالس البلدية العربية تقبل العمل

استخدام المؤلف كلمة ((أصحاب الاقدام السـوداء)) التى كانت تستعمل لوصف المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر .   (المترجم)

مع الاسرائيليين فان هذا يشكل بدون شك أملا بالنسبة للمستقبل •

« ولكن الحل « العملي » للارهاب الفلسطينى هو حل عسكرى : وهو ما تفعله اسرائيل فى شكل أعمال يقوم بها رجال «الكوماندوز» فى الأراضى العربية • وقد ابتكر هذه الوسيلة الجنرال الانجليزى المشهور « ونجيت » الذى تمكن بالتعاون مع « الهاجاناه » خلال الحربين العالميتين ، من وقف كل أعمال الارهاب العربية • ولكنى أعتقد أن الحل القائم على العمليات الانتقامية وان كان فعالا جدا من الوجهة الفنية ، فأنه خطر من الوجهة السياسية ، وان كان الرأى العام الدولى ــ المستعد دائما لتقبل كل أنواع السخط وكل مظاهر القلق ــ قد يتأثر بذلك •

١٥ ــ ج • موزفيل :

« آه لا • كلا مطلقا ••• ليس هناك أى تشابه بين الارهاب الفلسطينى والمقاومة الفرنسية • ان المقاومة الفرنسية كانت تعنى ارادة الفرنسيين فى تحرير بلادهم من سيطرة المحتل الذى كان يمارس ألوانا من الطغيان كما كان يمارس ارهابا حقيقيا ثار ضده رجال المقاومة فى بلادنا ، وكان الارهابيون هنا هم النازى •••

« أما الارهاب الفلسطينى فهو على العكس يعتبر نوعا من المعارضة من جانب الفلسطينيين تجاه انشاء الدولة الاسرائيلية • وهذا الارهاب الذى بدأ أثناء الحرب بتحريض رجال ميولهم نحو هتلر معروفة جدا (وكان من بينهم مفتى القدس) كان الهدف منه الكفاح ضد اليهود على اعتبار انهم يهود والقيام بعمل عنصرى يمكن مقارنته بالعمل الذى قام به هتلر ذاته ضد اليهود •••

« وينبغى من جهة أخرى أن يضاف الى ذلك ان هذا الارهاب خلقه رجال كانوا يحلمون بممارسة السلطة السياسية والاحتفاظ ببعض المزايا • ان هذا ارهاب سياسى خلق واستمر بطريقة مصطنعة ، وليس ثمة ما يسمح ، كما سبق أن قلت ، بمقارنته « بالمقاومة » •

« ولـكن فى مقابل هـذا الارهاب السـياسى هنـاك الارهاب الذى نشـأ منـذ « حـرب الأيام السـتة » فى الأراضى المحتلة . ان بعض الفلسطينيين وطنيون حقيقيون ، يأملون أن يروا بلادهم وقد تحررت من « الاسرائيليين » الذين يعتبرونهم اعداء لهم، وكذلك الى حد ما من « اليهود الذى يرون فيه عدوا لهم من الناحية الدينية . »

ملحق

المنظمـــــات الفلســطينية الرئيســـــية

١ ـ الفتح (حركة تحرير فلسطين) :

ولدت فى عام ١٩٥٦ ، عندما احتلت اسرائيل قطاع غزة أثناء حملة السويس ، ورئيسها ياسر عرفات ، الذى يطلق عليه اسم أبو عمار ، فلسطينى متمرد بسبب استغلال الدول العربية للاجئين • وشعاره المحبب لديه « فلسطين للفلسطينيين » •

ومنذ بداية عام ١٩٦٥ بدأت الفتح سلسلة طويلة من الاعتداءات وأعمال الارهاب فى اسرائيل بواسطة فرعها العسكرى : « العاصفة »

وقد جاء فى أحد المنشورات الأولى التى وزعتها الفتح فى شهر ـ فبراير ١٩٦٥ فى شوارع دمشق وبيروت ان « أعمال الارهاب هدفها تحويل الامة الفلسطينية من جماعة من اللاجئين المردين الخاملين الى شعب مقاتل يعمل بوسائله الخاصة وبطرق تلائم مصالحه • »

والفتح لها اليوم أغلبية كبيرة فى اللجنة التنفيذية الجديدة لمنظمة تحرير فلسطين (التى انشأها أحمد الشقيرى فى عام ١٩٦٤ تحت رعاية الجامعة العربية ، وخاصة تحت رعاية مصر ، والواقع أنه فى شهر يناير ١٩٦٩ أوقفت منظمة التحرير الفلسطينية نشاطها،بعد أن‌أخذ يزداد فيها بالتدريج عدد العاطفين على حركة الفتح ، وقررت أن تكون بمثابة « اطار للوحدة الفلسطينية » أى أن تستقبل داخلها جميع منظمات

الفـدائيين لكى تجعلهم يستفيدون من وضعها الرسمى ومن أموال دول الجامعة العربية •

والفتح يتزعمها ياسر عرفات والذى يرأس فى نفس الوقت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لها أيضا ٣٣ مقعدا من ١٠٥ مقاعد يتألف منها المجلس الوطنى الفلسطينى ، وهو نوع من البرلمان تمثل فيه نظريا جميع الحركات الفلسطينية •

٢ ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :

ولدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فى شهر نوفمبر ١٩٦٧ نتيجة اندماج منظمة « أبطال العودة » (التى انبثقت هى أيضا نتيجة استياء بعض أعضاء منظمة تحرير فلسطين ، فى ظل نظامها القديم ؛ من عـدم صلابة حكام القاهرة) مع جبهة تحرير فلسطين (وهى حركة كوادر أنشئت كحزب سياسى فى عام ١٩٦٤ ودخلت حرب العصابات فى نهاية ١٩٦٦ ، وقد تم هذا الاندماج بينهما قبل حرب يونية ١٩٦٧ مع حركة « شباب الثأر » وفى عام ١٩٦٨ انضمت « حركة الضباط الأحرار » الى الجبهة •

وقد تخصصت هذه الحركة فى تحويل الطائرات المدنية الاسرائيلية عن مسارها ، والهجوم بالمدافع الرشاشة على ركاب هـذه الطائرات ووضع القنابل الزمنية فى الأسواق الكبرى والأماكن العامة الاسرائيلية الأخرى •

وقد قاطعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أعمال المؤتمر الوطنى الفلسطينى الذى عقد فى القاهرة فى بداية شهر فبراير ١٩٦٩ حيث ظلت الاثنى عشر مقعدا التى خصصت له خاليـة ، وقـد ترتب على امتناعها من حضور اجتماعات المؤتمر عدم تمثيلها فى داخل اللجنـة التنفيذية الجديدة لمنظمة تحرير فلسطين •

وهذه الجبهة التى تعتبر الفرع العسكرى لحركة الوطنيين العرب

التى يرأسها الدكتور جورج حباش كانت تتنازعها دائما جماعتان متنافستان « جناح يسارى » ماركسى لينينى يرفض أى حوار مع منظمة الفتح وأى اتفاق مع الحكومات العربية القائمة ، ويرأسه السيد نايف الحواتمة ، « وجناح أكثر اعتدالا » يتزعمه الدكتور حباش •

٣ ـ فى ٢٣ فبراير ١٩٦٩ حدث انشقاق داخل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :

حيث نشأت فى داخلها منذ ذلك الوقت منظمة فلسطينية جديدة مؤلفة من الجناح الماركسى للحركة واتخذت لها اسم « الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين » ، وهدفها هو : « اشعال الثورة العربية الكبرى » ••• وزعيمها هو السيد نايف الحواتمة •

٤ ـ الصاعقة :

هذه جماعة صغيرة يسيطر عليها من بعيد البعثيون فى دمشق والصاعقة التى تملك ثلاثة مقاعد داخل المجلس التنفيذى لمنظمة التحرير الفلسطينية هى المنظمة الوحيدة التى تلقى تسامحاً من جانب سوريا ومع هذا فان معظم عملياتها تحدث انطلاقاً من وادى الأردن ومن لبنان •

٥ ـ جيش التحرير الفلسطينى :

هذه المنظمة تتابع العمل السياسى والعسكرى لمنظمة التحرير الفلسطينية القديمة • وقد قاطعت هى أيضا أعمال المجلس الوطنى الفلسطينى وذلك على أساس أن المقاعد الخمسة التى خصصت لها لا تعتبر كافية فى نظرها ، وهى غير ممثلة بالتالى فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية فى شكلها الجديد • والمراقبون السياسيون متفقون فى القول أن جيش التحرير انفلسطينى لن يستطيع ، نظرا لاعتماده من الوجهة المالية على منظمة التحرير الفلسطينية أن يمارس طويلا عملا ذاتيا •

ملحوظة :

في المجلس التنفيذي لمنظمة التحرير الفلسطينية :

ـ الفتح لها أربعة ممثلين يضاف اليهم ثلاثة مستقلون لهم ميول مع الفتح •

ـ الصاعقة لها مقعدان بالاضافة الى مقعد مستقل يؤيد أعمالها •

ـ العضو الحادي عشر للمجلس التنفيذي مستقل •

الفصل الثانى

الامبريالية الاسرائيلية ؟

اسرائيل موجودة ، ويجب مساعدتها
(مثل أمريكى)

لمحاربة اسرائيل ، يجب بالتأكيد امتلاك الوسائل اللازمة لذلك ولكن بصفة خاصة الأسباب ، وفيما يتعلق بهذه الأسباب فان العالم العربى يدعى أنه وجدها فى « انشاء » اسرائيل ، وفى « السياسة » التى تتبعها الدولة اليهودية منذ انشائها ومع هذا فان الأمر يتعلق بظاهرتين مختلفتين تماما • أما الظاهرة الأولى فانها لم تعد اليوم موضع جدل على الاطلاق الا من جانب الفلسطينيين الذين « نسوا » ان الدولة اليهودية قد انبثقت من ارادة المجتمع الدولى وأصبحوا يعارضون هذا « النتاج » الذى صنعه الاستعمار الغربى ، ويحاولون والسلاح فى أيديهم أن يطمسوها فى الرمال •

ان الدول العربية التى يقتصر همها الوحيد ـ كما رأينا على استرداد الأراضى التى استولت عليها اسرائيل فى شهر يونية ١٩٦٧ تؤيد التصريحات التى يدلى بها زعماؤهم « التقدميون » عندما يعلنون ، كما فعل الرئيس عبد الناصر ، (فى حديثه مع صحيفة نيويورك تايمس فى مارس ١٩٦٨ •

« ان أحدا لا يستطيع أن يقبل التوسع الاسرائيلى (•••) ولكننا نقبل حدود الدولة اليهودية التى كانت قائمة فى مساء يوم ٤ يونية ١٩٦٧ • »

« أما الظاهرة الثانية فانها أكثر تعقيد : فالنقد الموجه للسياسة الاستعمارية الاسرائيلية يستخدم فى الواقع كهدف من جانب الدول

العربية ومن جانب الفلسطينيين على السواء • فهذا النقد تستخدمه الدول العربية لتبرير عدائها لعــدو منتصر يرفض التخلى عن مواقع القــوة دون الحصــول على ضــمانات حقيقيــة ، أما الفلسطينيون فيستغلونه لتبرير القتال ــ وهم يغطونه بستار أيديولوجى غامض ــ الذى يشنونه ضد الدولة الاسرائيلية من تل أبيب حتى زيوريخ ومن نابلس الى أثينا ••• »

ــ ١ ــ

اسرائيل هل هى ظاهرة استعمارية ؟

ان المدافعين عن وجهــات النظر الاسرائيلية لا يترددون مطلقا فى تأكيد أن شراء المهاجرين اليهود لأراضى العرب فى فلسطين منذ نهاية القرن التاسع عشر كان عملية مربحة جدا للعرب • وهذا بالتــأكيد ينطوى على جانب كبير من الحقيقة وثمة معطيات احصائية فى هــذا الصدد يبدو أنه من الصعب وصفها •

ان الأراضى التى اشــترتها المنظمات الصــهيونية كانت فى أغلب الأحيان أراض قاحلة ، تكثر فيها المستنقعات ، وهى صحراوية تقريبا (وذلك على عكس نوع الاستيطان الذى مارسته فرنسا فى الجزائر حيث كانت جميع الأراضى الخصبة يزرعها سكان البلاد الأصليون) ورغم عــدم جودة هــذه الأراضى الفلسطينية فقد كانت المنظمات الصــهيونية تدفع مقابلها أسعارا عالية لملاكها (وهم من الاقطاعيين الأتراك أو السوريين الذين كانوا يعيشون بعيدا عن ممتلكاتهم) • وبعد أن كان ثمن هكتار الأرض ٨٠ فرنك ذهباً فى عام ١٨٨٢ أصبح ثمنه ٢٤٠ فرنك ذهباً عام ١٩١٤ ثم ارتفع الى ٢٤٠ جنيهاً استرلينياً فى عام ١٩٣٥ •

ومن رأى المدافعين عن وجهات النظر الاسرائيلية أن طريقة شراء هذه الأراضى طبقا للقوانين التقليدية المتعلقة باقتصاد السوق تسمح

اذن باستبعاد الاتهامات الموجهة ضد الصهيونيين حيث انهم لم يفكروا مطلقاً فى الاستيلاء على الأراضى ، على عكس ماكان يفعله الاستعمار عادة •

وهكذا فان المبالغ التى حصل عليها الملاك العرب سمحت لهم باستثمار الأراضى التى لم يبيعوها للصهيونيين ، واحتفظوا بهذه الأراضى لاستعمالهم الشخصى • وهكذا ازدادت مساحة أراضى الحمضيات التى يملكها العرب من ثلاثة آلاف هكتار الى ثمانية آلاف هكتار فى خلال خمس عشرة سنة (من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٣٧) ، بينما ازداد الانتاج الزراعى بالنسبة لكل فرد من السكان العرب خلال نفس المدة من أربعة الى سبعة جنيهات استرلينية •

ومن جهة أخرى فانه يجب عدم اغفال ان استصلاح البلاد على أيدى اليهود أسفر عن زيادة كبيرة فى عدد السكان العرب ، كما أن تطور الصناعة والزراعة والموانىء الذى يرجع الفضل فيه أيضا الى اليهود ــ جذب الى فلسطين عدداً كبيراً من العرب من سوريا وشرق الأردن ومصر ، (وقد تدفق مثلا على فلسطين فى عام ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ خمسة وعشرون ألف فلاح سورى)[١] • ومن هذا يتبين أن عدداً غير القليل من العرب « الفلسطينيين » الذين يجند اليوم من بينهم الفدائيون الشبان فى « الفتح » أو فى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هم فى الحقيقة من نسل هؤلاء المهاجرين •

ولكن قائمة هذه الوقائع لا تكفى رغم ما فيها من عناصر ايجابية لكى تظهر للفلسطينيين بأنهم على خطأ عندما يؤكدون ان انشاء اسرائيل هو مثال نموذجى للواقع الاستعمارى •

« ــ كل شىء يكون لمن يجعله أفضل •

« ــ الطفل للقلوب المحبة لكى يكبر جيدا •

« ــ والعربة للسائق الماهر ،

« ـ لكى لا تنقلب فى الطريق .

« ـ والوادى يملكه من يرويه

« ـ لكى تنبثق أفضل الفواكه من الأرض . »

ان هذه النبؤة غير المقصودة التى قالها برنجت فى مسرحيته « دائرة الطباشير القوقازية » يرد عليها الفلسطينيون قائلين : « اننا غير مسئولين عن أوشوتيز . ان اليهود مستوطنون وفدوا من الخارج . اننا ، نحن الذين لم نبع أراضينا لأننا لم نكن من أصحاب الأملاك ضحايا الصهيونية . ان الأرض يجب أن تكون لهؤلاء الذين لا يملكونها . »

فأية حجة من هاتين الحجتين ينبغى أن تتغلب على الأخرى ؟ ان النظرية العربية ليس فيها سوى عيب واحد ، ولكنه عيب هام . هذا هو ما يقوله الاسرائيليون فهذه النظرية تجعل تاريخ العلاقات بين اليهود والعرب يرجع الى عام ١٩١٧ ، منذ توقع تصريح بلفور ، مع أن تاريخ هذه العلاقات يبدأ قبل غزو فلسطين بواسطة الجيوش العربية عام ٩٣٤ .

ان اليهود لم يرحلوا ـ كما قد يفعل المستعمرون من موطنهم الأصلى (أوروبا) لكى يستقروا فى أرض (فلسطين) ويغتصبوها من سكانها الوطنيين (عرب فلسطين) . بل على العكس ، فانهم قرروا ترك قارة كانوا يحسون فيها انهم غرباء ، وكانوا عرضة للاضطهاد فيها باستمرار ، وذلك لكى يستقروا فى « أرضهم » على التربة التى أثبت التاريخ أنهم ولدوا فيها (١) . وهكذا فان انشاء اسرائيل يبدو فى نظر اليهود ليس بمثابة مولد ، وانما بمثابة « بعث » ، وليس كغزو ، وانما كعودة انتهت معها مرحلة النفى الطويلة .

---

(١) انظر القسم الخاص بالتطور الزمنى للاحداث فى آخر الكتاب والذى يظهر :

(ا) عودة اليهود المشتتين الى فلسطين منذ القرن الثانى عشر .

(ب) وجود محاولات للبعث الوطنى فى وقت مبكر (دافيد روبين . ساباتى ريفى)

ولكن خصوم الدولة اليهودية يؤكدون أن اسرائيل ليست فقط مستوطنة للسكان تتكون من أجانب قدموا للاقامة فى أرض يعيش فيها وطنيون ، وانما هى أيضا مستعمرة لاستغلال السكان المحليين • ان طبيعة المجتمع الاسرائيلى حتى قبل عام ١٩٤٨ ــ لا يطابق مطلقا مثل هذه التأكيدات لأن تقدم فلسطين لم يتحقق ــ كما هو معروف ــ الا بفضل العمل اليدوى للمهاجرين اليهود (سكان المستعمرات) كما ان اسرائيل كانت تمارس دائما ولا تزال تمارس اليوم سياسة اقتصادية تقوم على أساس الاستيطان السريع ، طبقا لمبدأ : « لا ينبغى أن تجعل الآخرين يزرعون أرضك ، سواء كان هؤلاء من اليهود أو من العرب • »

هل انشاء اسرائيل حدث استعمارى ؟

هذا هو السؤال الذى وجهناه الى زعماء من جميع الاتجاهات السياسية الفرنسية ، وسيدرك القارىء بسهولة ــ وهو يتصفح أجوبتهم ــ الى أى حد وصل الخلاف التقليدى بين اليمين واليسار ــ حول هذا الموضوع المؤلم الجدير بالسخرية والاستهجان •

١ ــ ل • تيرنوار :

« كيف تستطيع الدول العربية أن تقبل اسرائيل ، هذه الدولة العنصرية التى تقوم على أساس الدين اليهودى ، والتى تستبعد أية مساواة حقيقية بين العرب واليهود الذين يعيشون فوق أراضيها ؟ أنها لا تستطيع قبول ذلك ، لأن اسرائيل جسم أجنبى أدخل فى الشرق الأوسط •

« وفى هذا العهد الذى تبذل فيه الجهود لتصفية الاستعمار ، تبدو الدولة اليهودية كعنصر استعمارى يسير ضد التاريخ » •••

« ان اسرائيل تجمع كل خصائص الظاهرة الاستعمارية • فهى تتألف من أناس قدموا من الخارج ، وخاصة من أشخاص كانوا أوربيين منذ الفى عام وقد استقر هؤلاء الناس فى فلسطين بفضل

أموال القوى الرأسمالية الكبرى فى العالم ، وأخيرا فان الدولة اليهودية تطالب دائما بهجرة اليهود اليها •

« فكيف تريدون ، فى هذه الظروف ، أن تقبل الدول العربية ــ اللهم الا على أساس الأمر الواقع ــ وجود هذه الدولة التى قامت على أساس العنصرية اليهودية •• »

٢ ــ ج • موزفيل :

« هل اسرائيل واقع استعمارى ؟ كلا على الاطلاق • ان الأمر لا يتعلق مطلقا باحتلال بلد أجنبى بواسطة أناس غرباء عن هذا البلد• وانى أضيف الى ذلك ان التاريخ والدين اليهودى والدين المسيحى ، وكل هذا يثبت ان اليهود عاشوا فى فلسطين خلال آلاف السنين بوصفهم « من سكان البلاد الأصليين » • وبعد النفى الذى عانوه فى الشتات عادوا الى أرض آبائهم • وهم لم يقوموا بغزو بقصد الاقامة فى هذه البلاد ، بل على العكس ، فقد استقروا فى الأرض التى منحها لهم المجتمع الدولى للعمل فيها وبناء دولة لا تنتج فقط لاستهلاكها الخاص ولكن لكى تصدر أيضا • هذا بينما لم تكن فلسطين بالأمس سوى صحراء قاحلة ••• »

٣ ــ م • روكار :

« اذا نحن فحصنا عملية انشاء الدولة الاسرائيلية فاننا نلاحظ أن الأمر يتعلق بمظهر من مظاهر الاستعمار الأوربى : غزو عسكرى للأراضى أو شرائها من الأعيان المحليين • واخضاع السكان المحليين لسيطرتها اذا لم يمكن طردهم • وانشاء اقتصاد يعتمد اعتمادا كليا على الدول الغربية الكبرى •

« كما ان الطبقة البورجوازية الحاكمة الآن فى اسرائيل تتبع ، تحت ستار « الاتحاد الوطنى » سياسة تتسم بجميع خصائص الأمبريالية العدوانية للغاية : ضم الأراضى ، والاحتلال العسكرى ، وعمليات الانتقام الوحشية وسياسة القوة ، الخ •

« ولم يبق أمامنا سوى أن نقبل ، كما فعـل الحزب الاشتراكى الموحد (الفرنسى) خلال مؤتمره الأخير ، وجود السكان الاسرائيليين على أرض فلسطين كواقع لا مناص منه • ومن الواضح فى الحقيقة أنه بخلاف ما حدث فى شمال افريقيا مثلا ، فان استيطان اليهود فى فلسطين كان نتيجة وفـود أقوام من دول عديدة فى الغرب والشرق معا ، وليس من دولة معينة يمكن أن يطلق عليها اسم الوطن الأم •

« وبناء على ذلك فان أية فكرة تهدف الى اجراء عملية نقل جماعى للسكان اليهود فى اسرائيل تعتبر فكرة مجردة ولا يمكن أن تشكل حلاً واقعياً أو مقبولاً • وأى حل للأزمة الحالية يجب أن يضع هذه الحقيقة موضع الاعتبار • »

٤ ـ ج • سوستيل :

« هل كان يمكن عمل شىء آخر غير انشاء اسرائيل ؟

كلا بالتأكيد ، وتاريخ الصهيونية يقدم الدليـل على ذلك • ان اليهودية بوصفها حضارة كانت متفرقة ، ولكنها لم تتوقف مطلقاً عن اثبات وجودها ، وهذه ، وأنى أتكلم كمؤرخ ثقافات ـ حالة تعتبر استثنائية • ولا يوجد مثال آخر لحضارة استمرت طوال ألف وثمنمائة عام وبضعة أعوام أخرى ، دون أن يكون لها أرض أو دولة تمتلك جميع الخصائص الأساسية للثقافة بالمعنى العلمى لهذا التعبير • وكان لزاماً على هذه الحضارة ، ان عاجلاً أو آجلاً ، أن تتجسد مرة أخرى فى مكان ما ، ولم يكن هـذا ممكناً الا فى فلسطين • ان هذا بمثابة بعث ، وتفتح جديد لبـذور لم تتوقف مطلقاً عن الحياة لأنه ، كما تعرفون ، منذ سقوط القدس فى ظل حكم هادريان حتى عام ١٩٤٧ ، كان هنا دائماً سكان يهود فى فلسطين ، فى صفد ، وفى طبرية • »

٥ ـ ر • اندريو :

« فى البداية ، كان الفضل فى انشاء وطن قومى لليهود يرجع الى

الاستعمار البريطانى الذى نفذ عمليا القاعدة التقليدية « فرق لكى تسود » •

« وعقب ذلك اضطرت دولة اسرائيل الى التماس الحماية العسكرية من الدولتين الاستعماريتين التقليديتين (فرنسا وبريطانيا) فى عام ١٩٥٦ ، ومن زعيمة المعسكر الامبريالى (الولايات المتحدة) فى عام ١٩٦٧ •

« وحكام اسرائيل يلعبون فى الفترة الحالية بالشرق الأوسط دور الاداه لخدمة الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة• فهم يساعدون واشنطن فى جهودها من أجل عرقلة حركة تحرير الشعوب العربية • وفى مقابل ذلك فان الولايات المتحدة ترد الجميل بتأييد التوسع الاسرائيلى على أساس المبدأ القائل • خذ وأعط ••• والواقع ان الدولة الاسرائيلية لم تتوقف منذ انشائها عن مد نطاق حدودها بحيث تجاوزت بدرجة كبيرة جداً الحدود التى سبق أن عينتها الأمم المتحدة • ومع هذا فأن بعض المسئولين فيها يعتقدون ان هذه العملية لم تنته بعد ، ولا يخفون طموحهم فى انشاء امبراطورية تمتد من النيل الى الفرات •

« ومع هذا فانه حتى اذا كان انشاء اسرائيل فى البداية عمل استعمارى كما يعتقد البعض ، وحتى اذا كان توسعها يؤيد هذه النظرية ، فاننا نعتقد ان اسرائيل اليوم حقيقة تاريخية وانسانية يجب أن توضع فى الاعتبار ، ولهذا فاننا نؤيد اجراء تسوية سياسية تقوم على أساس الحقوق الوطنية المشروعة للشعوب العربية بما فى ذلك شعب فلسطين العربى ، وكذلك حق شعب الدولة الاسرائيلية فى البقاء » •

٦ ــ ج • دوهاميل :

« لقد كان انشاء اسرائيل عملاً طيباً • ان المسألة اليهودية تمثل شيئاً ما فى نظر أبناء جيلى الذين استيقظ ضميرهم السياسى مع

الحرب . اننى أعرف انه يوجد أناس يجدون أنه من العار اقامة علاقة سببية ، وليس زمنية ، بين أوشوتيز وتل أبيب .. ومهما قيل فان ملحمة « الخروج » هى التى أنشأت دولة اسرائيل وان الحرب الى حد كبير جعلت هذه الأرض الموعودة هي أرض يستحقها اليهود . وانى أشعر ، فى هذا الصدد ، انى مسئول شخصيا عن هذه المسألة واعتقد ان هذا الحل قد فرض نفسه من وجهة النظر الأخلاقية .. »

— ٢ —

هل اسرائيل دولة امبريالية ؟

« الامبريالية الاسرائيلية » .

« الروابط التقليدية للدولة اليهودية مع القوى الرجعية فى الغرب الرأسمالى والاستعمارى » .

« التوسع الصهيونى » .

هذه كلها عبارات يستخدمها الزعماء العرب باستمرار لتحويل انتباه العالم وانتباه شعوبهم ، عن المشاكل الحقيقية ، وهم يعتقدون أنهم وجدوا الدليل الذى يدعم اتهاماتهم فى « حملة السويس » أو « العدوان الثلاثى » الفرنسى الانجليزى الصهيونى وفى « حرب الأيام الستة » وأيضا بصفة أكثر شمولاً فى التحالف الدائم لاسرائيل مع الكتلة الغربية » .

ولكن الزعماء العرب يخلطون فى كل هذه المبررات نتائج السياسة مع أسبابها ويحكمون على هدف الدبلوماسية المتبعة بالوسائل التى تستخدمها لتحقيق هذا الهدف . وليس معنى أن اسرائيل استخدمت أحياناً الدول الاستعمارية أنها قد تبنت مقاصد هذه الدول . ان الامبريالية ينبغى أن يحكم عليها بأهدافها .

(أ) ــ الامبريالية وحملة السويس (١) :

لقد اشتركت ثلاث دول حقا فى حملة السـويس ، وقد حاربت اسرائيل فعلاً الى جانب فرنسا وبريطانيا • فاذا قال أحد انه وجد فى هذا التحالف المؤقت علامات تنم عن « تواطؤ اسرائيلى امبريالى » مهما يكن نوعه فانه ينسى أن بواعث تدخـل الدولة اليهودية كانت مختلفة تماماً عن بواعث الدولتين الغربيتين •

ان فرنسا وبريطانيا ، وهما الدولتان الرئيسيتان اللتان كانتا تمتلكان أسهم قناة السويس وتشتركان سوياً فى ادارتها أيقنتا أن عبد الناصر ــ الذى أمم القناة فى يولية ١٩٥٦ ــ هو الرجل الذى ينبغى القضاء عليه • ولقد كان هذا التأميم أحد النتـائج المنطقية لدخول الحرب الباردة فى منطقة الشرق الأوسط عن طريق حلف بغـداد (٢) الذى جعل من هذه المنطقة برميل بارود حقيقى ، عمدت الدول العربية ــ التى تؤيدها الكتلة الشرقية ــ بادخال الدولة اليهودية فيه بالقوة مما اضطر هذه الأخيرة الى الرد على هذا التهديد بالهجوم ، ليس « بقصد تأخير ساعة التاريخ العربى » ولكن من أجل الدفاع عن حقها ذاته فى الوجود •

ان ايضـاحا موجزا للخلفيـة السـياسية التى يكمن أمامها الرد الاسرائيلى على الأستفزازات العربيـة سـوف يكفى لاظهار الطابع « المختلف » لهذا الرد بالنسبة لمقاصد الدولتين الغربيتين ومن جهة أخرى فانه يبدو أن الأمر الصريح الذى تلقاه جيش الدولة اليهودية بأن يبقى على بعد ١٥ كيلو متراً من القناة طبقا لبروتوكول سيفر (٢٥ اكتوبر ١٩٥٦) يؤيد هذه الرغبة فى المحافظة على «خصوصية» تدخل القوات الاسرائيلية •

وفى شهر ابريل ١٩٥٥ استطاع عبد الناصر أن يمنع دعوة اسرائيل الى مؤتمر باندونج ، وفى شهر سبتمبر ١٩٥٥ أعلن الزعيم المصرى نبأ صفقة بيع الأسلحة السوفيتية الى مصر بدون شروط ، وفى الفترة

(١) انظر الفصل الخامس الخاص بفرنسا وتصريحات السفير جيلبير •
(٢) انظر الفصل الرابع •

من نهاية عام ١٩٥٥ حتى ابريل ١٩٥٦ عقدت سلسلة من الاتفاقيات بين مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية واليمن •

وفى خلال عملية حربية خاطفة قامت القوات الاسرائيلية بطرد القوات المصرية التى كانت قد احتلت المنطقة المنزوعة السلاح ، وهى المنطقة التى كانت قد منحت لاسرائيل بمقتضى اتفاقيات الهدنة المعقودة فى عام ١٩٤٩ ، ودمرت بطاريات المدفعية السورية التى كانت تقصف من فوق مرتفعات جولان الصيادين الاسرائيليين فى بحيرة طبرية والمستوطنين اليهود فى المستعمرات الواقعة على الحدود •

وانتشرت القوات المصرية فى سيناء ، فزادت بذلك من مظاهرة الاستفزاز الذى كانت تبديها تجاه اسرائيل ، وازدادت الغارات الارهابية ضراوة وحدة (٢٥٨ ضحية اسرائيلية فى عام ١٩٥٥) •

ووجدت الدولة اليهودية نفسها فى موقف مفجع عندما منع عبد الناصر السفن الاسرائيلية من عبور قناة السويس ومضيق تيران • ويضاف الى ذلك أن شحنات الاسلحة التشيكية الى العرب ورفض الانجلو ساكسون تسليم أسلحة لاسرائيل جعل التصريح الثلاثى الصادر فى عام ١٩٥٠ والذى كان يرمى الى المحافظة على التوازن فى القوى بين اسرائيل وجاراتها عديم القيمة تماماً •

وأصبح الهجوم الاسرائيلى لا مناص منه بعد أن دخلت القوات العراقية الأردن (ولما كان العراق لم يوقع اتفاقية هدنة مع اسرائيل فان دخول قواته الى الأردن كان يشكل خرقاً للوضع القائم وانتهاكاً للمادة الأولى من اتفاقيات الهدنة الاسرائيلية الأردنية •) ثم بعد وقعت يوم ٢٣ اكتوبر ١٩٥٦ اتفاقية عسكرية ثلاثية بين مصر وسوريا والاردن تحت القيادة المصرية الموحدة • وقد اقتضى الأمر التذكير بهذه الوقائع لأنها تثبت أن الدولة العبرية لم تكن تنوى عندما تحالفت عسكرياً مع الكتلة الغربية أثناء حملة السويس أن تعتنق الى الأبد وجهات النظر الغربية ، وانما كانت تنوى مايلى ، وهو أقل عرضة للتنديد :

ـ كبر الحلقة التى كانت تضيق الخنـاق عليهـا (المعـاهدات العسكرية) والعمل على وقف شحنات الاسلحة السوفيتية التى كانت ترسل الى جاراتها •

ـ ضمان حرية وصول السفن الاسرائيلية الى ميناء ايلات ، ووضع حد لغارات الفدائيين التى أصبحت أكثر خطورة بعد حشد جزء من الجيش المصرى فى سيناء •

ثم ألم يصرح الوزير المصرى عبد الحكيم عامر فى الاسكندرية يوم ١١ يونية ١٩٥٦ ، وكان قد عين حديثا فى منصب قائد عام الجيـوش المصرية والسعودية والسورية : « ان القوات المصرية أصـبحت من القوة بحيث تستطيع محو اسم اسرائيل من خريطة العالم » ؟•••

ب ـ الامبريالية وحرب الأيام الستة :

أعلن الرئيس عبد الناصر فى يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ فى خطاب القاه فى المجلس المركزى للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب : « لقد ثارت منذ سنوات عديدة شكوك حول نوايانا الحقيقية تجاه فلسطين • لقد كنا ننتظر اليـوم الذى نصبح فيه مستعدين تماماً ••• وفى الآونة الاخيرة شعرنا اننا أصبحنا أقوياء الى درجة أنه اذا حدثت حرب ضد اسرائيل فان النصر سيكون بجانبنا بعون الله ، ولقد قررنا بناء على ذلك أن نعمل عملاً حقيقياً •• ان احتلال شرم الشيخ كان يعنى أننا سنواجه اسرائيل ، واننا مستعدون لذلك •• ان حدوث صراع مسلح بين الجمهورية العربيـة المتحدة واسرائيل شىء حتمى ، ان المعركة ستكون عامة وهدفنا الأساسى سيكون تدمير اسرائيل •• » وهكذا فانه بعد عشر سنوات كانت وعود الابادة تخيم فوق الدولة العربية • ولكن حتى لو كان عبد الناصر ليس لديه النية فى تحدى اسرائيل ، وهذا محتمل ، فهل كانت تستطيع اسرائيل المخاطرة بعدم المبـالاة بالتهديدات العربية ، بينما كانت المعاهدات العسكرية تعقد من فوق رأسها ، وكانت القوات السورية والمصرية والأردنية لا تنتظر سوى

الأمر لاكتساح أراضيها • (١)

لقد قيل كل شيء تقريبا عن أسـباب حرب يونية ، ولهـذا فاننا سنكتفى بترك الكلمة لبعض رجال السياسة الذين سألناهم • غير انه لا بد من القول انه من المستحيل وصف اسرائيل بانها « امبريالية » لمجرد انها تحتل اليوم بعض الأراضى العربية •

ان هذا يعنى ، ونقول ذلك مرة أخرى ، الحكم على أسباب النزاع بنتائجه فهل من المنطقى قبول المعادلة الدبلوماسية التالية : « دفاع مشروع + انتصار = امبريالية ؟

هل لأن الدولة الاسرائيلية انتصرت على هؤلاء الذين كانوا يريدون ابادتها يقال أنها ترغب فى التوسع ؟ ان هذا المنطق ذاته يمكن أن يؤدى الى القول ان هتلر ليس هو الذى تسبب فى قيام الحرب العالمية الثانية وانما هم الحلفاء ، حيث انها أسفرت عن احتلال برلين (٢) ••• »

١ ــ ج• مونرفيل :

لقد أعطانا رأيه عن المشكلة فى خبث ودهاء ، فقال : « اننى أعرف أن بعض الأصـوات ارتفعت بالكلام عن اسرائيـل كدولة متسلطة امبريالية • واذا استمع أحد الى رأيى فربما يعتقد انى اسرائيلى •• ومع هذا فان كل شخص يعرف اننى لست كذلك ••• ولكننى أناصر العدالة •

« انك ستخرج من عندى بعد قليل • وقد علمت أنه يوجد خلف البـاب أشخاص ينتظرونك لكى يضربوك ضرباً مبرحاً ، وأنت واحد ضد أربعة ، أو خمسة ، أو عشرة أشخاص ، فاذا أيقنت أنك اذا بدأت

---

(١) لقد أكد البعض انه كان يجب على اسرائيل قبل ان توجه طائراتهـا فى الخامس من يونية عام ١٩٦٧ لمهاجمة المطارات العربية ، أن تبعث بسفينة لها لتمر من مضيق تيران لكى تختبر مدى فعالية الحصار الذى فرضه عبد الناصر ، ويرى المراقبون فى هذا الاحجام مؤشرا على رغبة اسرائيل فى شن الهجوم ••

(٢) انظر كتاب سيمحا فلابان والنزاع الاسرائيلى العربى والنضال ضد الامبريالية ديسمبر ١٩٦٧ •

بمهاجمتهم سوف تتغلب عليه وتهزمهم ، فهل تتردد عن عمل ذلك ؟ هل تتركهم يهزمونك ويقتلونك ؟ كلا بالتأكيد •

« وهذا هو ما فعلته اسرائيل • ان « دافيد » الصغير عرف أن « جوليات » الضخم ، وهو العالم العربى ، قد استعد للقضاء عليه — وقد ردد عبد الناصر ذلك مراراً — وعندئذ أخذ نبلته وأطلقها • كل مافى الأمر أن نبلة اسرائيل كانت سلاح طيرانها •

« واليوم تقول الدولة اليهودية : « اننى لا أستطيع أن أترك العرب، مرة أخرى يحشدون قواتهم وأسلحتهم على حدودى والانتظار الى أن يأتوا ويزيلونى من على الخريطة » • هذا هو السبب الذى يوجه اليها اللوم من أجله وتوصف بأنها « استعمارية » • لماذا ؟ لانها دولة منتصرة • انى أعتقد ان قوة بالغة تجاه دولة دافعت عن حياة شعبها ، وفيما يتعلق بى فانى أرفض تسمية هذا بأنه « امبريالية » •

٢ — ل • تيرنوار :

انه يعتقد أن احتلال الدولة العبرية للأراضى العربية يعتبر من قبيل التوسع شبه البيولوجى :

« ان الاسرائيليين يدمرون فى الوقت الحالى ، المنازل العربيــة فى الأراضى المحتلة لكى يبنوا مكانها منازل لليهود •• ولو كانوا يريدون اثبات انه ليس لديهم نوايا توسعية لما تصرفوا هكذا • واعتقد ان هذا واضح جداً •

« خذ منطقة غرب الأردن مثلاً • لقد كان فيهــا ٢٠٠ ألف عربى طردوا أثناء الحرب • ولم يسمح الاسرائيليون بأن يعود اليها سوى ٨٠٠٠ شخص ، وكان ذلك بطريقة غاية فى النفاق • فقد اضطر سكان غرب الأردن لكى يعودوا الى دورهم أن يوقعوا على استمارات تحمل عنوان « الدولة الاسرائيلية ••• » كما لو كان قد أصبح فى الامكان مطالبة عربى أن يقبل ، عن طريق توقيعه ، عدم العودة الى داره الا تحت ستار الدولة الاسرائيلية ••• لقد كانت هناك حرب طرد خلالها

٢٠٠ الف شـخص من ديارهم ٠ وقـد انتهت الحـرب ، فلمـاذا لا يعودون ؟ (١) ٠

٣ ــ تحليل تريبوليه :

لقد كان تحليله للموقف مختلفا عن ذلك الى حد كبير :

« ان التأمل فى مجرى التاريخ يمكن أن يحملنا على الاعتقاد بأن عبقرية الجنس اليهودى ستقوده ، شيأ فشيئا ، الى تحقيق درجة من التقدم والرخاء تصـبح معها الدولة العبـرية الرئيسـية فى الشرق الأوسط ، وهذا شيء يمكن تصوره ، ولكن هذا لا يعنى أن اسرائيل لديها فى الوقت الراهن أفكار امبريالية مهما يكن نوعها ٠٠ ولا يمكن التنبؤ بما سـوف تكون عليـه مشاعر اسرائيل فى خـلال قرن من الزمان ٠٠٠

« ومن المحقق ، فى اللحظة الراهنة ، أن الدولة اليهودية يسـيطر عليها نوع من حمى الحصار أكثر مما تسيطر عليها أهداف استعمارية، ومشكلة اسرائيل ، فى الوقت الذى أتكلم فيه معك ، هو العمل على انقاذ نفسها ٠٠٠ »

(ج) ــ التواطؤ الاسرائيلى ــ الاستعمارى الدائم ؟

بصرف النظر عن هاتين التجربتين المؤلمتين للغاية ، اللتين تمثلتا فى حرب السويس وحرب الأيام الستة ، واللتين شاءت الدول العربية أن ترى فيها مظاهر بارزة للتواطؤ الاسرائيلى ــ الأمريكى ، فان الدولة اليهودية أصبحت متهمة ، بصفة دائمة ، من جانب العالم العربى بأنها « عميل » يتقاضى الثمن من الأمبريالية ٠ »

فاذا كانت اسرائيل قد وجدت نفسـها ، بسبب منطق الأحـداث نفسها ، ذات «نزعة» غربية فان هذا شيء يبدو أنه من الصعب الجدل

(١) ان القراءة اليومية للصحافة العالمية ــ التى تخضع فى الحقيقة للنفوذ الاسرائيلى، سمح بالاقتناع ان الحرب ، للاسف ، لا زالت بعيدة جدا عن نهايتها ٠٠٠

فيه ، ولكن لمـاذا يعنى ذلك ان الدولة اليهودية تعتبر ، على أحسن الفروض « عميلة » للدول الأجنبيـة ، وعلى أســوأ الفروض عميلة للدول الامبريالية ، أو انها هى نفسها دولة أمبرياليه ؟ •

لقد أعطانا الرئيس موزفيل رأيه عن هذه النقطة بايجـاز ولكن بصراحة :

« ان اسرائيل هى واجهة الغرب فى الشرق الأدنى ، وهى على هذا الأساس يمكن أن تؤدى خدمة «المدرب» لجميع الدول المجاورة فيما يتعلق بالوسائل التكنيكية الجديدة ، وفى جميع الميادين • ومن المحقق أن هناك الناحية الدينية ، اليهودية البحتة ، ولكن اسرائيل هى قبل كل شيء ــ وانى أعيد ترديد ذلك ــ دولة غربية زرعت فى الشرق • وهذا لا يسر العرب ومن رأيى أنهم يخطئون بعدم ملاءمة أنفسهم معها ••• وبعدم الاستفادة من ذلك • »

أن حرب كوريا التى وقعت فى عام ١٩٥١ أتاحت لاسرائيل فرصة تخفيف حيادها لكى تتجه نحو الغرب • وهذا التضامن يمكن تفسيره بسرعة عملياً ، سواء على المسرح الدولى (مساندة الخطط العسكرية الغربية التى فشلت مع ذلك والسماح للطائرات البريطانية بالمرور نحو العراق فى عام ١٩٥٨ وتأييد « مبدأ أيزنهاور » (١) الذى يهدف الى مقاومة الشيوعية ، وان كان قد طبق على نطاق محدود ••) أو فى الأمم المتحدة حيث طبقت الدولة اليهودية مبدأ « عدو فرنسا » عدوى (مصر والجزائر) صديقى » واقترعت باخلاص الى جانب الكتـلة الغربية أو امتنعت عن التصويت ســواء كان الأمر يتعلق بالمسـألة الجزائرية أو بنظام الوصاية ، أو حتى ــ وهو شيء أكثر خطورة ــ بالنظام الاستعمارى «٢» • وأخيرا فى عام ١٩٥٩ كانت اسرائيـل مرة

---

(١) الذى قبلته أيضا السعودية ولبنان والعراق ••

(٢) اقترحت الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٦ ديسمبر ١٩٥٢ تنظيم استفتاءات فى الدول غير المستقلة ، وقد ايدت الدول المستقلة حديثا هـذا الاقتراح وامتنعت اسرائيل عن التصويت •

أخرى الدولة الوحيدة « الجديدة » التى وافقت على التجارب الذرية الفرنسية فى الصحراء الكبرى .

ولكن هذا الموقف الذى وقفته الحكومة الاسرائيلية كان يمليه الى حد كبير رفض الدول العربية الدخول فى مفاوضات للوصول الى حل للنزاع . ومنذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٥ كانت السياسة الاسرائيلية، التى كان يوجهها موشى شاريت الذى كان معروفا باعتداله الشديد ، تحاول عبثاً تسوية النزاع الاسرائيلى العربى عن طريق ايجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، أما الدول العربية فانها كانت تعارض كل محاولة برفض قاطع وذلك باصرارها على اعادة جميع اللاجئين الى فلسطين كشرط أولى لأية مفاوضات .

وفى الفترة من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٣ قدمت حكومة القدس للدول العربية فى مناسبات مختلفة ١١٩ عرضاً عاماً للسلام ظلت بدون رد . ومن هذه العروض الكبيرة نورد هذين المثالين :

فى يوم ٢ ينـاير ١٩٥٦ صرح موشى شـاريت وزير الخـارجية الاسرائيلية فى الكنيسيت (١) قائلا : « اننـا مستعدون للدخول فى مفاوضات مباشرة مع الطرف الآخر . ونحن لن نضع شروطا مسبقة من أى نوع ، ولكننا لسنا مستعدين أيضا لقبول مثل هذه الشروط من جانب الطرف الآخر .. »

وقبل ذلك بثلاث سنوات سئل دافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل (خلال حديث مع مراسل وكالة يونيتد بريس للأنباء يوم ١٣ مايو ١٩٥٣) : « هل تريد أن تقول أنك مستعد لعقد الصلح مع العرب على أساس الحدود الحالية ، حتى لمدة مائة عام ؟ ... وقـد رد بن جوريون على هذا السؤال بما يلى :

« نعم ، اننا نريد السلام لعدة أسباب :

« ١ ــ فنحن نريد السلام من أجل السلام » . أننا نعرف ما هى الحرب .

(١) البرلمان الاسرائيلى .

« ٢ ـ اننا فى حاجة الى السلام لبناء البلاد واستيعاب شعبنا بها •

« ٣ ـ اننا نريد أن نلعب دورنا فى تنمية كل المنطقة وفى تحسين الحياة فيها (••) اننا لا نبحث عن مغامرات عسكرية •• »

ولكن بعض الزعماء الاسرائيليين اليوم اذا كانوا لا يبحثون عن مغامرات عسكرية فانهم ينظرون بعين الرضا الى الاحتفاظ بالأراضى التى استولوا عليها فى شهر يونية ١٩٦٧ تحت الاشراف الدائم لاسرائيل • وهذا الخلاف بين « التوسعيين » ذوى النظر القصير وبين « المعتدلين » هو فى الواقع خلاف قديم كان موجوداً حتى قبل انشاء الدولة اليهودية داخل الحركة الصهيونية وسبق ان وقف فيه جابوتنسكى ووايزمان وجها لوجه • و « حرب الأيام الستة » لم تفعل أكثر من انها جددت شجاراً قديماً بأن أعطته أبعاداً جديدة •

ولكن اذا استنتج من وجود رجال فى الحكومة الاسرائيلية مثل المواطن مناحم بيجين أو موشى ديان « الشديد المراس » بأن اسرائيل لها وجهات نظر امبريالية فان هذا يعنى مرة أخرى خلط الاسباب بالنتائج كما انه يعنى نسيان أن حرب عام ١٩٦٧ لم يكن يريدها السيد ديان أو يعدها من مكتبه بوزارة الدفاع عن طريق الضغط الشعبى وحده الذى كان يشعر بالقلق من نشوب حرب وشيكة الوقوع ، وهى حرب قال العرب انها ستكون القاضية على اسرائيل •

وقد أعطانا السيد روكار عن التأثير السياسى لهؤلاء الصقور : عندما كنا نتحدث عن الطابع الاشتراكى لاسرائيل (الذى لا يعترف به) انطباعات تتسم بالتشاؤم الشديد :

« ليس معروفاً مطلقاً بدرجة كافية الى أية درجة تعتبر اسرائيل دولة دينية • ان الطابع الالزامى للزواج الدينى يعتبر هناك ، مثلا ، أحد علامات التحالف السياسى الدائم مع القوى الدينية الرجعية (••) ان الحزب الاشتراكى الموحد يحتفظ بعلاقات منتظمة مع القوى التقدمية الاسرائيلية وبالدرجة الاولى مع حزب مابام ، رغم اننا نوجه اليه اللوم لاشتراكه فى حكومة من أعضائها رجال ذى ميول رجعية

وعسكرية مثل ديان ••• وهذه القوى التقدمية تشعر الآن بقلق شديد بسبب تطور سياسة اسرائيل الذى يدل على زيادة قوة الميول العسكرية والرجعية الدينية ••• هذا بينما يزداد التغلغل السياسى والعسكرى للامبرياليين الغربيين (١) ••• »

ما هو معنى هذه الاتهامات العربية المتعلقة بالتواطؤ الاسرائيلى الامبريالى ؟

فيما يتعلق بالفلسطينيين فان « الامبريالية » الاسرائيلية تمتزج بالوجود الاسرائيلى الذى يعارضون شكله الحالى كدولة • ولكن مثل هذا المنطق لا بد أن يسفر عن معارضة وجود جميع الدول التى اتحدت سياسياً فى الكتلة الغربية وهل ثمة فائدة من القول أن خريطة العالم لا بد أن تتغير تغييراً كبيراً نتيجة لهذا المنطق ••

الواقع ان تبسيط الكلام على هذا النحو يؤدى الى اغفال ما هو جوهرى • ان الأرض التى ينازع الفلسطينيون اسرائيل على ملكيتها لا يطالبون بها الا لأنها حسب قولهم ، « أرضهم » • ومن الواضح ان الفدائيين ليست لهم أية مطالب تجاه أراضى دولة بارجواى الاقطاعية التى يحكمها الجنرال ستروستير أو أراضى الرقيق العربية التى يحكمها فيصل •

ولكن هذا التفسير يميل الى تأكيد الحقيقة التالية : وهو أنه لا توجد بسبب أية علاقة بين وجود دولة افريقية بوصفها دولة وبين السياسة التى تعتنقها ، ولا يمكن بسبب هذه السياسة مناقشة وجود هذه الدولة •

وبالنسبة للدول العربية فان العداء الذى تظهره تجاه « الاستعمار الغربى المساند لاسرائيل » يبدو بوضوح أنه مجرد حجة تتعلل بها وهى حجة لا تستطيع أخفاء الشاغل الوحيد الذى يشغلها وهو : استرداد الأراضى التى استولت عليها الدولة اليهودية •

---

(١) انظر دراسة باتريك واجزهان فى جريدة لاجازيت دى لوزان اول أغسطس ١٩٦٨ • القوى السياسية الاسرائيلية ومستقبل الاراضى المحتلة •

فى ٣١ يناير ١٩٦٩ كتب السيد هيكل ، موضع ثقة الرئيس عبد الناصر فىصحيفة الاهرام : « بفضل موقف فرنسا فان اسرائيل لن تستطيع بعد الآن أن تظهر العرب الذين يؤيدهم الاتحاد السوفيتى ، فى جانب ، والعالم الغربى كله ، فى جانب آخر • بمعنى ان اسرائيل لن تستطيع تحويل النزاع بين القومية العربية وبين العنصرية الصهيونية الى نزاع بين الشرق والغرب »• أليس فى هذا أفضل دليل على أنالعالم العربى لايتسامح فقط تجاه مساندة الغرب بلأنه يتمناها طالما ان هذه المساندة تخدم مصالحه ؟ والا يدل السرور الذى يحيى يحيى به رئيس تحرير الصحيفة القاهرية التأييد الدبلوماسى الفرنسى للقضية المصرية على حالة نفسية لاتميل الى الكفاح ضد « الاستعمار الغربى » الا اذا تحالف هذا الاستعمار مع هؤلاء الذين يحاربهم العرب •

ومن جهة أخرى فان العالم العربى مرتبط بالغرب وخاصة بالولايات المتحدة أكثر من ارتباط اسرائيل به • ان مصالح الاحتكارات الامريكية تصل الى ٢٥٪ ، وفى الكويت الى ٥٠٪ ، وفى المملكة العربية السعودية الى ١٠٠٪ •• فاذا أضيف الى ذلك ان ايرادات البترول فى هذه البلاد تتراوح بين ٧٠ ، ٩٠٪ من دخلها الاجمالى فانه يمكن حينئذ الحصول على فكرة عادلة عن استقلالها تجاه الرأسمالية الامريكية ••• وفيما يتعلق بالأردن التى يحكمها الملك حسين والتى تشكو ميزانيتها من عجز كبير جدا ، هل يعرف أحد انها تعتمد على الولايات المتحدة أكثر بكثير من اسرائيل وهو شىء برهنت عليه الأحداث ؟ لقد اختارت اسرائيل بحرية أن تكون سياستها متجهة ناحية الغرب ، وهو اتجاه أملاه المنطق الداخلى للأحداث ، فهى لم تستقبل مطلقا قوات أجنبية فى أراضيها ، ولم تتنازل عن قواعد فى أراضيها لأية دولة أجنبية ، كما أن ثرواتها الطبيعية ، المحدودة النطاق للغاية ، لا تستحوذ عليها شركة أجنبية عند انتاجها (١) ••• وحكومة

---

(١) انظر فلابان مجلة الازمنة الحديثة العدد ٢٥٨ .

القدس تحتفظ بعلاقات ممتازة مع رومانيا، وهى دولة شيوعية ولكنها فى الواقع لا تدور تماماً فى فلك الاتحاد السوفيتى ، كما أنها اعترفت بخط الأودر ــ ينسى ، وطبقت بدقة قرارات الدول الأفريقية فيما يتعلق بمسائل التفرقة العنصرية وروديسيا وانجولا وموزمبيق ، وقدمت لهذه الدول السوداء الشابة مساعدات فنية وعلمية واجتماعية ذات قيمة كبيرة وأنشأت معها علاقا تصداقة غير مغرضة »[1] .

ان المشكلة الحقيقية ، كما يحسها المرء ، تكمن فى مكان آخر . ألم تبادر الدول العربية لكى تخفى بالأحرى ضعف اشتراكيتها الخاصة ، والمصاعب التى تعترض وحدتها ، الى تصوير اسرائيل التى اتهمتها بالامبريالية لأن مقتضيات القضية تتطلب ذلك ، فأنها العقبة الدائمة التى تقف فى طريق تطور العالم العربى ؟

لقد قال عربى من غزة ذات يوم : « لو لم توجد اسرائيل لأصبح من الواجب اختراعها .. »

وقد رأينا أنه ينبغى الاحتفاظ حتى نهاية هذا العرض بالحديثين التاليين :

ــ الحديث الذى أجرى مع دافيد روسيه لأنه يعتبر بمثابة تحليل كامل وواف لظاهرة « الامبريالية الاسرائيلية » والحديث الذى أجرى مع ج . ل . تيكسييه فينانكور لأنهما سيثيرا ابتسام (.. القارىء .

سؤال ــ هل يمكن التحدث عن وجود « امبريالية اسرائيلية » ؟

١ ــ د . روسيه :

« انهذا السؤال يثير كلمشكلة الدولة الاسرائيلية. انهذه الدولة هى امتداد لبيئة كوادر أوربية الى الشرق الاوسط . وبمعنى آخر ان

---

(١) الى القارىء احد الامثال على ذلك : (صرح رئيس جمهورية مالاجاش وهو احد رؤساء الدول الافريقية الكثيرين الذين عقدوا مع اسرائيل معاهدة صداقة وتعاون فنى ... صرح فى القدس بقوله : بمجرد وصولى الى دولتكم شعرت أننى بين عمال يقومون ببناء مجتمع يرتكز على العدالة واحترام الانسان .. ان الاساليب الاجتماعية الاسرائيلية ستعد مثلا لشعبنا ...)

المشكلة التى واجهت الاسرائيليين منذ بدأت دولتهم فى أداء عملها بصورة جدية كانت تحويل المحامين الى فلاحين ، بينما المشكلة الحقيقية التى يعانيها العرب هى تحويل الفلاحين الى أطباء ومهندسين. ومن هذه الملاحظة تستطيعون الحصول على صورة حقيفية للتناقض بين هذين المجتمعين . ان العرب ليسوا معادين للسامية ، وكيف يمكن أن يكونوا كذلك اذا كانوا هم أنفسهم ساميون ؟ والحقيقة ان ما يلومون عليه اسرائيل هو أنها بالضبط ، كما سبق أن قلت لك ، امتداد لأوربا فى بلادهم ، وثمة مظهر آخر للأشياء وهو انه رغم وفرة (كوادر الاخصائيين) لدى الاسرائيليين فانهم لم يستطيعوا ، وما كانوا يستطيعون ، تحقيق الأعمال التى أنجزوها بدون استثمارات « رؤوس الأموال الضخمة » ورؤوس الأموال هذه التى كان ينبغى عليهم الحصول عليها من مكان ، وجدوها فى الغرب ، وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية . ومن جهة أخرى فان الدولة اليهودية لم تنشأ فى النهاية الا عن طريق اسطورة دينية معينة ، هى عودة الشعب المختار الى المكان الذى كان فى الأصل أرضه . غير أن هذه الاسطورة تربط الاسرائيليين بصورة رهيبة بالأوساط اليهودية الغربية . وينبغى عليهم أن يحترموا على الأقل ظاهرياً معطيات هذه الاسطورة ، لأن اليهود الغربيين الذين يذهبون الى اسرائيل يطلبون عند نزولهم فى الفنادق تناول الطعام الدينى اليهودى « كاشير » رغم أنهم فى بلادهم لا يمارسون أقل الطقوس الدينية . وهذا نوع من « الحذلقة » تعتمد عليه اسرائيل لكى تعيش . وهكذا فأنه لو قالت اسرائيل يوماً : « لقد اندمجنا تماماً فى بيئة الشرق الأوسط ، ولم نعد دولة « عنصرية » ، اذن لوجدت نفسها وقد حرمت موارد عيشها . وهذا « الدور الاسطورى » الذى تقوم به اسرائيل ذو أهمية حيوية ولكن ينبغى القول بعد هذا أن الحقيقة أكثر من ذلك تعقيداً : اذ أن بعض سكان اسرائيل الحاليين نشأوا فى حوض البحر الأبيض المتوسط وعاشوا دائما فى دول عربية . وهؤلاء اليهود يتناسلون بسرعة أكبر من اليهود الغربيين وهذا هو السبب فى أن عدداً من المسئولين الاسرائيليين ، مثل

الجنرال ديان ، يشعرون بالقلق تجاه ما يسمونه خطر سيطرة النزعات الشرقية على اسرائيل ، ورغم هذه الهوة التى تزداد اتساعاً بين جانب من السكان الاسرائيليين الأصليين (حتى ولو كانوا قد جاءوا من المغرب) وبين الاسرائيليين الذين قدموا من الغرب ، فان هؤلاء الآخرين هم الذين يتولون اليوم زمام القيادة ويحتفظون به بعناية .
وهناك أيضا هوة ثانية : هى هوة الأجيال . اذ يوجد اليوم فى اسرائيل جيل — ان لم يكن جيلين — لم تعد تربطه أية رابطة بسيكولوجية أو ثقافية يهود الشتات (المنتشرين فى العالم) وهو لم يعد ينظر الى كل هذه الاسطورة الا على أنها مجرد أسطورة . وأفراد هذا الجيل (السابرا) هم بالتأكيد اكثر قدرة على احداث حركة اندماج اقليمية سياسية كبيرة من الكوادر القدامى . ولكنهم لا يملكون فى أيديهم زمام القيادة ، ويضاف الى هذا العامل شبه الصوفى عامل آخر ذو طابع استراتيجى بحت ، فاسرائيل لا تستطيع فى الوقت الحالى طبقاً للمساحة التى تحتلها ، أن تتبع فى مجال السياسة العسكرية سوى سياسة هجومية . ولتنفيذ هذه السياسة فأنه ينبغى عليها بالضرورة أن تمتلك قوة هجومية ضخمة من نوع ممتاز جداً سواء فيما يتعلق بالطائرات أو بالرجال الذين يقودونها . ولكن من المستحيل عليها أن تجد فى مواردها الخاصة الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه السياسة العسكرية وترتب على ذلك أن الدولة العبرية وجدت نفسها تعتمد أكثر فأكثر على الأوساط الأجنبية .

« اننى أعتقد أن مجموع هذه العوامل تشكل ما يمكن أن يسمى الظاهرة الأمبريالية الاسرائيلية . ان الأمر يتعلق فيما يختص بعدد من الاتجاهات بسياسة متعمدة ، ولكنه يتعلق أكثر أيضا بمنطق الوقائع وبمنطق الأحداث . ان المشكلة هى مشكلة التشابك ، اذ ينبغى ملاحظة أن الاسرائيليين مرتبطون بأوربا وليس بالشرق الأوسط وهذا موقف له منطقه الداخلى الخاص ، وهذا هو السبب فى أنه من المتعذر حله . »

٢ ـ ج. ل. تيكسييه ـ فينانكور :

« اننى لا أستطيع الأجابة على سؤالك دون أن أحــدد ، مقدما ، بعض النقاط :

« ان مسألة اسرائيل ومسألة العرب مكملتان لبعضهما ، وعنــدما يطلب من المرء اتخاذ موقف فى هاتين المسألتين فان الشــكوك سرعان ما تحيط به من أن لديه أفكاراً خفية ســواء تجاه اسرائيل أو تجاه العرب .

« ولكى أفسر ذلك أقول : انك عندما تمارس السياسة فى فرنســا فانه تلصق بك بطاقة تحدد موقفك ، وهــذه البطاقة تتبعك طوال حياتك ، وهذه البطاقة لا تلصق بك لأدخال السرور على قلبك ، وانما تلصق بك بقصد الاساءة اليك .

« والشيوعيون ، بصفة عامة ، هم الذين يوزعون هذا النــوع من البطاقات . ثم يجىء بعــدهم الاشــتراكيون ، ثم الراديكاليون ، ثم المغفور لها « الحركة الجمهورية الشعبية » ، وهلم جراً .

« ان العالم كله ينظر نحو اليمين وهو يشير بسبابته بطريقة تنم عن الاستنكار .

« وفيما يتعلق بى فقد ألصقت بى بطاقة كما لو كنت أشد اليمنيين تطرفاً ، بحيث لم يعد على يمينى أى شخص على الاطلاق ، وليس فى وسعى أن أشير الى أحد بأصبعى ، لأن جميع الأصابع موجهة نحوى.

« ولكن هذا كله غير صحيح ، اذ أننى شخصياً لم أتخــذ موقفاً سواء تجاه اليسار أو اليمين ، ولكن بعض الناس يحلو لهم أن يقولوا انى من أنصار اليمين ، معتقدين بذلك انهم يستطيعون عرقلة نشــاطى والحد منه .

« ومن الطبيعى أن يكون اليمينى المتطرف مناهضــاً للســاميه ، ولكننى لم أكن طول حياتى عدواً للسامية . ولقد كانت لى قبل الحرب العالمية الأخيرة ، لمدة سبع سنوات ، مساعدة يهودية تعاوننى فى عملى

ولى أصدقاء مخلصون من اليهود وليس لدى أية أفكار سيئة تجـاه اليهود •

« ولقد عالجت هذا الموضوع ، من وقت لآخر ، وليس على أساس الجنس ــ كلا مطلقاً ــ وأنما على أساس الوطنية ، بمعنى أنى أعتقد أن الناس الذين يجيئون من الخـارج ينبغى أن يراعوا بعض قواعد التحفظ واللياقة وأن يكون سلوكهم قائماً على حسن المعاشرة •

« ولهذا فقد كان من الصعب أن أقبل أن يعلمنى السيد «لازاريفى» كيف ينبغى أن أحترم فرنسا وكيف ينبغى أعادة بناء قصر فرساى •

« لقد كنت أفضـل أن ينتظر بعض الوقت • انكم ترون موقفى : ليست هنـاك عنصرية ، ولكن فى المجـال الوطنى لى طلب صغير من الأجانب الذين يجيئون الى هنا ، هو أن ينتظروا ، قبل أن يبصقوا على الحساء ، الى أن يحصلوا على قليل من التجربة •

« اذا وقف رجل من أنصار اليمين موقف التأييد لاسرائيل ، فانه يصبح موضع شك فى أنه يتصرف ليس بدافع العطف على هذه الدولة، وانما بدافع الانتقام من العرب بسبب الجزائر الفرنسية •

« وفيما يتعلق بى فانى اتخـذت موقفاً تجـاه اسرائيل فانى لن أفعل ذلك وأنا الذى لا امارس العنصرية ضد اليهود ــ لكى أتخـذ موقفاً عنصرياً ضد العرب ، ومعى فى هذا الصدد برهان قوى : ذلك أن الناس (يقصد الفرنسيين) الذين كانوا يحبذون تحقيق الاندماج فى الجزائر (أى اندماج الفرنسيين والجزائريين) وقد كنت أنا منهم ، لا يمكن أن يشك أحد فى أنهم يمارسون عنصرية ضـد العرب حيث أنهم كانوا يريدون أن يصبح هؤلاء العرب (فى الجزائر) مواطنين لهم حقوق كاملة (كالفرنسيين) •

« وأخيرا نصل الى سؤالك الذى ألخصه كما يلى : هل اسرائيل من صنع الاستعمار وذات نزعة امبريالية ؟

« ان انشاء اسرائيل ليس مطلقا عملا استعماريا من صنع الاستعمار ، وانما هو حقيقة تاريخية • ان الأمر لا يتعلق بجيل نشأ تلقائيا فى عام ١٩٤٨ ، وانما على العكس ، يتعلق بدولة أنشئت على مهل واستكملت مقوماتها خلال العشرين عاما بمساعدة انجلترا فى البداية ، ثم ضدها أخيرا •

« ان انجلترا لم تكن تريد دولة حقيقية ان الذى كانت تريده هو الاستمرار فى ممارسة حق الوصاية على هذا الجزء من العالم ، وهو الحق الذى كانت تمارسه فيه ، والذى كثيرا ما مارسته ضدنا فى سوريا ولبنان •

« وعلى هذا فانى أقول أن انشاء اسرائيل هو فى الحقيقة عودة شعب مشتت الى أرضه ••• وليس هناك شىء طبيعى أكثر من ذلك •

« ولسوء الحظ كان هناك سكان غير يهود : و « هؤلاء » يسمون الفلسطينيون وتتيجة لذلك فان انشاء اسرائيل يمثل جرحين يواصلان افراز الصديد حتى أيامنا هذه • وهذان الجرحان هما (تخطيط الحدود) ، وهو تخطيط سخيف ، ومشكلة الفلسطينيين • والجرح الأول سيلتئم اذا عولج الجرح الثانى الذى يتمثل فى مشكلة هؤلاء الفلسطينيين ، ولكنه لن يلتئم اذا لم تتم تسوية هذه المشكلة •

« هل كان يمكن اقامة اسرائيل فى مكان آخر ، فى مدغشقر مثلا ؟

انى أعتقد أنه كان يجب انشاء اسرائيل حيث أنشئت ، لانه لم يكن من اللائق ، تاريخيا ، اقامتها فى مكان آخر ، ويمكن قول ذلك دون الشعور باحساس خاص من الكراهية أو العطف تجاه الشعب اليهودى ولا سيما بعد ما حدث خلال الحرب العالمية الثانية • وبالنسبة للمشاكل التى أثارها انشاء اسرائيل ، والتى كان يمكن حلها بسهولة لو كان الناس أكثر جدية فان هذا الانشاء ، كان على أى حال أمرا لا غنى عنه •••

وفيما يتعلق بما اذا كانت اسرائيل دولة استعمارية أم لا فانى أقول ببساطة ما يلى : ان الدولة اليهودية ماكانت لتقوم « مطلقا » بأقل عمل أو يساورها أقل احساس بالامبريالية لو لم تطلق فى الفترة من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٨ ، أية طلقة نارية على حدودها الشديدة التعاريج .

« ثم ان اسرائيل تعتبر فى موقف ينطوى على الدفاع الشرعى عن النفس وهو موقف تتسم ممارسته بالخطورة ، لان الوضع الجغرافى لحدودها جعلها محصورة فى السهل بينما يشرف اعداؤها على المرتفعات .

« اذن فقد كانت اسرائيل مضطرة الى الدفاع عن حدودها التى لا يمكن الدفاع عنها . وهى لا يمكن الدفاع عنها اذا هوجمت بالطبع . الا فانها تكون مثل غيرها من الحدود ... وقد نشأ هذا الموقف لان المشكلة الثانية وهى مشكلة الفلسطينيين لم تحل » .

الفصل الثالث

الوحدة العربية « بواسطة اسرائيل أوضدها »

لو لم توجد اسرائيل فانه كان ينبغى خلقها .

« قول عربى مأثور »

من بين جميع الأمانى التى تراود العالم العربى والتى يعتقد أن اسرائيل تقف عثرة فى طريقها (بسبب سياستها ووجودها) توجد أمنية يضعها الزعماء العرب بصورة تقليدية موضع الصدارة وهى الرغبة فى تحقيق الوحدة العربية .

وهناك سواء فى القاهرة أو فى الرياض — شعار شائع يقول ان « اسرائيل عقبة فى طريق الوحدة العربية » . ومع هذا فأن الكولونيل عبد الناصر والملك فيصل يعرفان جيدا ان الخرافة التى يزعمان أو الدولة اليهودية أقيمت على أساسها لكى تصبح « عدوا دائما للعالم العربى » هى النقطة الوحيدة التى يمكن أن يتبلور حولها اتفاق الدول العربية ذات التقاليد والخطوط السياسية المختلفة كمصر والمملكة العربية السعودية على سبيل المثال . ولكن هل يمكن أن تصبح مصر وسيلة وعقبة فى وقت واحد بالنسبة للوحدة العربية ؟ هنا أيضا تتعارض الأفعال مع الأقوال .

— ١ —

اسرائيل ، عقبة كأداة أمام الوحدة العربية

أ — دروس التاريخ :

ان الوحدة التى يرنو اليها العالم العربى ، والتى كان جوهرها دينيا فى القرن التاسع عشر ، لم تعد تدور حاليا حول الاسلام . ان الاسلام

لايزال بالتأكيد عنصرا جوهريا من عناصر العروبة بوصفه الدين الرسمى فى الدول العربية فى مجموعها ، ولكن الدين اليوم يتوارى بعض الشىء أمام زحف القومية .

وهذه القومية ، وخاصة فى الحرب العالمية الأخيرة ، جعلت موضع الوحدة شعارا حربيا ، وأصبح الزعماء العرب يستخدمون بانتظام كلمة الوحدة والوطن العربى ويلوحون بقبضات أيديهم عندما يخاطبون الجماهير .

وحلم الوحدة عميق فى بعض الدول العربية الى حد انها سجلته فى دساتيرها وقد نص دستور المملكة الهاشمية الأردنية على أن « شعب الاردن جزء من الامة العربية » ولكن لايوجد مكان فى الشرق الاوسط بين حلم الوحدة والوحدة نفسها بغير الخطب فالحقيقة شىء آخر تماما تقف دونها العقبات الحقيقية .

فينبغى اذن على الدول العربية أن تجد مبررا لعجزها عن تحقيق الوحدة فيما بينها ، فاتجهت بأصابعها نحو اسرائيل . ومع ذلك فأنه من السهل التدليل على أن فشل العالم العربى فى تحقيق الوحدة يرجع الى أسباب خاصة ليس للدول العربية أى دخل فيها .

قبل أن تظهر بزمن طويل المسألة العربية اليهودية فى فلسطين وبالأحرى قبل الدور الذى قامت به دولة اسرائيل فى الشرق الأوسط، فشلت المحاولات التى بذلت لانشاء « سوريا الكبرى » بسبب نفور الدول العربية من الاندماج فى مجموعة واحدة لأن بعضها يخشى أن يفقد بالضرورة نتيجة لذلك كل أمل فى زعامة العالم العربى . وفكرة سوريا الكبرى يرجع تاريخها الى الحرب العالمية الأولى ، وكانت تهدف الى تجميع شبه الجزيرة العربية وشرق الأردن والعراق ولبنان فى دولة واحدة تحت سلطة حسين شريف مكة . واذا كان ينبغى الاعتراف بأن هذه الجهود أولى لكى تستهدف تحقيق الوحدة قد منيت بالخزلان نتيجة عوامل خارجية عن العالم العربى « مثل اتفاقية

سايكس ــ بيكو فى عام ١٩١٦ » ، ومولد دول عربية عقب الحــرب العالمية • الأولى « فانه يجب الاعتراف أيضا بأن اليهود لم يكن لهم أقل دور فى هذا الفشل •

وعلى أى حال فان المشــاجرات التى تجرى من أجل الســيادة فى داخل العالم العربى سرعان ما تحتل مكانا جوهريا بوصــفها « قوة طاردة » لمحاولات الوحدة فمنذ عام ١٩٤٣ أخذ نورى السعيد باشا رئيس وزراء العراق يحاول احياء فكرة الهــلال الخصــيب القديمة (العراق وشرق الأردن وسوريا ولبنان) ولكن مصر والمملكة العربية السعودية ــ اللتين كانتا تعارضان هذا المشروع الذى يحقق التفوق بالنسبة للعاهل الهاشمى فى بغداد وكذلك تركيا ــ التى كانت تخشى من أن ينتقم العرب من الاستعمار العثمانى الســابق ــ عملت على احباط المشروع •

وفى عام ١٩٤٨ كان السوريون هم الذين رفضوا اقتراح الملك عبد الله ملك الأردن ، الذى كان يتضمن فكرة انشاء « سوريا الكبرى » (وكان هذا رحلة فى طريق انشاء « الهلال الخصيب ») بحيث تشمل سوريا وشرق الأردن والجــزء من فلسطين الذى كان يحتــله شرق الأردن •

وهذا النفور الذى أبدته الدول العربية تجعله الوحدة (حتى ولو كانت الرغبة فى الوحدة حقيقة لدى كل عربى على حدة) وخوفها من الاندماج فى مجموعة واحدة تذوب فيها سيادتها لمصلحة دولة أوأخرى، هذا النفور لا يزال قائما اليوم • ان الاتحاد السورى المصرى الذى تم فى عام ١٩٥٨ ثم نبذ بعد ذلك بثلاثة سنوات يعتبر خير دليل على ذلك ، فالقومية السورية لم تستطع تحمل ما اعتبرته حينئذ كمحاولة لفرض السيادة عليها ولكن وصف الظواهر لا يكفى لتفسيرها • فاذا كان العالم العربى لا يستطيع أن يتحد فان ذلك يرجع بالتأكيد الى أسباب ايجابية (اختلاف الدين حتى بين المسلمين ، واختلاف اللغات والاختلافات الأساسية فى النظم السياسية) ولكن الشىء الذى يفتقر

اليه العالم العربى بصفة خاصة لكى يجعل هذه الوحـدة ممكنة هو وجود اشتراكية حقيقية .

ألم يكتب ميشيل غفلق ، « مؤسس حزب البعث السورى » أن الوطنيين العرب يدركون أن الاشتراكية هى الوسيلة المثلى لتحقيق نهضتهم القـومية ونهضة أمتهم لأنهم يعرفون أن كفـاح العرب فى الوقت الحالى يستند الى العـرب جميعا وليس ممكنا أن يشتركوا سويا فى هذا الكفاح اذا كانوا منقسمين سادة وعبيد ؟

ب ـ الاشتراكية العربية ؟

فلنوضح منذ الآن أن الأمر لا يتعلق مطلقا هنا بدراسـة جوهر الاشتراكية العربية . ونقترح بكل تواضع ابداء بعض الملاحظات التى يمكن بها تفسير هذا النمط الدياكياتيكى الغامض بعض الشىء من الاشتراكية والوحدة العربية .

ورغم أنه توجد فروق هامة فيما يتعلق بطبيعة الاشـتراكية التى تطبقها الدول العربية المنتمية للمجموعة « التقدمية » فانه توجد بعض المسميات المشـتركة التى يمكن الاشـارة اليها فى هـذا الصـدد « فالاشتراكية العربيـة » استعارت ، ولو نظريا عناصر عديدة من الاشتراكية الماركسية نقد الاقطاع والديمقراطية البرجوازية والبرلمانية التى لا تقوم على أساس الديمقراطية الاقتصـادية ، والمطالبـة بنقل المراكز الرئيسية فى الميدان الاقتصادى من الملكية الخاصة الى الملكية الوطنية ، وزيادة الدور الذى تقوم به الدولة بحيث تستطيع القيـام وحدها بتطور قوى الانتاج تطويرا تاما بفضل تطبيق اقتصاد قائم على التخطيط ... الخ .

ولكن الاشتراكية العربية رفضت ماهو جوهرى ، الا وهو مظهرها

العمالى والدولى الذى بدونه لا يمكن أن تتحقق الوحدة (١) وهــذا الموقف يمكن تفسيره اذا أخذت فى الاعتبار ان القــاعدة الاجتماعية لهذه الاشتراكية هم الضباط ، والمدرسون والموظفون وأبناء الصناع. وذلك لأن وضع الطبقة العاملة فى الدول العربية وضعفها الســياسى الشديد ــ اللذين يرجعان الى الانخفاض الشديد فى مستواها الثقافى وفى مستوى معيشتها ــ قد منعها فى الواقع من أن تتولى بنفسها أعباء وظيفتها الثورية فى منتصف هــذا القــرن العشرين (٢) فكيف اذن تساورنا الدهشة اذا وجدنا ان الطبقة المتوسطة الحــاكمة كانت ولا تزال تعمل على ضمان استمرار سلطتها الخاصة قبل كل شىء عن طريق استخدام الجماهير المستعدة ــ لكى تتخلص من بؤسها للقيام بجميع أنواع المغامرات وممارسة كل الوان التعصب ؟ .

ولنقل كلمة نلخص بها الموقف :

(١) ان دولة اسرائيل ليست عقبة فى طريق الوحدة العربية بعكس ما يروج عنها من أقوال بقصد الدعاية (حيث أن العالم العربى يحمل هو ذاته أسباب عجزه عن الوحدة) .

---

(١) نسمح لانفسنا هنا أن نسيق آراء رجال السياسة الذين وجهنا اليهم الاسئلة لكى نسجل هذه الكلمة لشارل بيرج ــ والذى سنقرأ له بعض آرائه فيما بعد ــ والذى قال عندما عرضنا عليه راينا فى هذه الفجوة الدولية والعمالية فى الحركة التقدمية العربية : لا يجد هناك اختلاط لعناصر مختلفة فى ميدان السياسة . ان تورتسكى لم يصبح ثوريا لان مالرو قال فى احد الايام انه اغتيل بواسطة ستالين وهو امر غير معترف به تاريخيا ــ لقد استخدم الحزب الشيوعى الفرنسى اثناء اضطرابات شهر مايو كلمة اشتراكية لخيانة الاشتراكية . ويسلك البرجوازيون نفس هذه السلوك فى الدول العربية فهم مضطرون للابقاء على النظام القائم ، ان يتكلموا بلغة البارود والاشتراكية ولكن هذا لا يعنى انه لا يوجد فى هذه البلاد ــ ولا فى اسرائيل انظمة اشتراكية ولكن هناك تحفظ واحد فسواء فى القدس او فى القاهرة هنــاك بعض اعضــاء الاحزاب أو المنظمات التى تمثل الاقلية تكافح ، فيما وراء الصهيونية والقومية العربية من اجل وحدة الطبقات العمالية . وذلك ضد انظمتها البورجوازية ...

(٢) فى عام ١٩٥٨ كانت البروليتارية تمثل ٥١٪ من سكان المدن فى مصر (انظر مجلة تييرموند (العالم الثالث) عدد يولية ــ سبتمبر ١٩٦٠) .

(٢) ان النزاع مع اسرائيل ، الذى يسمح بوحدة سلبية سطحية(١) للعالم العربى انما يقضى على أية فرصة لخلق وحـدة عميقة ، حقيقية بواسطة الاشتراكية العربيـة لأنه يسير الطريق أمام عمليـة كفـاح الطبقات فى الدول العربية •

– ٢ –

اسرائيل ضرورة حقيقية للوحدة العربية

ولكن هذه الوحدة العربية التى تتحقق ليس من أجل ذاتها ولكن « ضد » اسرائيل ، هل هى موجودة حقا ؟ وما هى المناسـبات التى تشغل فيها الدول العربية جبهة متحدة ضد الدولة اليهودية ؟

(أ) التجمع العربى ضد اسرائيل :

ان الاغلبية العظمى للمنظمات العربية سواء كان هدفها سياسيا أو اقتصاديا أو مهنيا فلما تعالج المسائل التى ينبغى عليها منطقيا معالجتها

– ميثاق الجامعة العربية (التى أنشئت فى ٢٠ مايو ١٩٤٥) ينص فى المـادة ٢ على أن هدف الجـامعة هو (توثيق الروابط بين الدول العربئة الأعضاء (••••) بقصد (•••••) المحافظة على استقلالها وسيادتها) وانها تحبذ قيام تعاون وثيق فى المسائل الاقتصادية والمالية وشئون المواصلات الخ •••

ولكن هذا الهدف مختلف تماما عن الهدف الذى أوضحه السـيد نوفل الأمين العام المساعد للجامعة العربية فى حديث أدلى به لصحيفة المحرر اللبنانية (يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧) عنـدما قال : « لولا وجود

---

(١) قال لنا نيكسبيه فيانكود : بالتأكيد ان الوحدة العربية تتحقق بفضل اسرائيل ولكن الوحدة التى تتحقق على يد عدو يوجه الك الضربات من هذا النوع هى وحـدة أليمة .. ولا يمكن على أى حال أن تدوم . ان ما يرجوه ناصر .. ان خطته هى ان تضطر اسرائيل الى عبور القناة واحتلال القاهرة . فعندئذ ستجد الدولة العبرية نفسها فى موقف مستحيل ، يتعدى امكانياتها الانسانية .

الجامعة العربية فان الدول العربية كانت ستضطر الواحدة بعد الاخرى الى توقيع معاهدات صلح مع اسرائيل ولعجزت عن عزلها فى الشرق الأوسط وفى آسيا وافريقيا •

وهكذا فان الجامعة العربية التى كان ينبغى أن تكون علامة على الطريق ووسيلة للوحدة العربية قد أصبحت شبه « ناد » تظهر فيه الخلافات بين أعضائها (١) وحيث لا تتبلور اتفاقيات الوحدة الا ضد الدولة اليهودية منذ عام ١٩٤٨ ، بعد أن كانت غير قادرة على التبلور الا ضد السكان اليهود فى فلسطين من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٤٨ ومن الغريب أن اسرائيل هى التى تعطى للجامعة العربية سببا للبقاء •

ـ اتحاد الصحفيين العرب ـ والمهندسين والمحامين العرب واتحاد العمال العرب كلها تضحى أيضا المسائل الخاصة بمهنتها من أجل العمل على مناهضة اسرائيل • ومن بين أكوام ضخمة من مختلف الوثائق لن نختار سوى المثال التالى :

لقد أغفل اتحاد الصحفيين العرب عندما اجتمع فى القاهرة فى ٥ فبراير ١٩٦٧ المسائل المتعلقة بالمهنة وجعل قراراته مقصورة على تأييد مؤتمر منظمة التحرير الفلسطينية وتهنئة الفدائيين الفلسطينيين على عملهم البطولى والنبيل فى الأرض المحتلة (أى اسرائيل داخل حدودها عام ١٩٤٨ ـ القاهرة ٥ فبراير ١٩٦٧) •

(ب) التجمع العربى « بواسطة » اسرائيل :

« حوار قصير »

السفير جيلبير : ان العالم العربى ، من المحيط الأطلنطى حتى البحر الاحمر هو حلم عبد الناصر • ولكن تدمير اسرائيل ليس هدفا ، وانما

---

(١) لم يحدث قط ان تطاحن العرب فيما بينهم بهذه الدرجة من الضراوة الا منذ ان عهدت مصر لنفسها بمهمة توحيدهم المقدسة •

« بورقيبة ١٢ سبتمبر ١٩٦٥ »

هو وسيلة • بل ان هذه هى الوسيلة الوحيدة القادرة على ايجاد شيء من التماسك فى أى تحالف عربى مهما يكن نوعه • بل انهـا أيضـا وسيلة جوهرية تتعلق بالسياسة الداخلية • فعندما تكون الأمور على ما يرام يلوحون « بالحرب المقدسـة » ولكن الجميع يعرفون أنهـا مجرد صواريخ من نوع الألعاب النارية •

سؤال : ولكن هذا يتناقض مع الرغبة فى تدمير اسرائيل ؟

جيلبير : انهم يعرفون تماما انهم لن يستطيعوا تدميرها مطلقا •

سؤال : ولكن هل يأملون فى ذلك ؟

جيلبير : كلا • ان عبد الناصر لا يهمه ذلك ••• وقد كنت أقول للاسرائيليين : عندما ينتهى كل هذا فسـوف تقيمون تمثـالا فخما للجنـدى العربى المجهول الذى قادكم الى مسافة بعيـدة فى طريق الوحدة وتضافر الجهود •••

⊙❖⊙

ان اسرائيل تتيح للدول العربية التى تعارض وجودها بصورة أكثر أو أقل حسب الظروف ــ أن تتقارب من بعضها لكى تحاول تدميرها، فاسرائيل اذن ــ ضرورة للوحدة العربية •

ولكن تدمير اسرائيل يعنى تدمير الفرصة الوحيدة لتحقيق الوحدة العربية التى لا تستطيع البقـاء ولو على نطاق محدود الا بواسـطة اسرائيل أو « ضدها » ومن الواضح أنه لا توجد حركة وحـدوية سواء « ضد » اسرائيل (حيث ان عدم نجاح الدول العربية فى تدمير اسرائيل التى تعتبر هدف هذه الحركة ــ وهو ما حـدث حتى الآن لحسن الحظ يثبت حدة الخلافات بين هذه الدول) أو بدون اسرائيل

ومن الجائز التساؤل فى مثل هذه الظروف لماذا لا تتم الوحـدة العربيـة « بواسطة اسرائيل » وهـذا يعنى نوعا من « استشراق » الدولة اليهودية وقبول الدول العربية التعاون مع اسرائيل •

وهذه الوحدة السلمية الجديدة التىتقتضيها المقتضيات الاقتصادية فى حد ذاتها (١) يمكن أن يبعثها الموقف الأقليمى النــاتج عن حرب يونيو ١٩٦٧ •

ولكن بأى ثمن ؟ ان هذا الثمن ربما تحدده الدول الكبرى ، هذه الدول التى ظلت خــلال العشرين عاما الماضــية « تلعب » بالنــزاع الاسرائيلى العربى محاولة قدر طاقتها ان تستغله لاشباع أطماعها وقد بذلت فى ذلك من الجهد أكثر مما بذلته لاقرار السلام •••

فهل يشاطرنا رجال السياسة الفرنسيون رأينا فى هذا الصــدد ؟ لقد طرحنا عليهم السؤالين التاليين :

(أ) هل يمكن التحدث عن وجود اشتراكية عربية ؟

(ب) ألا تعتقدون أن الدول العربية أكثر قدرة على الاتحاد ضــد اسرائيل أكثر من قدرتها على الاتحاد بواسطة الاشتراكية ؟

١ ــ ج • ل • نيكسييه فينانكور :

لقد أعطانا ردا عاطفيا ربط فيه بطريقة فكرية ملتوية لا زالت مغلقة علينا حتى اليوم بين الدياكياتيكية الماركسية وبين مشكلة خدم المنازل فى فرنسا •

« هل توجد اشتراكية عربية ؟ لا يوجد شىء عربى سوى القرآن اشتراكى ، يبدو أن الأمر يخالف ذلك ، حيث أن كل تاريخ العــالم العربى هو تاريخ الفقراء والأقوياء • وهذا يناقض الاشتراكية ••

« لا يوجد اشتراكية فى المغرب ، ولا فى الجزائر مع أنهــا الدولة (الجزائر) التى يتحدثون فيها كثيرا عن الاشتراكية • والاشتراكة ليست سائدة فى سوريا أو فى لبنان أو فى مصر • واذا صــدق أحد عكس ذلك فان ذلك يكون أقرب الى الدعاية • والواقــع أنه اذا

---

(١) انظر مجلة الازمنة الحديثة العدد مكرر ص ٩٢٦ : البواعث الاقتصادية هى التى ستحقق فى النهاية التصالح بين اسرائيل والدول العربية •

اختفى المالك الكبير فى هذه البلاد فانه يحل محله مدير الشركة التعاونية الذى يعيش كما كان يعيش المالك تماما . أما الفلاحون فهم يكدحون كما كانوا يفعلون من قبل ، ومن الواضح أنهم يتلقون أيضا أجورا أقل وبانتظام أقل عما كان من قبل ، كما أن مستوى المعيشة قد انخفض باسم الاشتراكية . ولكن الطبقة الحاكمة ظلت باقية بامتيازاتها ومكاسبها وأموالها .

ولكن اذا كانت هناك اشتراكية عربية فلماذا تختلف الاشتراكيات الأخرى ؟ لقد قال يوما الأب لوزوريك الذى كانت له بين وقت وآخر لمحات ساطعة ان ماركس يمثل حقيقة الأمس وخطأ اليوم . لقد قال ماركس : « سيكون هناك دائما أقل ولكنهم سيكونون أكثر ثراء ، وسيكون هناك فقراء أكثر ، ولكنهم سيكونون أشد بؤسا » وقد أثبت تطور العالم أن هذه البؤرة كانت خاطئة تماما ويمكن تحطيم النظرية الماركسية بالاشارة الى احصائيات خدم المنازل :

ففى عام ١٩١٣ كان تعداد فرنسا ٣٩ مليون نسمة من بينهم مليون من خدم المنازل (٣٥٠ الف رجل و ٦٥٠ الف من النساء) . وبعد خمسين عاما أصبح لدينا أكثر من ١٥٫٠٠٠ رجل بما فيهم سائقو السيارات و ٣٥٠ الف امرأة نصفهن من الأجنبيات .

« وكل هذا يثبت أن الثراء قد توزع بطريقة أخرى . كما أن ازدياد عدد السيارات يثبت هو أيضا خطأ ماركس الأساسى ..

« لا توجد هناك اشتراكية عربية ولكن لا توجد أيضا فى أى مكان اشتراكية اذا كان الأمر يتعلق بدول تريد النجاح . لأن الدول التى تحكمها الاشتراكية هى دول لا تستطيع أن تظهر فى طريق الرخاء حتى فى مؤخرة الصف ...

٢ ــ م . روكار :

لست أعتقد أن المسألة يمكن أن تطرح بهذا الشكل . والواقع انه اذا كان الأمر يتعلق بمعرفة ما اذا كانت مختلف الدول التى اتخذت

موقفا ضـــد اسرائيل فى صراع الشرق الأوســـط تعتبر جميعها دولا اشتراكية فان الجواب يكون بالتأكيد لا •

واذا كان الأمر على العكس يتعلق بمعرفة ما اذا كان يوجد تيـــار اشتراكى أو على الأقل تيار تقدمى هام فى داخل البلاد العربيـــة فان جوابى سيكون نعم •

« ان القوة الاجتماعية للحكم فى بلاد مثل مصر وسوريا هى عبارة عن تحالف ضد الاستعمار تشترك فيها البورجوازية الوطنية وكذلك القوى الاشتراكية • ومن السهل ملاحظة أن الأحزاب أو التيـــارات السياسية الموجودة داخل الدول العربية والتى تضـــع صراحة نصب عينيها جعل وسائل الانتاج ملكا للشعب ــ وهذه ســـمة الاشتراكية التى من السهل تحديدها تشكل قوى حقيقية تمارس فى بعض هذه الدول جزءا فعالا من الحكم •

« وثمة مثال آخر : ان السياسة الزراعية للبعث السورى هى بدون جدال ذات اتجاه اشتراكى •

« وأخيرا يجب ملاحظة ان الدول العربية المشتركة فى الحرب ــ بعكس الحـــال فى اسرائيل مثلا ــ هى دول يعتبر مستوى التقـــدم الاقتصادى والاجتماعى فيها غير مرتفع بما فيه الكفاية بحيث تحدث مواجهات بين الطبقات طبقا لأسلوب يماثل الاسلوب الذى نعرفه فى أوروبا الغربية •

« ان التحالف السياسى الذى يتولى الحكم فى الوقت الحـــالى ، والذى ينادى بالاشتراكية يتألف من البرجوازية الوطنية الصغيرة ومن طبقات شعبية معينة وهذا التحالف منبثق من ضرورات الكفاح ضد الاستعمار وضد الامبريالية وهو ينطوى على تناقضات ولكن ليس ثمة ما يسمح بالقول بأنه يؤدى بدول مثل مصر أو سوريا نحو نموذج من التنمية الرأسمالية •

« وفيمـــا يتعلق بالحظر المفروض من حيث المبـــدأ على الأحزاب

الشيوعية فى بعض الدول العربية المتقدمة ، فالواقع أنه ليس فى استطاعتنا اقراره ويجب القول مع ذلك أن وفود حزبنا التى توجهت مثلا الى سوريا استطاعت أن تلاحظ أنه رغم هذا الحظر المفروض من حيث المبدأ فان الحزب الشيوعى يلقى هناك فى الوقت الحالى تسامحا تاما (١) •

ولتلخيص هذه الاجابة الموجزة على سؤال يتطلب شرحا طويلا جدا فانى أقول انه :

« لا توجد فى الوقت الحالى دولة اشتراكية عربية وانما توجد تيارات اشتراكية وثورية قوية فى داخل العالم العربى • »

« اذا كانت السلطة فى بعض الدول العربية مثل مصر أو سوريا لا تنتمى الى طبقات اشتراكية بحتة فان هذا لا يعنى أنه ليس لهذه الدول اتجاهات تقدمية ومناهضة للاستعمار •

« وللرد على سؤالك الثانى فانى أقول ما يلى : ان ميكانيكية صراع الطبقات التى تلعب دورها فى اسرائيل ، تلعب أيضا دورها وأن يكن بطريقة مختلفة فى كل دولة عربية ، وفى العالم العربى بأسره• وكما قلت لك منذ هنيهة فان البرجوازيات الوطنية أو الطوائف الاقطاعية تستحوذ فى كل من هذه الدول على جزء من السلطة بل انها تستحوذ فى بعض الدول على السلطة كلها • كما أن الامبريالية الأمريكية موجودة فى نفس الوقت فى بعض الدول العربية بل ان وجودها يتخذ مظهرا حاسما فى بلاد مثل الكويت والأردن •

---

(١) اصدرت محكمة أمن الدولة العليا (فى الجمهورية العربية المتحدة) حكمها بالاشغال الشاقة المؤبدة على مصطفى اغا وهو رئيس جماعة اطلقت على نفسها اسم الحزب الشيوعى العربى وصدر الحكم على سبعة متهمين آخرين بالاشغال الشاقة لمدد متفاوتة، وحكم بتبرئة ثلاثة آخرين (نشرت جريدة الاهرام هذا الخبر ونقلته عنها جريدة التيمز فى عدد ٩ سبتمبر ١٩٦٦ . وفى الثامن والعشرين من شهر ابريل أذيع أن ستة من قادة الحزب الشيوعى المصرى المنحل قد القى القبض عليهم لمحاولتهم اعادة بناء منظمة شيوعية . انظر مجلة أوريان (٢٩ ابريل وجريدة لوموند ٣٠ ابريل ١٩٦٦)

وفى مقدورنا أن نستزيد من هذه الامثلة (المؤلفان) .

وهكذا فان « استقطاب » العالم العربى حول النزاع مع اسرائيل يشكل عقبة كبيرة فى طريق تطور الدول العربيــة نحو الاشتراكية ، وليس هذا بأقل النتائج التى أسفرت عنها أزمة يونيو ١٩٦٧ ، وبأقلها سلبية (وبالطبع فان الخصائص الوطنية للعالم العربى تلعب أيضــا دورا هاما فى هذا المجال .)

« وقد امتنعت دول تقدمية مثل مصر ، رغبة منها فى عــدم فتح ثغرات فى الجبهة العربيــة ، عن محــاربة الدكتــاتوريات الاقطاعية والرجعية التى لا تزال باقية فى بعض الدول العربية .

« وباختصار فان النزاع الحالى يميل الى سد الطريق أمام تطور صراع الطبقات فى المعسكرين ، وبالتالى يعزز من الناحيتين الطبقات الرجعية . وعلى هذا فاننا نعتقد على أساس ذلك التحليل أن أى حل طويل الأجل فى الشرق الأوسط (سواء فيما يتعلق بتكوين اتحــاد فيدرالى أو أى تكوين سياسى آخر) ينبغى أن يبدأ بالقضاء على هذه الطبقات البورجوازية الرجعية التى تتولى الحكم وهــذه الملاحظة تنطبق على اسرائيل كما تنطبق على بعض الدول العربية .

ولكن مثل هذا الحل ينبغى أن يشمل أيضا القضاء على الأمبريالية الأمريكية التى ترتبط بها هذه الطبقات البورجوازية فى هذا الجزء من العالم .

٣ ــ ل . تيرنوار :

لقد أغرق من جانبه الاشتراكية العربيــة فى تحليل أوســع نطاق « اننى أعتقد ان الاشتراكية العربية لا تختلف فى شىء عن الاشتراكية السائدة فى جميع الدول النامية ، ولا أقول الدول المتخلفة » .

« لقد كان أمام هذه الدول ثلاثة حلول :

(أ) الاستعمار : وهو نوع من السيطرة الاقتصادية للاجئين حيث يصبح معها الاستقلال مجرد شىء نظرى وهمى ، اذا كانت قوية جدا، أو حتى اذا كان الاستقلال موجود اسميا .

(ب) الاشتراكية وهو شكل ما من أشكال ملكية الدولة له صيغ مختلفة (مثل التأميم ، الأدارة الذاتية) •

(ج) أما الحل الأخير فانه نادر ما طبق ، لأنه لضمان نجاحه فانه يتطلب رجالا أقوياء جدا ، ولهم قدرة عظيمة ولا تتمتع بصفة عامة بثراء أكبر • ولقد طبقه الرئيس هوفريه بوانى فى ساحل العاج • وهذا الحل يهدف الى الاستفادة من رءوس الأموال ذات الأصل الاستعمارى مع الاحتفاظ فى نفس الوقت للدولة بجميع ظروف الاستقلال الحقيقى •

وقد طبق الحبيب بورقيبة الى حد ما هذا النظام بأن جعل بلاده فى منتصف الطريق صيغة ليبرالية وصيغة اشتراكية •

ولنعد الى الشرق الأوسط ••

« لقد قال لى يوما سياسى عربى وهو يتحدث عن العالم العربى : « انه سلة من سرطان البحر •••• ولست أسمح لنفسى بأن استخدم هذا التعبير مرة أخرى لحسابى ولكن يجب الاعتراف بما يتسم به هذا العالم ذو الخصائص الفريدة من انقسام ومن المستحيل وضع فواصل حاسمة والقول انه (توجد) أو (لا توجد) من اشتراكية عربية فما هى أوجه التشابه بين نظم مختلفة أشد الاختلاف مثل الأردن وسوريا البعثية مثلا أن سوريا والعراق والسودان تعتبر الى حد ما (اشتراكية) ولكن الأمر لا يعنى على أى حال الماركسية •

« ولكن الدولة التى تطبق على أفضل وجه شكلا من أشكال الاشتراكية التى تلائم ظروفها هى الجزائر بدون جدال •

« وفيما يتعلق بمعرفة ما اذا كانت اسرائيل تعتبر بمثابة (أسمنت) للعالم العربى فأنى أجيبك بالأخرى بأنها تعتبر (أسمنت مسلح) ••

« غير أن المسألة ليست سوى مجرد دعاية بالتأكيد ان المسألة الحقيقية شىء آخر ، ان ما أعتقده هو أن حياة اسرائيل مؤقتة وانها

لن تعيش الا فى حدود قرن من الزمان • ان اسرائيل بالشكل الذى توجد به حاليا سوف تختفى ويجب أن تختفى •

« ان رجلا أعجب به كثيرا ، وهو ليس ذلك الذى تفكر فيه قال لى فيما يتعلق بالدولة اليهودية : « انها آخر حرب صليبية وستبوء بالفشل مثل غيرها » وهذا رأيى أيضا •

« انها يمكن أن تفشل بوسائل مختلفة ، بما فى ذلك الفشل من الداخل • وأما أن يعود الاسرائيليون الى الحدود التى كانت لهم من قبل يوم ٥ يونية ١٩٦٧ وفى هذه الحالة سوف يستمر الواقع الوطنى الفلسطينى فى القاء ثقله عليهم • واما أن يحتفظوا بالأراضى التى استولوا عليها وفى هذه الحالة سيكون الحل ذا طابع سكانى : فاليوم يوجد ٢ر٥ مليون اسرائيلى ومليونان من العرب داخل الأراضى التى تسيطر عليها اسرائيل وفى خلال خمسين عاما سيكون هناك أربعة ملايين من العرب وثلاثة ملايين اسرائيلى وخاصة أن الهجرة الى اسرائيل قد توقفت وعليك ان تستخلص بنفسك النتيجة •

« اننى لا أتمنى أن يختفى اليهود من الشرق الأوسط كما أننى لا أتمنى أن يلقى بهم فى البحر • فليبق اليهود الموجودون هناك فى مكانهم وان كانوا قد جاءوا اليه دون أن توجه لهم دعوة ولكن الشكل الحالى لاسرائيل وهذا ما أكره لا يمكن أن يستمر • وفيما يتعلق بى فانى أنتقد شيئين : أنتقد الجانب الاستعمارى للمسألة الاسرائيلية الذى يناقض كل ما يحدث فى أى مكان آخر والذى يعتبر نتيجة لذلك هشة سهلة كما انتقد أيضا الناحية العنصرية للدولة اليهودية وأعتقد حقا ان انشاء دولة تقوم على أساس الجنس بمثابة قفزة الى الوراء •

« لقد كان الجنس المزعوم الذى دافع عنه هتلر مهزلة كبرى ، والله يعرف اذا كان هذا الجنس قد تعرض للهجوم عن حق أم لا ••• واذا كان اليهود قد تبنوا الدفاع عن الجنس لحسابهم بقولهم : « اننا نريد دولة تقوم على الجنس » •

فان هذا ليس معناه أن نقبل هذه الدعوى • »

(٤) ج • سوستيل :

لقد أجاب بكلمة ولكنها لا تنطوى على أى غموض :

« ان وضع عبارة « لو لم توجد اسرائيل لكان من الواجب خلقها » فى فم الزعماء العرب يعتبر طريقة فكهة فى عرض الأمور ولكن يوجد فى ملحوظتك شيء من الحقيقة بمعنى ان الأنظمة العربية التى تعتبر فى الواقع غير مستقرة ومهتزة وتشعر بالسعادة لوجود اسرائيل « تحت تصرفهـا » لكى تثير بها العـواطف لكى تحتفظ بالبقـاء عن طريق الالتجاء الى مشاعر العنصرية والقومية • »

٥ ـ د • روسيه :

« ان لى تجاه هذه المسألة موقفا خاصا جـدا : فاننى أعتقد أنه لا توجد دول اشتراكية فى العالم • وعلى أساس ذلك فانه لا توجـد بالتالية اشتراكية عربية •

« ولكن اذا وجهت سؤالا بقصد معرفة ما اذا كانت توجد حركة ثورية عربية فاننى حينئذ أجيب أنه « توجد مثل هذه الحركة » •

وتوجد بالتأكيد اختلافات بين الشرق الأوسط وبين الغرب ولكن من الصعب رغم وجود هذه الاختلافات فصل الشرق الاوسط عن باقى العالم العربى • وهكذا فان الحركة الجزائرية التى تعتبر ثورية بدرجة عميقة لها صداها فى الشرق الاوسط •

ان النظام الناصرى ليس سوى تفسير فى اطار عسكرى وحكومى لثورة عميقة جدا لم يوضح برنامجها بعد بالضبط •

« والسوريون هم أيضا ثوريون حقيقيون وهذا بالطبع ليس هو حال اخواتنا الأعزاء اللبنانيين الذين يعتبرون بصفة خاصة من رجال المال البارعين ، كما انه ليس حال الأردن أو المملكة العربية السعودية

ولكن فى كل من هذه البلاد بما فى ذلك العربية السعودية التى بدأ فيها عمال البترول ينشطون سياسيا توجد حركة ثورية عربية •

وعناصر هذه الحركة هم الفلاحون والمثقفون وكذلك كما سبق أن قلت العمال وهذا شيء واضح جدا فى الجزائر التى توجد بها بروليتاريا هامة تكونت فى الصناعات الأوربية ولكن هذا هو الحال أيضا فى مصر التى توجد فيها منذ وقت طويل جدا صناعة وبروليتاريا خاصة بها ، وكذلك فى سوريا حيث تعتبر القاعدة الصناعية ضعيفة ولكن القاعدة الزراعية وقاعدة صغار التجار تعتبر هامة •

« ولكن يجب ملاحظة أن هذه الحركة الثورية الكبيرة التى يمر بها العالم العربى مع ما تنطوى عليه من ارتفاع وانخفاض ، وتراجع وهجوم ومع ما تتسم به برامجها من اضطراب تختلف اختلافا شديدا عما نعرفه فى أوربا ••• انها شديدة الشبه من حيث تكوينها وهيكلها بالحركات المماثلة الموجودة فى آسيا •

« أما فيما يختص بالحظر المفروض على نشاط الأحزاب الشيوعية فان هذا ليس له علاقة بالطابع الاشتراكى أو غير الاشتراكى للدول العربية فهذا الحظر يعتمد على موقف معين للسلطات الحاكمة وعلى تكتيكها ، ولكن اذا حظر عبد الناصر وجود حزب شيوعى فى بلاده فان لهذا معنى يخالف حظر الكولونيلات اليونانيين للحزب الشيوعى فى بلادهم •

« ينبغى وضع هذه الظواهر فى اطارها الطبيعى أى فى أطار وطنى تعبر الحركة الثورية العربية فى داخله عن نفسها بطريقة عادية وفيما عدا كل ذلك فانه مجرى تكتيك لا أهمية له •

« ولكنك تسألنى اذا كانت اسرائيل تعتبر وسيلة أكثر فاعلية من الاشتراكية لتحقيق الوحدة فى العالم العربى • فلنقل ببساطة ان الجناح الأيسر للعالم العربى ينطوى على تهديد أشد خطورة من اسرائيل على الدول المحافظة • ان المملكة العربية السعودية تسخر كل

السخرية من اسرائيل • ان ما هو أكثر أهمية من ذلك على العكس هو أن الدولة اليهودية تعتبر فى كثير من الأحيان وسيلة لأثارة الصعوبات فى وجه الخصم العربى سواء باتهام عبد الناصر كما يفعل اليمينيون بالتواطؤ مع اسرائيل أو على عكس ذلك باتهام الدول العربية الرجعية كما يفعل التقدميون بالنكوص أمام اسرائيل ولكن كل هذه الاستراتيجية ليس لها من سبب سوى المشاكل الداخلية العربية التى ينبغى اخفاؤها بطريقة أو بأخرى •

٦ ـ شارل بيرج :

لا توجد اشتراكية عربية ونفس الشىء يمكن أن يقال عن الاشتراكية الفرنسية أو الاشتراكية الأمريكية ان الاشتراكية ليست طبقا من « الجلاش » كما قال خروشوف للعمال فى المانيا الغربية •• ان الاشتراكية هى عدد معين من علاقات الانتاج تؤدى بالناس الى التحرر من اداء عمل لا يتقاضون أجره •

ولا يمكن التحدث عن شىء اسمه الاشتراكية الوطنية ، لان الاشتراكية ليست وحدة مجردة يمكن صبغها بالألوان الوطنية لكل دولة • كما أن الاشتراكية ليست نظاما ولا أيديولوجية كما يفسرها صغار البورجوازيين فى الحى اللاتينى فكيف يمكن اذن التحدث عن وجود اشتراكية عربية اذا عرف أن الشيوعية تعنى الوفرة والرخاء وليس صفوفا من الناس يقفون فى طوابير أمام المخابز ؟

« وكل ما يمكن قوله انه يوجد اليوم عددا من الدول العمالية الفاقدة لأصالتها التى سوف تنمو فيها بذور الاشتراكية اذا تم القضاء على الطفيليين الذين يديرون شئونها• وهذا هو حال الاتحادالسوفيتى والديموقراطيات الشعبية ولكن هذا ليس حال الدول العربية التى تخضع كلها ببساطة للأمبريالية الدولية » •

القسم الثانى

المعركة الحقيقية

الفصل الرابع

الأخطاء الغربيـــة واللعبة الســـــوفيتية

ان كل الآمال مشروعة فيما عدا تلك
التى تقــوم على بؤس الانســـانية أو
سهولة تصديقها لما يقال .

جوزيف كوانراد

— ١ —

الاتحاد السوفيتي وحرب الايام الستة

فى ٢١ مايو ١٩٤٨ قال أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحـاد السوفيتى الحالى فى مجلس الأمن :

« فيما يتعلق بالدولة اليهودية فان وجودها أصبح حقيقة واقعـة منذ الآن وسواء كان هذا يبعث على السرور أم لا فان هذه الدولة أصبحت موجودة .

« اننا نرفض أن ننظر الى المصالح الحيوية لشعوب الشرق العربى على ضوء الجهود التى يبذلها بعض الساسة العرب الذين يحـاولون تخريب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذى خلق فلسطين دولتين مستقلتين الدولة العربية والدولة اليهودية .

وفى ١٥ يونيو ١٩٦٧ تحدثت صحيفة كوسومولسكايا براندا عن « اسرائيل العدوانية التى لن تستطيع البقاء طويلا كدولة فى العـالم العربى » .

(أ) الظواهر :

وهكذا وجد الروس أنفسهم الى جانب العرب بعد واحد وعشرين عاما وبعد أن كانوا من أوائل الذين أيدوا انشاء الدولة اليهودية ولقد

كان دورهم فى انطلاق شرارة حـرب يونيو ١٩٦٧ هو دور المحرض الحقيقى والواقع أن كل ما حدث كان يجرى كمـا لو كان الاتحـاد السوفيتى يريد أن يوفر الحجج التى تسمح لعبد الناصر بالمطالبـة بانسحاب قوات الامم المتحدة وبمهاجمة اسرائيل • لقد كانت الحقيقة أشـد تعقيـدا وأقل وضوحا ، ولكن المظاهر كثيرا ما تلعب ضد موسكو •

ان الروس هم الذين أطلقوا النبأ القائل أن اسرائيل تستعد للهجوم على سوريا • وقد صرح عبد الناصر يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ بأن اصدقاءه السوفيت قد حذروا الوفد البرلمانى المصرى الذى كان يزور موسكو فى أوائل شهر مايو ان الدولة اليهودية قد وضعت خطة هجومية ضد النظام السورى وانها تحشد قوات على الحدود السورية •

وقد لاحظ مراقبو الامم المتحدة فى المنطقة الطابع الخيالى لهـذه الحشود «[1]» وقد رفض السفير السوفيتى ذاته فى اسرائيل الرد على دعوة أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل الذى رجاه أن يصـحبه لزيارة المنطقة لكى يتأكد شخصيا من خطأ المزاعم السوفيتيه •

ومنذ ذلك الوقت أخذت موسكو تستخلص النتائج من اتهاماتها فزادت من شحنات الاسلحة التى ترسلها الى مصر ووافقت على اغلاق مضيق تيران بعد ساعتين بالكاد من القرار الذى أصدره عبد النـاصر بهذا الشأن • وبعد خمسة أيام أذاع راديو القاهرة « الأمانى » التى أعرب عنها المارشـال جريتشـكو لشمس الدين بدران وزير الدفاع المصرى فى ذلك الوقت •

« ان الاتحاد السوفيى وجيشه وشعبه وحكومته يقف الى جانب العرب (••••) ويتمنى لهم النصر ضـد الامبريالية والصهيونية »

---

(١) حقيقة أن حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الاهرام وموضع ثقة الرئيس ناصر قد صرح فى اجتماع خاص ان كلمة ((حشود)) استخدمت استخداما سيئا ولكن مشروع الهجوم الاسرائيلى كان شيئا حقيقيا .

ولكن بعد كل تفاصيل هـذه الوقائع المحزنة يبقى سـؤال بدون جواب : ما هى مصلحة السوفيت فى أن يجعلوا من الشرق الأوسط مخزنا للبارود وهل هم ببساطة كانوا يريدون حقا أن يجعلوه كذلك ؟

(ب) ما وراء المظاهر :

ثمة تفسيران يمكن استخلاصهما من تصرف السوفيت :

(١) لقد كان الروس يأملون فى وقوع حرب ساخنة مدمرة تسمح لهم بعـد أن تحقق الانتصار للعرب بأجراء مفاوضـات شـاملة مع الولايات المتحدة يربطون فيهـا بين المسـألة الفيتنامية وبين الأزمة الاسرائيلية العربية • وهـذه هى المخـاطرة التى تحملها أوثانت «[1]» ولكنها ليست تلك التى يرغب الاتحاد السوفيتى تحملها •

ألا يكفى برهانا على ذلك ما فعله السفير السوفيتى فى القـاهرة عندما أيقظ الكولونيل عبد الناصر من نومه يوم ٢٦ مايو فى الساعة ٢ر٣٠ صباحا لكى يمنعه من المبادأة فى القيام فى العمليات العسكرية؟

ولكن الاستفزاز الروسى كان موجودا ، كما وجـد خلال أزمة كوبا •

(٢) هذا الاستفزاز أو هـذا الدور المفجر الذى لعبـه الاتحـاد السوفيتى فى شهر يونيو ١٩٦٧ يمكن تفسيره بسهولة اذا اعترفنا بأن موسكو لم تكن تأمل الا فى فتح جبهة سياسية وسيكولوجية ثانيـة تتيح لها الفرصة عن طريق تسليح مصر بالمحافظة على نظام الحـكم القائم فى دمشق •

والواقع أن بعض الدوائر العسكرية الفرنسـية المطلعة تؤكد أن الاسرائيليين أرادوا خداع الروس فأوهموهم بأنهم يعتزمون القيـام بعملية انتقامية ضد سـوريا وذلك بقصـد منع السوريين من تأييد الأعمال التى يقوم بها الارهابيون ضد اسرائيل من الأراضى السورية

---

(١) انظر الفصل السادس عن أسباب سلوك السكرتير العام للامم المتحدة .

وكانت القدس تهدف من وراء هذه الحيلة أن تبادر موسكو الى اقناع حلفائها السوريين بالتزام الهدوء • ولكن المعروف أن المسئولين فى الكرملين لم يتصرفوا على هـذا النحو حيث أنهم بدلا من أن يحثوا دمشق على التزام الهدوء دفعوا القاهرة لكى تسرع الى نجدة الزعماء البعثيين •

واذا كان السوفيت قد أشبعت رغباتهم بأكثر مما كانوا يريدون بسبب تصرف السكرتير العام للأمم المتحدة «[1]» واذا كان الرئيس عبد الناصر ذاته قد وجد نفسه مضطرا الى أن يتبع وعيده وتهديده بالأفعال فان هذا لا يمكن أن يخفف بأى حال من الأحوال مسئولية موسكو ولكن هل يعتقد رجال السياسة الفرنسيون فى هذه المسئولية السوفيتية وكذلك بصورة أدق فى رغبة الروس فى فتح جبهة ثانية فى الشرق الأوسط •

لقد صرحوا لنا بما يلى :

(١) ج • ل • تيكسييه ـ فينانكور :

لقد قال عبد الناصر ذات يوم قبل يونيو ١٩٦٧ هـذه العبارة : « اننا سنضع هنا فيتنام أخرى » •

« ولكن لكى يتم وضع فيتنام أخرى فينبغى أن يكون هناك فيتناميون وليس عرب •

« ان الفيتناميين جنس أصفر ولا يوجد سوى جنسين على وجه الأرض الجنس الاصفر ، والجنس الأبيض • أما الباقى فليس سوى أجناس متخلفة ليس لها أى دور فى الحياة العصرية ولا يمكن تمييزها الا عن طريق الأرض أو الجغرافيا •

ان العربى جندى بارع جدا مثل الايطالى كلا اننى لا أتهمكم ، لست اتهمكم مطلقا •

---

(١) انظر الفصل السادس

ولكنه يفتقر الى القيادة البيضاء ومن الأفضل أن تكون قيادة فرنسية والا انتهى به الأمر الى مثل ما حدث فى سيناء • أليس كذلك؟

ولهذا السبب فأن الاتحاد السوفيتى لم يكن يريد الحرب الساخنة ولكن مجرد توتر — الى أقصى حد مع حليفة عسكرية وكان يأمل ألا تتحطم هذه الخطة لأن هدفه هو البحر الأبيض المتوسط ولا شىء غير ذلك • ولكن الاتحاد السوفيتى ليس لديه سبب يدفعه الى الذهاب الى البحر الأبيض المتوسط اذا لم تكن هناك دول ترحب به • لقد أتاحت حرب الأيام الستة للسوفيت عن طريق وقوفهم الى جانب العرب باحتلال قواعد وموانىء فى الأراضى العربية وكل هذا من قبيل الاستراتيجية فلو كانت الجزائر فيه يهودية لبادر الاتحاد السوفيتى الى الوقوف الى جانب اليهود •

لقد كانت حرب يونيو ١٩٦٧ تقع فى اطار الاستقلال الجزائرى وهنا توجد المشكلة الحقيقية •

(٢) ل • هامون :

« ينبغى فى هذا الصدد تسجيل بعض الملاحظات : ان أى تشجيع لأى طرف يؤدى الى تشدده فى موقفه ويدفعه الى المبالغة فى مطالبه وهكذا فان الاتحاد السوفيتى قد ساهم بصورة ما فى الموقف المتشدد الذى تنتهجه الدول العربية •

« ويقال من جهة أخرى أن أجهزة المخابرات السوفيتية قد حذرت السوريين من أنهم سيتعرضون للهجوم من جانب اسرائيل • اننى لا أملك معلومات الدبلوماسيين السوريين أو رجال الدولة السوريين اذا كان يمكن التكلم عن رجال دولة فيما يتعلق بهم • ولكن هذه الشائعات التى تتردد •

« وربما يظن أحد أن هذا الموقف الذى اتخذه الروس يمكن تفسيره بصفة خاصة برغبتهم فى أن يكونوا مقيدين أو بالأحرى

لا يمكن الاستغناء عنهم وهذا يشبه ايهام شخص ما بأنه معرض للخطر لأثبات أنه مدين بالحماية التى تقدم له •

انتى أميل الى الاعتقاد بأن الاتحـاد السـوفيتى قد ارتكب مرة أخرى الخطأ الذى يرتكب بسهولة مع الدول العربيـة ، وهو الخطأ الذى يتلخص فى قول شىء لها بقصد اثارة رد فعل لديها يعتقد التفكير الغربى المنطقى أنه سيكون رد فعل معتدل ولكن يتضح فى النهاية أن هذا الرد فعل كان أضخم مما كان متوقعا •

وهذا هو موقف السيد الذى يقـال له : « يجب أن تظهر عداءك للسيد الذى يواجهك وينتهى الأمر بأن يقتله » وقد تجاوزت الأمور الحد الذى كان يتوقعه الاتحاد السوفيتى بسبب سرعة تأثير وعـدم شعور الدولة العربية بالمسئولية •

« وللرد بكلمة على سؤالك فأنى أقول : انه رغم اهتمام الروس الدائم بالشرق الأوسط فانه لا يبدو لى أنهم كانوا ينوون فتح جبهة ثانية هناك • ولا ينبغى أن تنسى أن السـوفيت يلعبون الشطرنج — ولكن ليس البوكر ! • »

(٣) السفير جيلبير :

لقد تحرك عبد الناصر بمجرد أن غمز له الروس بعينهم معتقدا أنهم متفقون معه على طول الخط • وان المرء عندما يغمز للعرب بعينه فانهم يعتقدون أنه سيؤيدهم حتى بالجنـود ، وأنه سـيدخل الحرب الى جانبهم • « أن الروس لايستطيعون أن يتحملوا مشقة فتح جبهة ثانية كما أنهم غير قادرين على اجراء عمليات عسكرية على غرار الاسلوب الامريكى • انهم يملكون تقريبا التوازن الذرى ولكن ليست لديهم القوات اللازمة لشن حملات من الطراز الاستعمارى •

(٤) ج • ل ويهاميل :

لقـد أثيرت كثيرا نظرية الجبهة الثـانية ولكنها لا تقنعنى • أنتى

أعتقد أنه توجد مناطق فى العالم لا يحول فيهـا البحث عن التعايش السلمى دون وجود منازعات وهـذا هو الحـال بالنسـبة للشرق الأوسط •

لقد تعهد الاتحاد السـوفيتى بمساندة العرب طالما كانت اسرائيل فى المعسـكر الآخر • ولكن ينبغى علينـا أن نعترف انه استطاع أن يحول الهزيمة ببراعة الى نصر •

لقد أصبح وجوده فعلا اليوم حتى الجزائر وربما فى المرسى الكبير وعلى أى حال فانه لا يبعد كثيرا عن هناك •

« وهذا لا يعنى أن الروس كانو يؤملون فى هزيمة العالم العربى لكى يسـتطيعوا زيادة تثبيت أقدامهم فيه • والا فاننـا نسبب لهم حينئذ كثيراً من الميكافيلية والعبقرية وقـد برهنت التجربة على أنه ينسب لرجال السـياسة مهما كانوا من النبوغ أكثر مما يستحقون بكثير •

(٥) ج • سوستيل :

« ان الروس لا يريدون الحرب ويقـال اليـوم انهم يلعبون دور الوسيط •• وهذا قول مبالغ فيه لأن وجود التوتر فى الشرق يلائمهم تماما ، فلكى يستطيع الروس التواجد فى البحر المتوسط فانهم كانوا فى حاجة الى فرص تتيح لهم ذلك وقـد وجدوا فى هـذا الصـدد فرصتين :

« تصفية الجزائر التى أتاحت لهم عقب سنوات قليـلة من وضـع نواة قوية من الفنيين والمستشارين العسكريين فى الجزائر والأخـذ بزمام الجيش الجزائرى بفضل شحنات الاسلحة السـوفيتية وأخيرا الحصول على قواعد مثل قاعدة المرسى الكبير » •

« التوتر الاسرائيلى العربى الذى سمح للروس بتثبيت أقدامهم فى مصر وسوريا والحصول على قواعد فى بور سعيد ، واللاذقية » •

والشىء الذى يريدونه الآن هو فتح قناة السويس بحيث يستطيعون المرور من البحر المتوسط الى المحيط الهندى •

« ولكن اذا كان الروس قد رغبوا فى حدوث توتر وتحملوا مخاطر ذلك فان هذا يرجع الى أنهم صدقوا ادعاءات عبد الناصر الصاخبة التى أكد فيها أنه سيقضى على اسرائيل قضاء مبرما بفضل الاسلحة السوفيتية • ولا بد أنهم أصيبوا بخيبة الأمل فى هذا الصدد وهذا هو أقل ما يمكن أن يقال • »

ج • التمويه :

ولكن كان ينبغى بعد الفشل السياسى والعسكرى القيام بعملية تمويه لاخفاءه وهل كانت هناك طريقة أفضل أمام الاتحاد السوفيتى لاخفاء هزيمة حلفائه من اطلاق لعناته التقليدية ضد الامبريالية ومن وصف الاسرائيليين بأنهم نازيون (كما قال كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى على منصة الأمم المتحدة) ومن استعارة كل شعارات ترسانة معاداة السامية والتصدى بكل الوسائل ضد المعتدى الصهيونى «[1]» •

ان المأساة بالنسبة للنفوذ الدبلوماسى للسوفيت تكمن فى أن بياناتهم السابقة لا زالت موجودة • ويكفى القاء نظرة على هذه البيانات للاقناع بأن القانون الذى يطبق على « الاسد الروسى » لا يشبه فى شىء القانون الذى يجب تطبيقه على البعوضة الصهيونية •

ففى يوم ٢ سبتمبر ١٩٥٤ ، قالت صحيفة برافدا السوفيتية بعد أن انتقد ماتوسى تونج فى حديث أدلى به لبعض الصحفيين اليابانيين ضم السوفيت لبعض الأراضى عقب الحرب العالمية الثانية وطالب باعادة النظر فى حدود الاتحاد السوفيتى ان الشعب الذى تعرض للعدوان ودافع عن نفسه وتحقق له النصر له الحق المطلق فى خلق موقف يضمن

(١) اليس من المسلى أن يقرأ المرء من جديد هذا التعليق القصير الذى نشرته جريدة لومانيتيه فى ١٨ نوفمبر ١٩٤٨ (بصدد التصريحات المصرية والعراقية والسورية فى اللجنة السياسية التابعة للامم المتحدة) ((ان مايميز هذه الخطب الطويلة (••) هى تلك التعليقات التى لا تنتهى والتى لا تمت للموضوع بصلة وخاصة الشعارات المعادية للسامية التى يستخلصها ممثلو الانظمة الاقطاعية العربية من الترسانة الهتلرية ولكن كما يعلم الجميع فان ما كان ترسانة هتلرية عند العرب فى عام ١٩٤٨ أصبح أداة فى خدمة النقاوة الاشتراكية لدى الروس بعد مضى عشرين سنة •

له تصفية جذور العدوان وذلك عن طريق ايجاد الحدود الضرورية للشعب المنتصر والاحتفاظ بهذا الموقف طالما ظل التهديد بالعدوان قائما وهذا الكلام يبدو وكأنه قيل لتدبير احتلال اسرائيل للأراضي التى استولت عليها الى أن يتم الصلح . أو من الواضح أن السوفيت يردون على ذلك بالزعم أن المعتدى هو الدولة اليهودية وليس العالم العربى . وهذا الاتهام لا يمكن توضيحه الا على حساب انكارهم الحقيقى لمفهومهم السابق فى مسألة العدوان .

لقد أعلن الوفد السوفيتي يوم ٣ يناير ١٩٥٢ أمام اللجنة السادسة للأمم المتحدة انه « تعتبر دولة معتدية تلك التى أقامت حصارا بحريا على الشواطيء أو موانيء دولة أخرى أو تلك التى تكون قد قدمت المساعدة لعصابات مسلحة تكونت فى أرضها لغزو أراضى دولة أخرى أو التى تكون قد رفضت رغم طلب الدولة التى تعرضت للغزو ان تتخذ فى أراضيها جميع التدابير التى فى استطاعتها حرمان هذه العصابات المسلحة من أية مساعدة أو حماية » .

فهل توجد ادانة أكثر صراحة من ذلك لعمليات الفدائيين .

وفيما يتعلق بمسألة حصار مصر لخليج العقبة فانه يوجد تعريف سوفيتى آخر ينطبق عليه انطباقا دقيقا كما لو كان ببصيرة ينفذ الى المستقبل ـ قد وضع خصيصا له يقول هذا التعريف :

« يجب أن تكون مضايق البحار مفتوحة لمرور السفن التجارية من جميع الجنسيات فى ظروف تنطوى على المساواة التامة . وليس من حق الدول الساحلية خلق عقبات مهما يكن نوعها فى طريق الملاحة البحرية بصرف النظر عما اذا كان ساحلى المضيق يخصان دولة واحدة أو عدة دول (.....) »[1] .

---

(١) ان دائرة المعارف السوفيتية الكبرى الجزء ٣٧ ص ٣١ . ان رجال القانون السوفيت لا ينسون ان المنافذ البحرية السوفيتية لا وجود لها الا بفضل المضايق التى شبه مضيق تيران أى الدردنيل وهى المضايق الوحيدة التى تسمح بالمرور من البحر الاسود الى البحر المتوسط ومضيق كاتيجات الذى يسمح بالمرور من البلطيق الى بحر الشمال .

ولكن انتهاك القانون الدولى وما أدى اليه ذلك من موقف متفجر فى شهر مايو ١٩٦٧ لا يعتبر فى نظر الاتحاد السوفيتى سوى فصل صغير فى طريق تحقيق حلمه القديم ٠

— ٢ —

العالم الروسى أزاء العالم العربى

(أ) الزحف الطويل (١٩١٧ — ١٩٥٤) :

يعتقد كثيرون أن الاتحاد السوفيتى ظهر فى الشرق الأوسط غداة توقيع حلف بغداد ، ولكن هذا اعتقاد خاطىء ينطوى على تجاهل الدهاء الذى استطاعت به موسكو منذ ثورة اكتوبر الاستفادة من الظروف التى كانت ملائمة لها أو خلق هذه الظروف عن طريق الدخول فى لعبة مغامرة مع الكتلة الغربية وأحيانا عن طريق السخرية قبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ كانت روسيا هى الدولة الغربية الوحيدة فى نظر دول الشرق الأوسط التى لا تحمل بصمات الاستعمار المقيت ٠ وقد استغل الاتحاد السوفيتى هذه السابقة الطيبة فنادى فى شهر سبتمبر ١٩٢٠ خلال مؤتمر شعوب الشرق الذى عقد فى مدينة باكو بضرورة تحرر الشعوب الواقعة تحت نير الاستعمار من أغلال الامبريالية «[1]» ٠

وخطت موسكو خطوة أخرى فى استغلال — الميزة التى تتمتع بها بعد قليل — معاهدات صداقة مع تركيا وايران وأفغانستان التى كانت تعارض حينئذ الانجليز بطريق مباشر أو غير مباشر ٠ كما أنشأ الكرملين علاقات دبلوماسية مع المملكة العربية السعودية واليمن وهكذا أصبح النجم الأحمر يتألق فى سماء الشرق ٠

ولكن العطف الذى كان يتمتع به الاتحاد السوفيتى حينئذ صادف نكسة لأول مرة مع ظهور تيار الوطنية الاشتراكية فى المانيا فقد بدا أن معارضة هتلر للدول الاستعمارية وعدم تغلغل الألمان فى الشرق

---

(١) المؤتمر الاول لشعوب الشرق (مكتبة الوثائق الفرنسية)

الأوسط يشكلان ضمانا كافيا يبعث الاطمئنان فى دول هـذه المنطقة ومن ثم أصبح الرايخ الألمانى فى نظرها صديقا ومعبودا •

وكان ينبغى انتظار الحرب العالمية الثـانية لرؤية السوفيت وقـد ظهروا على مسرح الأحداث مرة أخرى فقـد اضطر الانجليز بسبب مقتضيات القتال ضد المحور أن يفرضوا وجود حليفهم اللدود الاتحاد السوفيتى وكان هذا أول خطأ ارتكبه الغرب وعندما انتهت الحرب انتهى معها الوجـود المؤقت للسـوفيت فى الشرق الأوسـط • فقد انسحبوا من المنطقة بعد أن شكرهم الحلفاء والدول العربية وطردوهم منها بلطف ، وساهمت السياسة الامريكية المناهضة للشيوعية فى عام ١٩٤٧ فى تبديد شملهم ولكن هذا الانسحاب كان فى الظاهر فقط • والواقع ان الاتحاد السوفيتى كان قد استغل « وجوده الرسمى » فى الأراضى العربية لكى ينشىء فيها أحزابا شيوعية محلية ويروج فيها دعاية واسعة النطاق •

وهكذا فأنه عندما اعتقد الانجلو سـاكسون فى عام ١٩٥٥ انهم وجدوا فى حلف بغداد الحل العسكرى لمتاعبهم فى العالم العربى ، فقد بادر الاتحاد السوفيتى الى استغلال هذه الغلطة الجوهرية الثـانية التى ارتكبها الغرب وأخذ يتقدم منذ ذلك الوقت على « طريق ملكى »

(ب) الطريق الملكى (١٩٥٥) :

لقد حاول الأمريكيون حتى عام ١٩٥٤ بكل الوسائل تعزيز نفوذهم فى الشرق الأوسـط فأخـذوا يمتدحون بطريقـة غير بارعة لطائف « طريقة الحياة الأمريكية ويرتعدون فرقا من مجرد ذكر اسم الشيوعية كما أخذوا يوزعون بسخاء اعانات تقدر بمئات من الدولارات »[١] على الدول العربية التى كانت تطلب منها المعونة • وقد أسـفرت هـذه السياسة عن الفشل فالأمريكيون يفتقرون الى الاسلوب القادر على

---

(١) وزعت هذه الاعانات استنادا لقانون المساعدة الاقتصادية الخارجية الذى تمت الموافقة عليه لصالح الدول المتخلفة فى عام ١٩٤٩ بناء على اقتراح ترومان •

الاغراء وهو اسلوب اعطاء المنح دون جعل أحد يشعر بأن فى الأمر منحة .

وعندما فشلت الولايات المتحدة فى تحقيق النصر « لامبريالية الدولار » انضموا فى الكواليس للأنجليز الذين فهموا هذه السياسة وللعراقيين الذين تبنوا هذه السياسة لضمان نجاح حلف بغداد (٢٤ فبراير ١٩٥٥) .

اننا لا ننوى أن نصف هنا المناخ السياسى المضطرب الذى عقد فيه هذا الحلف «[١]» ويكفى القول أن الأمر كان يتعلق بميثاق للتعاون بين تركيا والعراق وكان هذا الميثاق مفتوحا أمام دول الجامعة العربية، وقد انضمت اليه باكستان وايران وهما دولتان غير عربيتين وبريطانيا (وهى أجنبية عن الشرق الأوسط) وقد سمح هذا الميثاق الذى قصد به مكافحة الشيوعية والتغلغل السوفيتى سمح لبريطانيا بأن تجمع تحت علمها دول الهلال الخصيب الذى أطلق عليه بعضهم فى ذلك الوقت — كما قال لنا السفير شوفيل — اسم « الهلال العقيم » .

ان ميثاق حلف بغداد ، الذى يعتبر فى نظر العرب رمز الاستعمار الجديد والذى عقد وسط عالم كان يخلط دائما بين الأمانى الوطنية العربية وبين التخريب الشيوعى وهو أكبر خطأ ارتكبه الغرب بالنسبة للنتائج التى ترتبت عليه . فقد تحطمت آمال بريطانيا فى الشرق الأوسط وانهار نظام الحكم العراقى . وعقد عبد الناصر مع جيرانه العرب «[٢]» لمواجهة حلف بغداد الذى لم يطبق معاهدات عسكرية دفعت اسرائيل فيما بعد الى القيام بحملة سيناء .

ولكن الاتحاد السوفيتى استغل تلك الغلطة التى ارتكبها الغرب . فبينما كانت الولايات المتحدة تطالب المصريين بعدم استخدام أسلحتهم ضد اسرائيل والا يرسلوها الى الجزائر التى كانت قد بدأت فيها

---

(١) انظر كتاب تاريخ الحرب الباردة — الجزء الثانى — دار نشر فاير بقلم اندريه فونتين
(٢) انظر كتاب الامبريالية الاسرائيلية وحملة السويس — الفصل الثانى .

حرب الاستقلال ضد فرنسا ، اقترح مولوتوف على القاهرة أن يبيع لهـا اسـلحة دون أية شروط • وفى يوم ٢٧ سـبتمبر ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر على الملأ العرض السوفيتى • وهذا التاريخ يسجل بصفة عامة عودة ظهور السوفيت فى الشرق الأوسط •

وفى ١٧ يولية ١٩٥٦ سحبت الولايات المتحدة بطريقة تنطوى على الاهانة الشديدة لكرامة عبد الناصر عرضها الخاص بتمويل انشـاء السد العالى • وهذه الغلطة الثالثة القاتلة التى ارتكبها الغرب خلقت فراغا فى التأثير الاقتصادى بادر الروس فى ملئه • ففى ٢١ اكتـوبر ١٩٥٨ دفعت موسكو لعبد الناصر ٤٠٠ مليون روبل لبـدء أعمـال السد العالى ومنذ هذا الوقت لم يتوقف الوجـود السـوفيتى فى الشرق الاوسـط عن الانتشـار دون أن يرفض مع ذلك الاذعان لمقتضيات التعايش السلمى •

(ج) أسباب الاختيار السوفيتى :

لماذا يهتم الاتحاد السوفيتى بالشرق الاوسط ؟ •

ان التفسير الواضح لذلك نجده فى رغبة الروس منذ عهد بطرس الأكبر فى الوصـول الى منافذ على البحار الدافئـة ، وفى الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لهذه المنطقة والمعروف أن الشرق الأوسط يكفل (امداد الغرب الى حد كبير بالبترول) ولكن المسألة الحقيقية ليست هنا فأن ما هو أهم فى الواقع هو معرفة لماذا وجـد الاتحـاد السوفيتى نفسه فى عام ١٩٦٩ يقف الى جانب العرب وليس الى جانب اسرائيل فهل توجد أسباب محددة دفعت الاتحاد السوفيتى الى أحد المعسكرين دون الآخر •

لقد طرحنا هذا السؤال قبل أن نجيب نحن عليه ، على السادة ج • سـوستيل ، و ل • هامون ، و م روكار ، و ج • ديهمبل ، و ج • مونرفيل وفيما يلى وجهات نظرهم :

السؤال : كيف يمكن تفسير التأييد السوفيتى للدول العربيـة فى كفاحها ضد دولة اسرائيل ؟

(١) ج • سوستيل ـ (مناهضة الصهيونية) :

لقد كان الاتحاد السوفيتى مناهضا للصهيونية على الدوام باستثناء فترة قصيرة جدا • وكان يعتبر الصهيونية دائما كنـوع من الجريمة ضد الدولة وأنت تعرف مثلى أنه عنـدما غزا الروس بولندا فى عام ١٩٤٠ بالاتفـاق مع الألمـان فانهم طاردوا الصهيونيين مطاردة عنيفة سواء فى الجزء الذى كانوا يحتلونه من بولندا أو فى بلاد البلطيق •

« وتنيجة لذلك حكم حينئذ على مناحم بيجن الذى أصـبح فيما بعـد زعيم جمـاعة ايرجـون ، وهو الآن عضـو فى الحـكومة الاسرائيلية حكم عليه بالسـجن فى معسكرات الاعتقال لمدة ثمـانى سنوات لمجرد انه كان أحد الزعماء الصهيونيين فى بولندا • فلقد كان الروس ينظرون الى الصهيونية على أنها تعمل فعلا لخدمة الاستعمار•

« ومن جهة أخرى فأنه حتى فى الوقت الذى كانت فيه العـلاقات السوفيتية الاسرائيلية حسنة فان العداء للصهيونية لم يتوقف وخير دليل على ذلك أن هجرة يهود روسيا لاسرائيل لم يكن يسمح بها الا فى أضيق الحدود » •

ولكن قد تساءل البعض عن السبب فى أن عداء السوفيت تجـاه اليهود خفت وطأته فى عام ١٩٤٧ والجواب على ذلك بسيط ، اذ انه عندما لاحظ الروس أن موقف البريطانيين فى الشرق الأوسط أصبح ضعيفا جدا اعتقدوا أن مجرد دفعة صـغيرة أخرى بالأصـبع تكفى لجعله يترنح وينهار • وقد طلبـوا من الصهيونيين أن يقوموا بهذه الدفعة •

« وهكذا فان الروس قد أيدوا الصهيونية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة لأسباب تكتيكية بحتة عقب الخطاب الذى ألقاه جروميكو فى عام ١٩٤٧ ، ثم عقب فتـرة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ المضطربة خلال انشـاء

الدول العبرية وكان هدفهم الوحيد وأكرر هذا هو القضاء على مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط •

« ولكن الروس فهموا بسرعة شيئين :

١ ـ ان الدولة الاسرائيلية وان تكن ذات اتجاهات اشتراكيه الا أنها ليست شيوعية على الاطلاق وغير مستعدة لأن تدور فى فلك السوفيت •

٢ ـ ان الدول العربية على العكس تتوافر فيها كل الامكانيات لتحقيق أهداف السوفيت نظرا لما تعانيه من عدم استقرار شديد وبسبب ماتتسم به جماهيرها من طابع عنيف وعاطفى نتيجة فساد زعمائها •

وهكذا بدأ الروس يلعبون بالورقة العربية ••

(٢) ل • هامون ـ (العالم الثالث) :

« ان اسرائيل دولة أكثر تقدما الى حد كبير وأكثر اشتراكية فى قاعدتها من الدول العربية وفضلا عن ذلك فان اسرائيل تستطيع أن تؤثر فى الرأى العام اليهودى فى مختلف الدول وهو رأى يميل الى اليسار فى أكثر الأحيان فكيف يمكن فى هذه الظروف تفسير مساندة السوفيت للعرب •

ومن رأيى أن هذا الموقف يمكن فهمه على ضوء حقيقة أن الروس يرنون باستمرار الى العالم الثالث (وخاصة العالم الثالث الذى يسوده السخط وعدم الرضى) ويحاولون اجتذابه اليهم •

« وهذا الموقف يسهله الى حد كبير التأييد الذى تبديه الولايات المتحدة لاسرائيل وهو تأييد تمليه ظروف السياسة الداخلية والدوليه حتى اذا كان هامش الاستغلال الامريكى تجاه القدس أقل بكثير من ذلك الذى تتمتع به موسكو تجاه حلفائها •

(٣) م • روكار (اللغز) :

« ان الأسباب التى من أجلها يساعد الاتحاد السوفيتى الدول العربية مسألة تخص السوفيت » •

(٤) ج • ديهاميل (منطق الحرب الباردة) :

« توجد عوامل عديدة يمكن أن تفسر تغلغل الاتحاد السوفيتى فى الأراضى العربية • »

« اننى أعتقد أولا أن الغرب قد ارتكب حماقات (مثل حلف بغداد وحملة السويس) وان هذا قد سهل الى حد كبير موقف التعاطف الذى اتخذه الروس تجاه العرب وقد انتهز الروس هذه الفرصة وحسبوا الامكانيات المتاحة لهم للنفاذ بهذه الطريقة الى البحر الأبيض المتوسط •

« وأعتقد أن الأمر يتعلق برد فعل ضد اختيار من فعل الآخرين أكثر منه باختيار متعمد • فقد وجدت اسرائيل نفسها فى معسكر ووجد الاتحاد السوفيتى نفسه فى معسكر آخر •

« اننى اعتقد من جهة أخرى أن الأمر لا يقتصر على وجود طموح سوفيتى للدخول فى البحر المتوسط ، اذ أن الروس يرغبون منذ قرون فى النفاذ الى هذه المنطقة من العالم •

« واذا نظرنا الى خريطة الاتحاد السوفيتى فأننا سنشعر بالدهشة لضخامة الانتاج الصناعى فى منطقة البحر الأسود وباتجاه قنوات المواصلات التى تجعل من هذا البحر منفذا رئيسيا للاتحاد السوفيتى•

« وعلى هذا فان دوافع الاتحاد السوفيتى للنفاذ من البحر الأسود كانت دوافع (وطنية) ولكن هذا التحرك كان شيئا يمكن التكهن به وكان من الممكن منعه •

« واذا كانت هذه الرغبة فى الوجود فى الشرق الأوسط روسية

أكثر منها سوفيتية ، بمعنى أنها تتعلق باهتمام أمة أكثـر مما تتعلق باهتمام مذهب فان الدليل على ذلك هو تأييد الاتحاد السوفيتى لبعض نظم الحكم المحافظة • أن ما يهم الاتحاد السوفيتى قبل كل شيء هو أن يكون حاضرا •

« ولكن السوفيت يشـعرون مع ذلك براحة أكثر من نظم الحكم الاشتراكية القائمة فعلا • »

« لعل مما يفسر عدم التسامح المذهبى انجـذاب بعض الأقليات الاشتراكية نحو التجربة الصينية •

وينبغى ألا ننسى أنه يوجد فى الأصل اختلاف أساسى بين الثـورة الصينية والثورة السوفيتية فالثورة السوفيتية كانت وليدة الاذلال الاجتماعى (وهذا يفسر ان الاتحاد السوفيتى وجد نفسه مدفوعا الى الاهتمام أكثر بمشاكل الشيوعية فى المجتمعات الصناعية بينما نشأت الثـورة الصينية نتيجة رد فعل ضـد الاذلال الوطنى مما دفعها الى الاهتمام بصـفة رئيسـية بحركات الاسـتقلال وبمشاكل التنمية فى المجتمعات الحضارية التى يسيطر عليها الطابع الزراعى) •

« وهكذا فان النمـوذج الصينى ينطبق أكثـر نظريا على الدول العربية وهذا هو ما يثير قلق موسكو وما يجعلها تميل الى انتهاج حل وسط •

(٥) ج • مونرفيل (الاستراتيجية) :

ان الجواب بسيط • فاذا كان الاتحاد السوفيتى يؤيد العرب فان ذلك يرجع الى أن عددهم أكبر من عـدد الاسرائيليين هذا من جهة

ومن جهة أخرى لأن البلاد العربية تشكل الشرفة التى كان الروس فى حاجة اليها لتطويق العـالم الغربى وأضيف الى ذلك أن دخـول السوفيت الى المنطقة العربية سهلة الى حد كبير ، أن فرنسا تراجعت الى حدودها منذ اتفاقيات ايفان كما قال رئيس الدولة الفرنسية •

ان العالم كله يعرف ان الاتحاد السوفيتي موجود فى قاعدة المرسى الكبير « عندما عاد الاتحاد السوفيتى الى الظهور فى الشرق الأوسط كانت اسرائيل فى الواقع مرتبطة منذ الحرب الكورية بالمعسكر الغربى» والمفهوم أن رغبة موسكو فى ايجاد توازن عالمى قد اغرتها بالبحث عن التأييد فى الجانب المعارض . وقد استطاع الروس القيام بهذه العملية بسهولة بعد أن ظهروا على مسرح الأحداث مرة أخرى بوجه جديد . وهم الآن يستطيعون مساعدة ليس فقط الدول العربية التقدمية ولكن جميع الدول العربية واختفى بموت ستالين الشعار الذى كان سائدا فى عهده ومؤداه ان من لا يجارى سياسة الاتحاد السوفيتى يكون معاديا للاتحاد السوفيتى وحدث تحول مذهبى يسمح بكل الحيل التكتيكية .

« ولقد اعترف المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى فى الواقع بأن الحياد يمكن أن يكون طريقا مستقلا وأن الثورة فى البلاد المتخلفة تكون فى البداية ديمقراطية بورجوازية .

وكان ذلك بمثابة ايجاد أساس للتأييد الذى كانت ترغب فى تقديمه للدول العربية التى تحكم أكثرها تقدما البورجوازية الصغيرة الوطنية »[1] .

بينما يحكم الاقطاعيون الحقيقيون أشدها تأخرا .

« ولكن هذه الرغبة الطبيعية فى تحقيق التوازن لا تكفى وحدها لتفسير الاختيار السوفيتى . ان وجود ثلاثة ملايين يهودى فى الاتحاد السوفيتى يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية ويشعرون بالسخط على أحوالهم يتيح الى حد ما فهم هذا الاختيار ان اسرائيل تجتذب قلوب هؤلاء اليهود ويتمنون الهجرة اليها .

« فكيف يمكن اذن تبرير العراقيل التى يضعها المسئولون فى الكرملين على مثل هذه الهجرة دون أن يصوروا الدولة اليهودية فى

---

(١) انظر الفصل الثالث .

أحلك صورة وأشدها قتامة ، ودون أن يصوروا الصهيونيين الروس الذين يرغبون فى مغادرة الجنة السوفيتية الى الجحيم الاسرائيلى بأنهم أشخاص مرضى بعقولهم ! •

« وهكذا فانه اذا كانت الأسباب التى تتعلق بالسياسة الداخلية تفسر سياسة موسكو الموالية للعرب فان الصداقة التى يتمتع بها الاتحاد السوفيتى من جانب العرب تعزز رغبة الروس فى منع اسرائيل من النمو عن طريق هجرة مليون أو مليونين من اليهود السوفيت اليها ••• »

« ومن جهة أخرى فان اسرائيل تبدو فى أعين الروس كمنافس مخيف يمكن أن يقاسمهم النفوذ فى دول العالم الثالث واذا كان يقال أن وسائل الدولة العبرية الضعيفة ولكن من المحقق أن النجاح الذى حصلت عليه اسرائيل فى افريقيا يثبت أنه يوجد حل للتخلف خارج نطاق المبادىء المقدسة للنظرية الماركسية اللينينية •

« وأخيرا فانه اذا كان السوفيت قد وقع اختيارهم على العالم العربى فان هذا يرجع ببساطة الى أن هذا كان هو الأمر الأكثر سهولة حيث توجد أوجه شبه سطحية بين الاسلام وبين الشيوعية ألم ينسب الشاعر محمد اقبال الى الله هذه العبارة التى تنطوى الى حد يثير الاستغراب على معنى ماركسى أن يوم سيادة الجماهير يقترب •• »

وقد بدا لنا أنه من المهم لانهاء هذا العرض الوجيز المخصص للاتحاد السوفيتى أن نطلب من اثنين من الماركسيين الحكم على سياسة الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط وذلك بالاجابة على نفس الأسئلة وهذان الماركسيان هما :رينيه اندريو رئيس تحرير صحيفة أومانيتيه وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى ــ وشارل بيرج رئيس تحالف الشباب من أجل الاشتراكية وقد قبلا أن يقدما لنا رأيهما عن هذه المسألة :

وبمواجهة النزعة التقليدية للأول بالاندفاع العنيد الذى عرف به

الثانى فان القارىء سيتاح له بدون شك أن يلم بالأسباب التى تدعو الحزب الشيوعى الى الشك والحذر تجاه اليساريين •• »

سؤال : هل اتخذ الاتحاد السوفيتى موقفه ضد اسرائيل فى الشرق الأوسط باسم الاشتراكية أو على العكس لاعتبارات جغرافية سياسية تهم الروس بصفة خاصة :

١ ــ ر • اندريو :

« أريد أولا أن أذكر بأن الاتحاد السوفيتى أدلى بصوته فى الامم المتحدة مؤيدا انشاء دولة اسرائيل وانه يؤيد اليــوم أيضا حق هذه الدولة فى الوجود •

« فاذا كان الاتحاد السوفيتى قد اتخذ موقفا ضد زعماء اسرائيل الحاليين فان هذا لا يرجع الى اعتبارات جغرافية سياسية تهم الروس بصفة خاصة على حد تعبيرك ، وانما لان هؤلاء الزعماء ضموا بقوة السلاح أرضا يمتلكها العرب •

« ان الشيوعيين يؤيدون بصفة عامة سواء فى البلاد العربية أو فى غيرها كل حركة وطنية وكل حزب وكل منظمة وكل شخصية تناضل نضالا فعالا ضد الامبريالية • وهذا الاتجاه للحركة الوطنية المناهضة للامبريالية هو الذى يحدد موقف الشيوعيين من هذه الحركة وليس برنامجها السياسى أو الاجتماعى •

« وهكذا فان الحزب الشيوعى الفرنسى قد أيد من جانبه فى عام ١٩٢٥ كفاح شعب المغرب من أجل الاستقلال مع أن هذا الكفاح كان يقوده الأمير الاقطاعى عبد الكريم وقد أيد هذا الحزب فى عام ١٩٣٥ أثناء عدوان ايطاليا الفاشستية على أثيوبيا المقــاومة الوطنية للشعب الأثيوبى وهى المقاومة التى كان يقودها الامبراطور هيلاسلاسى وقد أيد بنفس القوة كفاح الشعب الفيتنامى الذى لعب فيه الشيوعيون دورا جوهريا وكفــاح الشعب الجزائرى بزعامة وطنيين كان كثيرون

منهم ضد الشيوعية . وهذا التضامن مع الشعوب من ضحايا القهر الاستعمارى يعتبر بالنسبة للحركة الشيوعية مسألة مبدأ .

« والشيوعيون يؤيدون بنفس هذه الروح كفاح الشعوب العربية ضد الامبريالية ومن أجل تدعيم استقلالها والتمتع بثرواتها الوطنية . وهكذا فان الشيوعيين ساندوا الرئيس عبد الناصر .

عندما أمم فى عام ١٩٥٦ قناة السويس ونظم بعد ذلك المقاومة ضد العدوان الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى فى الوقت الذى كانوا يعربون فيه عن أسفهم لأن المنظمات الشيوعية المصرية كانت محظورة وأن الشيوعيين المصريين كانوا يسجنون فى بعض الاوقات . ويلاحظ أن الشيوعيين فى الجمهورية العربية المتحدة استردوا منذ عام ١٩٦٤ حريتهم وهم يتولون الآن فى أحيان كثيرة مناصب ذات مسئولية .

وتظهر صحة هذا الموقف بشكل أوضح منذ أن سارت الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والجزائر فى طريق التنمية غير الرأسمالية وشرعت رغم الصعاب الضخمة فى اجراء اصلاحات اقتصادية أساسية (الاصلاحات الزراعية التأميم الخ) . وهكذا وجدت نفسها فى موقف أفضل يتيح لها التخلص من السيطرة الامبريالية . الأمر الذى يفسر النزعة العدوانية تجاهها من جانب الامبريالية .

(٢) شارل بيرج :

لا يمكن الاجابة على سؤالك دون الالتجاء الى حد أدنى من التفسير السياسى ان الاتحاد السوفيتى كما يحكم حاليا أى بواسطة البيروقراطية الستالينية لم يتخذ موقفا فى النزاع الاسرائيلى العربى باسم مبادىء الدولية العمالية وأنما على العكس باسم التعايش السلمى . وهذا التعايش السلمى يعتبر بمثابة انكار مطلق لجميع المبادىء اللينينية ليس فى مجال السياسة الخارجية ولكن فى مجال النشاط الدولى للبلاد التى تخلصت من تحكم الامبريالية العالمية .

« ان موقف الاتحاد السوفيتى موقف مضاد للثورية ، ولكن مثل هذا الاتجاه العقائدى ليس كافيا • »

« عندما زار خروشوف القاهرة قبل عزله مباشرة وفى الوقت الذى كان فيه عبد الناصر قد انتهى من القضاء على جميع الشيوعيين المصريين فان هذه الزيارة لم تكن ترجع الى أسباب جغرافية سياسية وانما كان سببها ببساطة هو تقسيم العالم الذى استمر عقب اتفاقيات يالتا وبوتسدام بين الامبريالية العالمية والبيروقراطية الستالينية •

« ولكن الموقف الحالى للقيادة السوفيتية ليس أمبرياليا مع ذلك ، ان المرء يجد نفسه فقط فى حيرة بين هذه القيادة المنبثقة موضوعيا من العلاقات الاقتصادية لثورة اكتوبر ولكنها قيادة تعيش منذ زمن طويل كحيوان طفيلى على أساس هذه العلاقات القائمة على الاقتصاد المخطط وبين الضرورة التى تجد فيها نفسها تحت ضغط الطبقة العمالية فى الاتحاد السوفيتى وفى الديمقراطيات الشعبية لايجاد صيغة وسط بين وجودها ذاته والثورة السياسية الزاحفة فى عام ١٩٥٦ فى المجر ، والآن فى تشيكوسلوفاكيا •

وألخص ما قلته فيما يلى :

« ــ ان موقف القيادة السوفيتية لا يمكن تفسيره الا بأنه استمرار لسياستها الخارجية فى اطار التعايش السلمى • »

« ــ اهتمام هذه القيادة منحصر فى تحاشى أن تصبح هذه السياسة موضع جدل فى الاتحاد السوفيتى ذاته • »

« ــ لا يمكن مع ذلك وصف هذه السياسة بأنها امبريالية لأن الامبريالية لها أسس اجتماعية تسمى « اقتصاد الربح » لا توجد فى الاتحاد السوفيتى • »

« ــ أن وجود الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط ليس له علاقة بالعمل الاشتراكى لأنه من غير المتصور أن تتحالف دولة اشتراكية مع

نظم حكم فاسدة مثل نظم الحكم الموجودة فى العراق التى تغرق كل يوم فى الدم جماهير العمال والفلاحين والطلبة • »

« وأخيرا فانه يكون من السذاجة والغرابة بمكان الافتراض بأن الاتحاد السوفيتى يعمل فى الشرق الأوسط من أجل التوسع وقد سبق أن أوضح لينين أنه طالما لم تتحمس أوربا للاشتراكية فان الحرب لا تستطيع أن تفعل شيئا لحملها على ذلك • وهكذا فان سياسة البيروقراطية الستالينية كانت تقوم منذ عام ١٩٤٤ على عدم تصدير الثورة وكان كل ما يرمى اليه هو محاولة الاحتفاظ بأى ثمن بتوازن مؤقت مع الامبريالية •

سؤال : هل تعتقد أن « صهيونية » الثلاثة ملايين سوفيتى هى أحد الأسباب التى دفعت سياسة موسكو الى الاتجاه نحو العرب ؟

١ — ر • اندريو :

« لست أعتقد أن مثل هذه الاعتبارات قد لعبت أقل دور فى هذا الموضوع • ثم أنه يبدو أنك أنت نفسك تشك فى صهيونية يهود الاتحاد السوفيتى لأنك وضعت هذه الكلمة بين قوسين •

٢ — شارل بيرج :

« لقد كنت فى وارسو خلال حرب الأيام الستة ، وفكرت فى هذه المسألة وأنى أعتقد بصراحة أنه لا توجد أية علاقة بين الظاهرتين اللتين ذكرتهما •

« ان البيروقراطية فى بولندا أو فى الاتحاد السوفيتى تتخذ نفس أشكال السيطرة التى كانت تتبع من قبل فى عهد القياصرة أى مناهضة السامية بصورة هستيرية وعنيفة •

« والمسألة تتعلق بعد ذلك بالشئون الداخلية اذ أن جومولكا يجد لزاما عليه أن يبحث عن كبش فداء لمقاومة الجيل الصاعد الجديد الذى يرنو نحو الثورة السياسية ••• وقد وجد أمامه اليهود مثله فى ذلك

مثل القياصرة وهو لم ينظم بعد مذابح لليهود ولكن توجد تحت تصرفه معسكرات للاعتقال وهو يستخدمها بوفرة • »

سؤال : هل كانت للاتحاد السوفيتى فى شهر يونية ١٩٦٧ مصلحة فى فتح جبهة ثانية فى الشرق الأوسط لموازنة الحرب الفيتنامية واجراء مفاوضات شاملة مع الولايات المتحدة ؟

١ ــ ر • اندريو :

ان هذه النظرية تبدو لى خيالية تماما فليس هناك أحد يود اللعب مع الحرب الذرية ان أى شعب ليست له مصلحة فى فتح جبهة ثانية • وهذا ينطبق على الحكومة السوفيتية كغيرها من الحكومات •

٢ ــ شارل بيرج :

« كلا مطلقا وخير دليل على ذلك أن حرب الأيام الستة قد أدت الى تعقيد الموقف سواء بالنسبة للولايات المتحدة أو للقادة السوفيت• ان حرب الأيام الستة هى نتائج كيميائى بحت لسياسة التعايش السلمى التى حملت الدولتين الكبيرتين الى توزيع مناطق النفوذ بينهما (أحدهما يؤيد عبد الناصر والأخرى تؤيد اسرائيل) ، والنتيجة أن أحدهما أصبحت فى واد والأخرى فى واد آخر هذا الى أن تجار المدافع ليست لديهم وطنية خاصة فى مثل هذا الموضوع •

ولو كان السوفيت يريدون فتح جبهة ثانية ، فقد كانت لديهم برلين التى يمكن القول أنها خصصت لهذا الغرض •

« اننى لا أقصد القول أن الحرب الفيتنامية والحرب الاسرائيلية العربية منفصلتان عن بعضهما والسبب فى أنهما غير منفصلتين هو أن الحرب مدرجة فى سياسة الامبريالية ولكن توجد مع ذلك فروق بينهما : فحرب فيتنام حرب مضادة للثورة وتقوم بها الولايات المتحدة ضد شعب فيتنام • أما حرب الشرق الأوسط فهى حرب بين البورجوازية الوطنية الهرمة واسرائيل • وقد كانت هذه الحرب

ضرورة بالنسبة لاسرائيل فلم تشـاهد قط دولة مهما كانت نواياها ومهما كانت طاقاتها البشرية تنجح عن طريق سياسة الاكتفاء الذاتى وبدون قواعد صناعية كافية فى تحقيق التنمية بصورة منسقة منظمة .

« ان البارون جى دى روتتشيلد بجميع هباته ومنحه والصندوق اليهودى الدولى ووكالة المخابرات الامريكية كل هؤلاء لن يستطيعوا معالجة التعقيدات الطبيعية لمجتمع يتألف سكانه من ثلاثة ملايين نسمة ويقوم على أساس الملكية الخاصة .

« وعبد الناصر أيضا فى حاجة الى الحرب لكى يجعل الناس ينسون طبيعة النظام الذى أنشـأه . أنه مثل نظام حكم فرانكو الذى يراد حمل الناس على نسيانه عن طريق حفلات مصارعة الثيران .

« ان الجبهة الثانية ليس لها علاقة بكل ذلك .. »

سؤال : ألا تعتقد أن دعوى الوحدة العربية تتناقض مع المساعدة التى يقدمها الاتحاد السوفيتى للدول العربيـة ولا سيما منذ أن أكد خروشوف أن بلاده تشعر أنهـا متضامنة مع العرب المقهورين ولكن ليس مع قاهريهم وان كانوا عربا (والمعروف أن العالم العربى ينقسم الى دول متقدمة والأخرى رجعية) .

١ — ر . اندريو :

« حقا ان العالم العربى ينقسم الى دول متقدمة ودول رجعية ولكن ينبغى ملاحظة أن قلب نظم الحكم التقدمية (ولا سيما فى القـاهرة ودمشق) كان الهدف الأساسى من الناحية الأمريكيـة لحرب الأيام الستة . ومن جهة أخرى فاذا كان الزعمـاء الاقطاعيون العرب قـد وجـدوا لزاما عليهم التضامن فى الكفاح ضـد اسرائيل تحت ضغط الرأى العام العربى ، فهم مرتبطون بصفة تقليدية بالأمبريالية : فالملك حسين ملك الأردن مرتبط ببريطانيـا ، والملك فيصل ملك العربيـة السعودية مرتبط بالولايات المتحدة الأمريكية .

« ان التضامن المبذول تجاه الدول العربية فى المشكلة التى نحن بصددها يشجع نمو حركة التحرر لمجموع الشعوب العربية . وهذه الحركة موجهة تاريخيا ضد الامبريالية وأيضا ضد الاقطاعيين المرتبطين بالامبريالية .

٢ ـ شارل بيرج :

« اذا كان خروشوف قد قال هذا فانه قد قال على الأقل عبارة تطابق الأفكار الشيوعية .

« اننى لا أشعر مطلقا بأنى متضامن مع البارون جى دى بروتشيلد أننى يهودى مثله ولكننى مناضل شيوعى وهو رجل رأسمالى وبناء على وجهة النظر هذه فاننى لا أرى أن ثمة أى ضرر فى أن يشنق بل على العكس فانى أصر على ضرورة قطع رأسه ولن أسمى هذا مذبحة وانما سأعتبره بمثابة تطور فى صراع الطبقات .

« ليس هناك شىء أقل تقدما من القومية العربية ، وليس هناك شىء تقدمى أكثر من حق الشعب الفلسطينى فى استرداد أراضيه . وليس هناك شىء أقل تقدميا من تدمير الدولة الاسرائيلية (لأن هذا يعنى شطب ثلاثة ملايين اسرائيلى من على الخريطة باسم شىء لا أدرى ان كان يسمى ايديولوجية شيوعية أو مناهضة للشيوعية وليس هناك شىء تقدمى أكثر من معركة يخوضها العمال الاسرائيليون والعرب ضد الطبقة البورجوازية التى تواجه كل منها ليس باسم الصهيونية أو القومية العربية لأن هذا أو تلك وليدة الايديولوجية البورجوازية، وانما من أجل الطبقة العاملة .

فلنأخذ مثلا : حق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها . أنه حق أزلى لايسقط بالتقادم ، وهكذا قالت روزا لوكسمبرج ولينين . ان عبارة « الجزائر الجزائرية » لم تكن شعارا اشتراكيا غير أن سمح للطبقة العاملة بأن تشكل نفسها وبأن تكافح من أجل الاشتراكية عقب

قطع الروابط مع الامبريالية • وهذا هو تصفية الاستعمار ولكن هذا لم يغير فى الموقف شيئا اذ أن بومدين ليست له أية علاقة بالاشتراكية

« واليوم نجد جماهير الشرق الأوسط نفسها فى مواجهة سياسة تتناقض تناقضا صارخا مع مبادىء الاشتراكية ، مع أن هذه السياسة تمارس باسم الاتحاد السوفيتى • ان الاشتراكية ليست حقيقة الا باعتبار أنها حركة دولية ان الماركسيين لا يحبون لا الزنوج ولا اليهود ولا الجنس الأصفر ولا العرب واذا كانوا لا يحبونهم بهذا الوصف فالسبب فى ذلك أنهم دوليون •

« لقد قلت كل هذا لكى أقول لك فى النهاية انى أؤيد وجهة النظر التى أعرب عنها خروشوف •

سؤال : ألا تعتبر المحافظة على السلام (وهو ما يدعى الاتحاد السوفيتى العمل من أجله شيئا يتناقض مع توسع الاشتراكية فى الشرق الأوسط ، وهو الهدف الذى تهدف موسكو الى تحقيقه ولا سيما عن طريق المساعدات العسكرية الضخمة التى تقدمها للدول العربية ؟

١ — ر • اندريو :

« اننى لست أجد فقط أى تناقض بين توسع الاشتراكية فى الشرق الأوسط وبين المحافظة على السلام ، ولكنى أعتقد أيضا انه لن يكون هناك سلام نهائى بدون انتصار الاشتراكية •

« ان ثروات هذه المنطقة من العالم (البترول) لا يزال معظمها فى الواقع فى أيدى الدول الرأسمالية الكبرى ونظرا الى أن هذه الدول تشعر أن سيطرتها مهددة بتصاعد حركة تحرر الشعوب العربية فانها تزيد من مؤامراتها لمقاومة هذه الحركة وتستخدم بصفة خاصة لهذا الغرض السياسة الاسرائيلية وقد سمحت المساعدات العسكرية السوفيتية حتى الآن للعرب ، وهم أضعف كثيرا من اسرائيل بالصمود

وقد كان من المحتمل لولا هذه المساعدات أن يوضع رجال موالون للامبريالية لتولى الحكم فى القاهرة ودمشق •

٢ ـ شارل بيرج :

« ينبغى فهم ما هو مهم أن الرد على هذا السؤال قد ورد صراحة فى كل الأقوال التى أدليت بها حتى الآن •

« اننا نقول دائما فى الكلام الذى تتداوله أن الحزب الشيوعى الفرنسى يخون الثورة باسم الثورة •

وهكذا فانه يوم ٢٩ مايو أطلق الحزب الشيوعى شعار « الحكومة الشعبية » وهذا لم يمنعه من تحطيم الأحزاب أثناء الانتخابات •

« وهذه هى نفس المشكلة فيما يتعلق بتسليم الاسلحة للدول العربية ، اذ ينبغى معرفة نوع السياسة التى تحملها الاسلحة • ان المدفع الذى يديره جندى من المرتزقة والمدفع الذى يديره أحد العمال لكل منهما معنى سيختلف عن الآخر •• »

الفصل الخــامس
فرنســا والنزاع الاسرائيلى العربى
من جى موليـــه الى ديجول

ان الدولة الجديرة بهذا الاسم لا يكون
لها أصدقاء شارل ديجول

غموض مقصود

ظواهر الأشياء :

فى يوم ١٦ مارس ١٩٥٦ صرح كريستان بينو أثناء زيارته للقاهرة عندما كان وزيرا للخارجية فى حكومة جى موليــه : « أن فرنســا لا تريد أن تضحى بأية صداقة أو أن تقوم بأى تمييز فى المعاملة بين الشعوب التى تريد أن تعيش معها فى وئام تام » .

وفى يوم ٢ يونية ١٩٦٧ قبل ٧٢ ساعة من شن الحرب الخاطفة التى قلبت توازن القوى فى الشرق الأوسط اتخــذ كل من رئيس الدولة الفرنسية والحكومة موقفا فى بيان نشر عقب اجتماع مجلس الوزراء وأكد فى جوهره أن فرنسا غير مرتبطة بأى من أطراف النزاع الحالى

ويبدو أن قراءة النص الذى يتضمنه هذان الموقفان اللذان يفصل بينهما أكثر من عشر سنوات واقيمت خلالها جمهورية ، انما يكشف عن وجود اتجاه ثابت فى الأمانى تفسرها سياسة فرنسا الخارجية التى تهتم بمراعاة كل الصداقات حتى أكثرها تناقضا ، وتنويع أحلافهــا حتى أشدها اختلافا ، وباختصار فهى تمارس دور الوساطة واشاعة السلم وهو دور يكفل تحقيق المكانة التى تنشدها .

ومع هذا فان فرنسا ســواء فى عهد حكومة جى موليه أو فى ظل

جمهورية الجنرال ديجول ، وفى نفس الوقت الذى كانت تنادى فيـه بانها تريد تنويع وتدعيم صداقتها فى الشرق الأوسط فانهـا حافظت بوضوح على علاقات ممتازة مع الدولة اليهـودية وفيما يلى مثالان على ذلك :

ـ فى صيف عام ١٩٦٤ وأثناء زيارة ليفى اشـكول رئيس وزراء اسرائيل لباريس أطلق الجنرال ديجول عبارته الخالدة : « اسرائيل صديقتنا وحليفتنا » وهى عبـارة سبق أن قالها لبن جوريون رئيس الحكومة الاسرائيلية فى عام ١٩٦١ .

ـ وهذه الصداقة الخاصة بين باريس والقدس بلغت ذروتها خلال حملة السويس عندما وجدت اسرائيل نفسها مضطرة الى الوقوف الى جانب الكتـلة الغربية . وفى أول نوفمبر ١٩٥٦ أعلن زعيم الحزب الشـيوعى الفرنسى (جى موليـه) من فوق منصة الجمعية العـامة الفرنسية نبأ زحف القوات الاسرائيلية منذ مساء اليوم السابق نحو قناة السويس ووصفت هذه الصداقة وهذا التحالف بانهما ينطويان على أنبل الأسباب وقال اننا نعرف الشعب الاسرائيلى ونعرف تصميمه وشجاعته اللتين استطاع بهما أن يحافظ على سلامة أراضيه من أعدائه الذين يحيطون به ونحن نعرف اخلاصه لحقوق الانسـان وللمبادىء الأساسية للديمقراطية وهى مبادىء يدفع ثمنها الحقيقى ربما أكثر من أى شخص آخر . « ان القول أن فرنسا تحتفظ بأحسن العلاقات مع الشعبين المتعاديين اليهودى والعربى ، وأنها تعمل فى وسط الظروف الدولية الصـعبة على أن يظل الميزان متعادلاً بينهما وانها تحتفظ فى نفس الوقت بعلاقات ممتازة مع اسرائيل ، مثل هذا القول ينـاقض المنطق بصورة لم يستطع الزمن كما رأينا أن يدخضها ان الحكم على فرنسا على أساس سياستها فى الشرق الأوسط يجعلنا نعتقد أنه كان من الممكن أن يكون كريسـتيان بينو وزيرا للخـارجية فى عهـد الجمهورية الخامسة دون أن يرجع عن آرائه وان يحتل جى موليـه مقعد الرئاسة فى قصر الاليزيه دون أن يتنكر لعطفه على اسرائيل .

الحقيقة :

ولكن خلف الكلمات تكمن الحقيقة المتحركة والمتلونة والحقائق التى تغطى التصريحات الحارة الموالية لاسرائيل لكل من جى موليه والجنرال ديجول تبدو متناقضة تماما . والبلاغة ليست احتكارا للعالم الغربى وحده .

فى عهد الجمهورية الرابعة كان الاحتفاظ بعلاقات ممتازة مع اسرائيل يشكل الحقيقة أما الانفتاح نحو العرب فقد كانت الخطب وحدها التى تشير اليه .

وفى ظل الجمهورية الخامسة على العكس فانه رغم التصريحات المتعلقة بالصداقة تذهب دائما نحو الدولة اليهودية فان الحقيقة تتغذى وتتدعم بتقارب محسوس مع العرب .

ان عدو الأمس أصبح صديق اليوم وهذا شىء من الممكن تصوره . وصديق الأمس أصبح تقريبا فى مصاف الأعداء ، لا لسبب الا الانتهازية السياسية وهذا شىء خطير . وهكذا أصبحت الصداقة لعبة لها وجهان .

لقد كان التحالف بين فرنسا ودولة اسرائيل فى عهد الجمهورية الرابعة يعتبر بصورة ما من طبيعة الأشياء وحتى عام ١٩٥٧ كان المناخ السائد هو جو « صراع التكتل » ، ولم تكن السياسة الخارجية لفرنسا مثلها فى ذلك مثل حليفتها الولايات المتحدة ، تعرف خطة غير خطة « حرية الغرب فى الكفاح ضد السيطرة الشيوعية » وهكذا فانه طبقا لتعبير مبسط لما كانت فرنسا فى صراع ضد المتمردين العرب فى الجزائر ونظرا الى أن عرب دول الشرق الأوسط كانوا دائما فى صراع ضد اسرائيل فان فرنسا وجدت نفسها بطبيعة الحال الى جانب الدولة اليهودية . لقد كانت الجزائر هى القيد الذى كان يرغم فرنسا على الوقوف فى صف الكتلة الغربية .

ان هذا المناخ المتسم بالحرب الباردة وهذه السياسة التى تشبه

« كلبا يموت عطشا وهو بجانب جدول ماء » كما وصفها ارستيد بريان ، والتى تقبل تماما وجود كتلتين متعاديتين قد أسفر عن خلق حدثين جوهريين فى تاريخ العلاقات بين فرنسا والشرق الأوسط هما سباق التسلح وحملة السويس .

(١)

من انشودة الغرام التى تبدل المشاعر

لقد أدى عقد حلف بغداد «[١]» فى شهر فبراير ١٩٥٥ الى ادخال الحرب الباردة فى الشرق الأدنى . حقا ان الاتحاد السوفيتى لم ينتظر توقيع هذه المعاهدة لكى يبدأ فى تسليح مصر ، ولكن حلف بغداد الذى كان موجها بصفة خاصة ضد موسكو وضد الشيوعية بصفة عامة سمح للاتحاد السوفيتى بأن يعمل فى جو من الحرية .

ان قانون الحرب الباردة يحتم على كل من الدول الكبرى أن تعطى لحلفائها وسائل الردع الضرورية وعلى هذا فانه لم يكن فى وسع فرنسا أن تتخلى عن اسرائيل وتترك وجودها الوليد تحت رحمة الدول العربية . وكانت نتيجة ذلك أن أصبح التقارب الفرنسى الاسرائيلى واضحا ، وقد بذل شيمون بيرز نائب وزير الدفاع الاسرائيلى ومسيو جيلبير سفير فرنسا فى تل أبيب جهودا ذاتية لتحقيق هذا الهدف .

ورغم أنه قد تم منذ عام ١٩٥٤ توقيع اتفاقية من حيث المبدأ بين الحكومة الاسرائيلية وبين حكومة بيير منديس فرانس تنص على تزويد اسرائيل بسرب من طائرات أورجان وست طائرات مستير — ١١ و ١٢ طائرة مستير — ٤ فقد اقتضى الأمر الانتظار حتى عام ١٩٥٥ بل حتى عام ١٩٥٦ لكى يتم تسليم جميع هذه الطائرات للدولة

---

(١) انظر الفصل الرابع

اليهودية وفى غضون ذلك كان لا بد من التغلب على المعارضة التقليدية لوزارة الخارجية الفرنسية المعروفة جيدا بمشاعرها الودية نحو العرب منذ عهد الملك فرانسو الأول •

(أ) انشودة الغرام :

سباق التسلح

عشية حملة السويس أخذت الأسلحة والمهمات الفرنسية تصل بكميات كبيرة الى أسرائيل • وأدى وصول طائرات فوتورود اكوتا ونور اطلس ، وخاصة وصول ستين طائرة مستير ــ الى تحقيق شيء من التوازن بين القوات الاسرائيلية والعربية •

ومنذ ذلك الوقت أخذ « تساهال » (جيش الدفاع الاسرائيلى) يزود بأحدث الوسائل العصرية بفضل فرنسا التى ارتفعت هى الأخرى الى مرتبة الصديقة الكبرى الممتازة لاسرائيل ورغم مظاهر التردد المتزايدة من جانب وزارة الخارجية الفرنسية وخاصة منذ أن تولى شئونها مسيو كوف دى مورفيل فى بداية عهد الجمهورية الخامسة فان وصول الطائرات الفرنسية الى اسرائيل أخذ يستمر فى الاضطراد ولا سيما بعد أن وصلت اليها فى عام ١٩٥٨ أربعة وعشرون طائرة من طراز سوبر مستير وهى أولى الطائرات الأسرع من الصوت التى تسلمها الجيش الاسرائيلى • ولكن لكى تستطيع اسرائيل الحصول على ٧٢ طائرة ميراج ــ ٣ (التى تشكل أفضل رد على طائرات الميج السوفيتية) ، ولكى تستطيع هذه الطائرات الهبوط ، حتى عشية حرب الأيام الستة فوق مطارات الأرض الموعودة ، فانه كان ينبغى التغلب على عقبات كبيرة • وقد تدخل الجنرال ديجول بنفسه فى خلال اجتماع وزارى عاصف ضم كوف دى مورفيل وبيير نيسيمر وجورج بومبيدو للبت فى هذه المسألة لصالح الدولة اليهودية •

حدث ذلك فى عام ١٩٦١ عندما كان التحالف والصداقة بين فرنسا واسرائيل يبدوان دائما كحقيقة واقعة •

ولكن المسألة العامة المتعلقة باعادة تسليح الأطراف المتحاربة بواسطة طرف ثالث سواء فيما يختص بالمساعدات التى كانت تقدم لاسرائيل أو للعرب قبل حملة سيناء أو باعادة التسليح الشامل لمصر الناصرية على يد الروس عشية حرب يونيو ١٩٦٧ وهذه المسألة تثير مشكلة أدبية خطيرة •

وقد أدلى لنا ليوهامون ، وهو أحد اقطاب الديجولية برأيه فى هذه المشكلة فقال :

« لقد كنت دائما من أنصار وقف شحنات الأسلحة التى ترسلها الدول الأخرى الى بلاد الشرق الأوسط • يجب وقف سباق التسلح الذى يدمر هذه البلاد وما يترتب عليه من نتائج مؤسفة •••• ولكن النقطة الهامة هى معرفة اللحظة التى ينبغى أن يوقف فيها سباق التسلح : لقد سلمت روسيا كميات ضخمة من الأسلحة للدول العربية بحجة أنها لا تستطيع أن تتركها تعانى الهزيمة ومن جانبنا نحن الفرنسيين فان الاسرائيليين لن يترددوا فى القول أنه يجب على فرنسا أن تنفذ عقودها لأنه توجد فعلا عقود •

وباختصار فأنى اذا قلت بأخلاص تام أنى أشعر بالأسف بسبب سباق التسلح الذى يبدو أن الاتحاد السوفيتى قد لعب فيه دورا كبيرا فانى أعتقد ان العمل على وقف هذا التسلح سيكون أكثر صعوبة لأن كل طرف سيقول أنه ينبغى أن يحصل قبل وقف شحنات الأسلحة على تعديلات تنطوى على التعويض •

حملة السويس

لقد سمحت حملة السويس على أى حال للفرنسيين والبريطانيين بأن يحاربوا الى جانب الدولة اليهودية ومن الخطأ مع ذلك التوهم

أن الحملة التى أرسلت الى مصر لم تكن سوى مظهر بارز لاخلاص فرنسا للدولة اليهودية فالواقع ان اتحاد المصالح والصداقة الحقيقية كانا الباعثين اللذين أديا الى قيـام هذا التحالف المؤقت بين اسرائيل وبين الغرب • وحذف أحد هذين الباعثين يجعل من المتعذر القيـام بأية محاولة لتفسير هذا التحالف تفسيرا أمينا ودقيقا • (انظر الفصل الذى عالجنا فيه موضوع الاتهامات العربيـة الخاصـة بالتـواطىء الاسرائيلى الامبريالى ـ فى الجزء الأول) •

ولسنا فى حاجة الى العودة الى سرد ظروف ومغزى عملية السويس فقد تعرض هذا الموضـوع لتحليل واسـع النطاق قائم على الخبرة ونكتفى هنا باستعراض بعض ملاحظات السفير جيلبير (الذى كان دوره حاسما فى تلك الفترة) •

سؤال : هل حقا مايقال أن الانجليز ذهبوا الى السويس لانقـاذ القناة وان فرنسا لم تشترك فى هذه العملية ـ رغم أنه كانت لهـا مصلحة فى اسقاط عبد الناصر بسبب مساعدته للجزائر المتمردة ضـد الوطن الأم ـ الا نتيجة النداءات الملحة من جانب اسرائيل ؟

« ان الفرنسيين والبريطانيين ذهبوا الى القناة من أجل مصالحهم لقد كانت هذه عملية فرنسية بريطانية قبل كل شىء وقـد أشرك فيها الاسرائيليون من أجل احتياجات القضية المشتركة • ولم يكن اقناع بن جوريون بذلك بالأمر السهل •

« ان سياسة اسرائيل التقليدية كانت تهـدف الى عدم الارتبـاط بكتلة من الكتل وعدم الانزلاق فى المنازعات الجغرافية والسـياسية للدول الكبرى • وقد تردد طويلا قبل التخلى عن هذا الاتجاه ، ولكن سوء تصرف الزعماء العرب هو الذى سمم الجو بالنسـبة لاسرائيل وأدى الى ضربة السويس الضخمة » • انى مقتنع بأن الذى حمل بن جوريون على الاشتراك فى هذا المخطط هو الحوادث الارهابية الشهيرة التى وقعت عنـد مشارف تل أبيب فى شـهرى مايو ويونيو

١٩٥٦ ، والانفجار الذى تعرض له الاوتوبيس الذى كان يحمل الأطفال الى الرحلة • فعلى أثر ذلك هاج الرأى العام الاسرائيلى ضد الحكومة وأخذ الاسرائيليون يقولون : لماذا ندفع مثل هذه الضرائب الباهظة لكى يكون لنا دفاع وطنى ملائم ثم تتعرض نساؤنا وأطفالنا للقتل فى قلب اسرائيل ذاتها ؟

« لقد كانت فرنسا هى التى اقترحت على بن جوريون القيام بعمل مشترك وليس العكس هو الصحيح ومن المحتمل أنه لم يكن يريد سوى شحنات اضافية من الأسلحة وقد حصل على الغطاء الجوى الضرورى الذى كان يتألف من طائرات الميستير » •

ان الشىء الجوهرى بالنسبة لاسرائيل كان هو السلاح • وقد قبلت فرنسا وحدها ان تقوم بتسليحها • أما الانجليز فلم يقبلوا قط التعاقد معها على هذا الصدد وهذا يثبت أن مسألة السويس كانت شيئا مرتبطا بالموقف العام وان الجهود لم تتجه في عام ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ الى عام ١٩٥٦ ــ باتفاق ضمنى مع اسرائيل نحو شن حملة ضد مصر

« وقد طلب بن جوريون أن يقفز الى القطار الذى كان يتحرك وقد أراد الاستفادة كما سبق أن قلت لك من القرار الذى اتخذته فرنسا وبريطانيا ، ربما من أجل القضاء على نظام حكم عبد الناصر لكى تصبح مصر أكثر اتجاها نحو الغرب وأكثر قدرة على الحوار دوليا معه • »

سؤال : ماذا كانت مصلحة فرنسا فى هذه الظروف « بجعل اسرائيل تقفز فى هذا القطار الفرنسى البريطانى الذى كان سائرا » ؟

« لم يكن فى استطاعة فرنسا وبريطانيا القيام بالعملية وحدهما ولو لم تمد لهما اسرائيل يد المساعدة لوقعت كارثة منذ بداية الحملة•

لقد كان من المستحيل على « الارمادا » الفرنسية البريطانية انزال قواتها بالبطء الذى كانت تسير عليه ! لقد كان هذا الأسطول يسير

بسرعة ست عقد فى الساعة بينما نفذ الاسرائيليون الجزء الخاص بهم من العملية قبل وصول الأسطول الى الشاطىء بعشر أيام •

وليس من الصحيح ـ فى رأينا ـ القول دون تمييز أن سياسة الجمهورية الرابعة فى الشرق الأوسط كانت متعاطفة مع اسرائيل وان جمهورية ديجول (الجمهورية الخامسة) كانت تتسم بالعداء الشديد نحو الدولة اليهودية • ولكن غير صحيح أيضا القول أن خطر شحنات الاسلحة الفرنسية الى اسرائيل فى شهر يونيو ١٩٦٧ كان أول علامة على ان فرنسا قد بدأت تتباعد عن الدولة الاسرائيلية • فالحقيقة تختلف عن ذلك ومع هذا فانه ينبغى قبل أن نوضح هذه الحقيقة المتحركة أن نفسر باختصار النظرية التى تحدثنا عنها فى بداية هذا الفصل وهى أنه فى ظل الجمهورية الخامسة كانت الوقائع بصفة عامة تشير الى وجود تقارب فرنسى تجاه الدول الاسلامية فى الشرق الأوسط وعمدت فرنسا فى نفس الوقت الى اغراق دولة اسرائيل بفيض من الأقوال المطمئنة عن الصداقة والتحالف •

(ب) التحول :

يستطيع المراقب الواعى أن يكتشف منذ عودة الجنرال ديجول الى الحكم وجود دلائل معينة تشير وان يكن بطريقة خفية الى مظاهر المشاعر التى تبديها فرنسا نحو الدول العربية • نعم ان اتفاقيات ايفيان كانت ولا تزال فى باطن الغيب وكانت فرنسا لا تزال تحارب عرب المغرب الفرنسى ولكن النتيجة النهائية لحرب الجزائر كانت واضحة منذ البداية للجنرال ديجول ، وكان هدف الرئيس الفرنسى حينئذ هو وضع الأسس التى تسمح له عندما يعلن استقلال الجزائر بأن يجنى دون اراقة واضحة لماء الوجه ثمار سياسته الجزائرية •

وقد أدلى لنا روبير بوجاد السكرتير العام للاتحاد الديمقراطى الجمهورى وموضع ثقة الجنرال ديجول ، والذى قال أيضا أنه لم

يمارس السياسة مطلقا الا مع الجنرال ، أدلى لنا بوجهة نظره فى هذا الصدد فرد على سؤالنا وان يكن بطريقة خفيفة :

السؤال : كيف تفسرون خضوع البرلمانيين الديجوليين وأغلبيتهم العظمى من المتعاطفين مع اسرائيل أمام الموقف المتسم بالتأييد التام للعرب الذى كان يقفه الجنرال ؟

وقد أجاب قائلا :

« اننى أشعر أنه ليس من حقى أن أحكم عليهم فيما يتعلق بهذا الموضوع لأنى أنا شخصيا وافقت دائما على البواعث التى أوحت للجنرال بأعماله ولقد أدركت بنفسى الطريقة منذ عام ١٩٥٨ أن الحركة التى لا بد أن تؤدى الى استقلال الجزائر لا رجعة فيها . »

وقد أيد تحليلنا موريس كلافيل ، هذا الصحفى والروائى النابغة الذى كان صديقا للجنرال ديجول وموضع ثقته الى أن وقع حادث بن بركة حيث قطع علاقته مع الديجولية فقد قال لنا :

« لقد كان الجنرال يريد منذ عام ١٩٥٨ « التخلص من مشكلة الجزائر وأن كان قد اتخذ تجاهها موقفا مشرفا جدا ، وكان هدفه من ذلك انتهاج سياسة متحررة . لقد أبلغنى ديجول فى عام ١٩٥٦ — ١٩٥٧ بدقة متناهية ماكان يعتزم أن يفعله بالجزائر . »

(أ) الوقائع :

لقد استقبلت اسرائيل باستياء شديد فى عام ١٩٥٨ نبأ تعيين كوف، دى مورفيل فى منصب وزير الخارجية الفرنسية ، أن القدس كانت تذكر أن دى مورفيل الذى أصبح فيما بعد رئيسا للحكومة الفرنسية كان يشغل خلال حملة السويس منصب سفير فرنسا فى القاهرة وان ميوله المتعاطفة مع العرب جعلته يستنكر مبدأ هذه العمليات .

وفى شهر اكتوبر ١٩٥٩ وافقت شركة رينو للسيارات على الاذعان

لمطالب مكتب المقاطعة العربية الموجود فى بيروت وفسخت الاتفاق التجارى الذى كان قد عقدته مع اسرائيل «[1]» •

وبعد بضعة شهور رفضت شركة ايرفرانس للطيران عقد اتفاقية مع شركة العال الاسرائيلية •

ان هذه الوقائع التى لوحظت من بين آلاف الوقائع الأخرى والتى تشكل معها الطريق الذى انتهجته فرنسا للعمل فى الشرق الأدنى قد تبدو قليلة المغزى ومن السهل القول أن الحكومة الفرنسية لم تمارس فى حالتى شركة رينو وشركة ايرفرانس ضغطا يذكر على هاتين الشركتين •

وهذا هو رأى مسيو جيلبير الذى شغل منصب سفير فرنسا فى تل أبيب فى الفترة من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٩ الذى قال لنا فى غير قليل من الدعاية :

ان شركة رينو كما تعرف عبارة عن برلمان «[2]» • لقد كان دريفوس رجلا ذكيا وعرف كيف يستفيد من الاتفاقية التى عقدها مع اسرائيل ثم ظهر بعد ذلك الطعم الذى تمثل فى امكان انشاء مصنع كبير للسيارات فى مصر ، فقد أبلغت مكاتب المقاطعة العربية فى بيروت مندوب شركة رينو فى الشرق الأوسط انه اذا تخلت الشركة عن الاتفاقية التى عقدتها مع اسرائيل فانه سيكون أمامها فرصة ذهبية لانشاء مصنع لها فى مصر •

وعندئذ قيل فى هذا البرلمان حسنا هذه الفرصة •

« لقد كانت وزارة الخارجية الفرنسية تعارض فكرة عقد اتفاقية شركة رينو وبين اسرائيل ، واحتجت على هذه المعارضة بعبارات

---

(١) على الرغم من احراز بعض النجاح فان حركة المقاطعة العربية لم تحقق هدفها النهائى وهو تحطيم الاقتصاد الاسرائيلى فلقد تضاعف حجم هذا الاقتصاد فى الفترة ما بين عام ١٩٥٠ ، عام ١٩٦٥ خمسة مرات .

(٢) اسم أحد السياسيين الفرنسيين وهو فى نفس الوقت اسم شركة السيارات المعروفة . (المترجم)

جارحة ثم لم تلبث الشركة أن تخلت عن الاتفاقية بطريقة غير لائقة • وبعد أن تحررت الشركة الفرنسية من التزاماتها تجاه اسرائيل بعد عملية تحكيم حية • اتجهت نحو العرب ••• لكى تعلم بعد ذلك أن سبق أن تعاقدت مع شركة فيات •

ولكن لم يكن هناك أى ضغط من جانب الحكومة الفرنسية على شركة رينو وكان فسخ الشركة للاتفاقية مجرد نزوة من رؤسائها •

وفيما يتعلق بشركة ايرفرانس فانها لم تتعرض أيضا لضغط من جانب الحكومة الفرنسية لكى ترفض الاتفاق مع اسرائيل • ومن جهة أخرى فأنك تعرف ما لحكايات التغلغل الثقافى الفرنسى من نفوذ • واقد دفعت الروابط الفرنسية الاسرائيلية قبل وبعد حملة السويس الاسرائيليين وهم شعب يتميز بعرفان الجميل ، الى تقارب ثقافى غير عادى مع فرنسا مع انه لم يكن هناك شىء من ذلك فى عام ١٩٥٢ — ١٩٥٣ • لقد كان الجيش الاسرائيلى يعقد ندوات باللغة الفرنسية : لقد كان هذا شيئا رائعا •• لقد أبهج ذلك وزارة الخارجية الفرنسية ذاتها ••• وكذلك الجنرال بالتأكيد ••• »

ولكن هذه العناصر تولد الشك فى نفس المحلل السياسى وتكفى بمجرد الأشارة الى ذلك ، ولا سيما وان الصحف الاسرائيلية فى ذلك الوقت كانت تعتقد أن وزير الخارجية الفرنسية هو الذى كان يوحى بهذه التدابير التى كانت موجهة بوضوح ضد الدولة العبرية •

وكان الصحفيون فى تل أبيب يترفقون بالجنرال ديجول ، فقد كانت تصريحاته تهدىء من المخاوف التى بدأت تسورهم • ولا شك أنهم نسوا ان التعاون الخاص جدا الذى كان قائما بين فرنسا واسرائيل فى المجال الذرى وفى مجال المخابرات وقد ضحى به على يد رئيس الدولة الفرنسية من أجل مقتضيات الاستقلال الوطنى •

والواقع أن الدوائر المسئولة كانت تعرف جيدا أن اسرائيل كانت تملك فى باريس فى عهد الجمهورية الرابعة وخاصة منذ حملة السويس

المشتركة مكتبا خاصا بها فى وزارة الدفاع الفرنسية وفى حقيقة الأمر كانت ادارة المخابرات الفرنسية معقدة ومتداخلة الى حدود أن القطة لا تستطيع فيها أن نعثر على صغارها ... »

فاذا عرفت أن الذى قال هذه العبارة الأخيرة فى أحد لحظات السرحان الذى لا يتسم بالدبلوماسية هو ج.ج ليبيل المدير الحالى لقسم افريقيا والشرق الأدنى فى وزارة الخارجية الفرنسية ، فانه يمكن حينئذ تقدير مدى صحة التأكيدات السابقة .

(ب) الأقوال :

ومع هذا فانه منذ عام ١٩٥٨ حتى عشية « حرب الأيام الستة » وعلى أسوأ تقدير حتى عام ١٩٦٤ ، لم يترك الجنرال ديجول أية فرصة لكى يؤكد بالاقوال الروابط القوية العميقة التى لايمكن فصمها القائمة بين فرنسا واسرائيل .

وفى شهر مايو ١٩٥٩ ذهب السكرتير العام للحزب الاشتراكى الفرنسى ورئيس الحكومة السابق فى زيارة لاسرائيل وانتهز الجنرال ديجول هذه الفرصة لكى يكلفه بمهمة مزدوجة : مهمة خاصة يبلغ فيها بن جوريون انه اذا تعرض وجود اسرائيل مرة أخرى للتهديد فأن فرنسا ستقف الى جوارها من جديد . ومهمة عامة : هى أن يعلن أن الجنرال ديجول يؤيد القرارات التى اتخذتها الحكومة الفرنسية فى عام ١٩٥٦ من أجل مساندة اسرائيل .

ان ر . تورنو هو الذى روى هذه الوقائع فى كتابه « أسرار دولة » ولكى نرضى ضميرنا فقد طلبنا من مسيو جى موليه أن يدلى برأيه فى قيمة هذا التحليل فقال :

ان ما كتبه مسيو ر . تورنو عن مهمتى فى اسرائيل فى شهر مايو ١٩٥٩ صحيح تماما ولكن هذا لم يكن يشكل فى نظر الجنرال ديجول أى التزام . لقد كان من الممكن تماما تعريف اسرائيل بأنها صديقة بل

وحتى حليفة دون أن ينطوى هذا التحالف على التزام • ان فرنسا موجودة فى حلف الأطلنطى دون أن ترتبط مع ذلك بالتزامات ميثاق حلف الاطلنطى • »

ثم أضاف رئيس الحكومة الفرنسية السابق كما لو كان يحدث نفسه : أن ديجول يعتقد أنه مكلف برسالة وأنه لا يجب أن يقف شيء دونه فى هذا السبيل ان هذا يشبه حالة جان دارك •

ان الجنرال يتحدث عن الأشياء بطريقة يستطيع بعدها دائما أن يؤكد أن يجعل غيره يؤكد ان المعنى الذى اعتقد البعض انه ينبغى أن ينسب الى أقواله لم يكن هو المعنى المقصود •• »

ولقد سمع السفير جيلبير هو أيضا من فم الجنرال أقوالا تنطوى على التعاطف مع اسرائيل بدرجة أثارت دهشته • وقد صرح لنا فى هذا الصدد بما يلى :

اننى أتذكر مقابلتى مع الجنرال عندما حضرت لكى أتلقى توجيهاته عندما أصبح رئيسا للدولة عند قيام الجمهورية الخامسة • فقد قال لى كلاما كثيرا ينطوى على الاطراء الشديد لاسرائيل ومما قاله :

اننى معجب منذ البداية بجهود الشعب الاسرائيلى • انها تجربة مؤثرة وانى لأحسدك على أنك تابعتها عن كثب • قل لهم أنى سأكون دائما الى جانبهم للمحافظة على وجودهم ••

اننى لم أسمع من قبل مثل هذا الكلام من أى رئيس للحكومة فى عهد الجمهورية الرابعة • حتى أشدهم تعاطفا مع اسرائيل كان يبدو أكثر حذرا • وبلغ الأمر بى أن سألت الجنرال عما ستكون عليه فى هذه الظروف سياسته تجاه العرب ••• ولا زلت أراه وهو يرفع ذراعيه نحو السماء ويقول لى :

« ولكن العرب ياجيلبير قوم عاطفيون بل ومتهوسون أحيانا • فماذا تريد أن تفعل معهم ؟ • »

وهل من الضرورى أيضا أن نذكر التصريح الذى أدلى به كوف دى مورفيل الى الملك حسين فى شهر ديسمبر ١٩٦٤ وهو تصريح سر دون أن يلحظه أحد تقريبا ولكنه يطابق الصيغة الديجولية بطريقة تثير الدهشة لقد قال ان اسرائيل هى صديقتنا وحليفتنا •

« أن الصداقة مع اسرائيل عميقة الجذور فى الشعب الفرنسى وانكم ترتكبون خطأ خطيرا بمحاولتكم تقييد أيدينا فى هذا الصدد • »

(ج) الفرق بين الأقول والأفعال :

ولكن هذا الفرق الذى يبدو الى حد ما انه يخضع لخطة مرسومة يعنى مايلى :

فى عهد الجمهورية الخامسة كانت الوقائع الملموسة المحسوسة تهدف الى التقريب بين فرنسا والعرب ، بينما كانت أقوال المسئولين الفرنسيين ترمى الى تهدئة مخاوف الاسرائيليين تجاه هذا التقارب الذى كان ينطوى ، كما ذكرنا من قبل على اتباع سياسة متنوعة • ولعل أبلغ برهان على هذه الرغبة فى التهدئة هو الشحنات المستمرة من الأسلحة التى كانت فرنسا ترسلها الى اسرائيل حتى عشية حرب الأيام الستة •

وهذا لا يعتبر أقل دلالة على المغزى العام للتطور الذى اتبعته الدبلوماسية الفرنسية تجاه اسرائيل وجيرانها العرب ، وهو تطور تعتبر مسألتا شركة رينو وشركة الهال شاهداً عليه • وقد جاءت براهين أخرى تؤكد هذه الدلائل ، ولكن قليلين هم الذين اهتموا بها وقد ظل الزعماء السياسيون أنفسهم فى القدس ينفرون من تحطيم معبودهم •

وفى خلال زيارتنا الأولى لاسرائيل فى عام ١٩٦٣ كان الفرنسيون لا يزالون ينظر اليهم هناك نظرة تنطوى على المودة ومع هذا فانه مع كل عام يمر كانت تثار تفسيرات مختلفة حول البواعث العميقة والمغزى المحتمل لسياستنا (سياسة فرنسا) •

ـ فبالنسبة للدول العربية لم تكن فترة العـامين ١٩٥٨ و ١٩٥٩ تنطوى على كسب ملموس تجاه فرنسا • لقد كانت الوقائع الايجابية فى هذه الفترة قد سجلت بالتأكيد مظاهر تقترب من اتجاه هذه الدول، ولكن العلاقات الخاصة التى كانت قائمة بين فرنسا واسرائيل لم تكن قد تعرضت بعد لأى خطر •

ـ ولم يجلب عام ١٩٦٢ وهو عام استقلال الجزائر أى ارتياح لهذه الدول • فلقد أعيدت العلاقات الدبلوماسية فى ذلك العام بين فرنسا من جانب وبين سوريا والأردن والمملكة العربية السعودية من جانب آخر • وفى عام ١٩٦٣ جاء الدور على بغداد لكى تعين لها سفيرا لدى الحكومة الفرنسية وبعد بضعة شهور قدم سفير مصر أوراق اعتماده الى قصر الاليزيه •

ولكن الفتور الذى تركته باريس يبـدو مع ذلك فى علاقاتها مع القاهرة قد أغرى أكثر من مراقب ولا سيما المراقبين الاسرائيليين على الوقوع فى الخطأ فقد أكد هؤلاء أن الجنرال رفض أن يلتزم تجاهها وحدها بأية تعهدات ، كما ان مطالبة عبد الناصر لفرنسا بوقف ارسال شحنات الأسلحة الى اسرائيل قد ضايق رئيس الدولة الفرنسية الذى كان يريد الاحتفاظ بصدقاته القديمة سليمة ولو أدى الأمر الى فشل سياسته العربية •

يقول المثل الاسلامى : « ليس هناك أعمى أسـوأ من ذلك الذى يرفض أن يرى » • ولكن ليفى أشكول لا يعرف جيدا هذه الحكايات الشرقية التى لا تنتهى والتى تزخر بالأمثلة والحكم •

ان الحقيقة هى أن الجنرال لم يرغب فى التضحية باسرائيل لصالح مصر • فالجرح الجزائرى كان لا يزال مؤلما وكانت دوائر فرنسـية عديدة ذات نفوذ واسع تؤيد الدولة اليهودية تأييدا شديدا • وكانت صورة البكباشى العابس الوجه « التى عرفها العسكريون الفرنسيون خلال حملة السـويس لا تزال عالقـة بأذهانهم وكانوا فخورين بأن

أسلحتهم قد استخدمها الجيش الاسرائيلى جيدا وأضاف اليها تحسينات جديدة هذا الجيش الذى كانت تربطهم به علاقات رسمية وغير رسمية وثيقة جدا .

ومن جهة أخرى فان النزاع المالى الذى كان قائما بين فرنسا ومصر منذ تأميم قناة السويس لم يكن قد سوى بعد بطريقة مرضية .

ــ وكان عام ١٩٦٥ هو نقطة التحول ، العام الذى يشكل علامة استفهام ، العام الذى شهد فرنسا تتقارب بصورة جدية « من مصر » « الثورة العربية » الحقيقية الوحيدة . كما قال لنا اندريه مالرو .

ان قطع العلاقات الدبلوماسية بين المانيا والدول العربية خلق فراغا فى النفوذ عملت فرنسا فورا على ملئه . وقد منحت فرنسا قرضا كبيرا يزيد على مائة مليون دولار لعبد الناصر الذى وصفه الجنرال ديجول بأنه رئيس عاقل وحصيف يقود مصر الجديدة فى نفس الطريق الذى تسير فيه فرنسا الجديدة . عندما نريد أن نذكر ان الجنرال قد وصف الرئيس المصرى قبل ذلك بعام واحد بأنه شخصية مضحكة استبد بها الهياج كأنها الشيطان فى وعاء الماء المقدس «[1]» .

فاننا حينئذ تقتنع بعض الشىء بالحقيقة التى تضمنتها العبارة المأثورة التى قلناها من قبل : « ان حضارة الكلمة هى أيضا حضارتنا . »

فما هى معنى الكلمات اذن بالنسبة لشارل ديجول ؟ هل هى مجرد منحة توهب لالتزامات الحياة السياسية ؟ ألم يقل فى كتاب « حد السيف » :

« لا شىء يزيد الهيئة والسلطان مثل الصمت شيعة الأقوياء » ؟

ومع ذلك فقد سألنا روبر بوجاد عن الطابع المتناقض الذى تتسم به أقوال الجنرال ، وكان سؤالنا : هل صحيح ما يرويه عنه تورنو ؟

---

(١) انظر كتاب تورنو ((مأساة الجنرال)) .

وقد رد زعيم الديجوليين على هذا السؤال دون تردد قائلا :

ان الصحافة تصنع ما يلى :

ـ أشياء يعرفها الصحفى •

ـ أشياء يعتقد الصحفى أنه يعرفها •

ـ أشياء يريد الصحفى أن يجعل الناس يعتقدون أنه يعرفها •

واستطرد بوجاد فقال :

« ان تصريحات الجنرال هى نتائج مزيج من الاعتقاد والمجاملة والفرصة كما تؤدى أحيانا الى خلق حقائق متعارضة فى وقت واحد •

ـ فى عام ١٩٦٦ لم يعد هناك أى شك ، لقد كان هذا هو عام الحصاد الفرنسى العظيم الذى كانت الدول العربية تنتظره • لقد كان عام الحقيقة الذى أسفر عن فوز الجهود الطويلة الصابرة العنيدة التى بذلتها باريس للتقارب مع العرب « على حساب » القدس •

وهكذا انتصرت وزارة الخارجية الفرنسية نتيجة نشاطها فى الخفاء •

لقد كان أصبع الجنرال ذات السيادة تتحسس منذ عام ١٩٥٩ كفتى الميزان الاسرائيلى العربى كما لو كان يريد أن يرجح احدى الكفتين • ولكن من هذه اللحظة فصاعدا أخذت الكفة العربية ترجح على الأخرى • وبدأت كفة المصلحة تتغلب على كفة الصداقة • وتحطم مؤشر الصداقة الذى كان يشير الى مدى ماكان يتمتع به الجنرال من احترام فى اسرائيل حيث كان الاعتقاد سائدا مع ذلك بأنه يحاول أن يجعل كفتى الميزان متساويتين •

لقد أوحى تقرير جينينى «[1]» الذى سلم للجنرال ديجول فى شهر

---

(١) فى شهر مارس ١٩٦٣ أصدر الجنرال ديجول قرارا بتشكيل لجنة برئاسة جان مارسيل جانينى لدراسة شروط المساعدات الفرنسية للدول النامية وكان جان شوفيل، هو أحد أعضائها مهتما بصفة خاصة ببحث امكانيات تعزيز الوجود الفرنسى فى الشرق الاوسط .

يولية ١٩٦٣ فى الجزء الخاص بالشرق الأوسط بضرورة التفرقة بين الصداقة مع اسرائيل والمصالح الفرنسية فى الدول العربية • وكما قلنا من قبل فأن فرنسا الديجولية قد اختارت حتى قبل هذا التقرير الناحية التى أرادت أن تميزها على الأخرى ولكن فى عام ١٩٦٦ تحطمت حتى مظاهر التوازن •••

ولقد قرأ الاسرائيليون فى صحفهم عام ١٩٦٦ ان الطائرات الفرنسية سوف تحلق لأول مرة منذ حملة مصر فى عام ١٩٥٦ ، أى بعد عشرة أعوام تماما تقريبا من هذا التاريخ ، فى الأجواء العربية ولكن بقيادة طيارين عرب فى هذه المرة • وبالاضافة الى الطائرات المدنية منذ سمح لشركات الطيران الفرنسية بأن تبيع طائرات للأردن وأن كانت لم تشتريها فى النهاية ، وللبنان التى اشترت عددا منها •

وفى الحقيقة فان بيان واشنطن الثلاثى الذى سبق أن أصدرته فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا بهدف تحقيق التوازن فى الشرق الأوسط وخفض ارسال الأسلحة الى هذه المنطقة • كان يرجع الى ستة عشر سنة مضت •

والفحص الدقيق لمجموع هذه العناصر ، من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٦ كان يمكن بدون شك أن يجنب بعض المراقبين والدبلوماسيين ما ساورهم من دهشة تجاه ما أسموه « التحول الفرنسى المذهل فى يونيو سنة ١٩٦٧ • »

ولكن قبل أن نصل الى هذه الاحداث المريرة التى وقعت فى عام ١٩٦٧ فانه يحسن أن نتساءل برهة عن الأسباب العميقة لهذا الموقف الفرنسى تجاه النزاع الاسرائيلى العربى •

ـ ان الجنرال ديجول لم يكن معاديا للعرب ، هذا فضلا من أن منصبه الرئاسى لم يكن يسمح له بذلك • ومع هذا فان ديجول الذى كانت روحه مطبوعة بأنقى التقاليد الغربية ، والذى رضع لبن « كورنى » ونضال « سيد » ضد المراكشيين لم يسعه رغم ذلك الا

أن يبدى دهشته وفزعه تجاه هـذا العالم الغريب عن روح فرنسا الخالدة •

ألم يقل للسفير جيلبير فى بداية عهد الجمهورية الخامسة ان العالم العربى عالم عاطفى ، بل وأحيانا متهوس » ؟

والجنرال ديجول ليس بعد ذلك معاديا للسامية وهو قبل كل شيء رجل يعمل فى خدمة قضية جعل كل أعماله خاضعة لها ، سواء كانت هذه أعمال خاصة أو عامة ، وهو يعتبر انتصار هذه القضـية هدف حياته وأساس وجود فرنسا • وهذه القضية هى الاستقلال الوطنى الذى يستطيع وحده أن يضمن لبلادنا المركز الجديد بها •

وعلى ضوء هذه الحقيقة فان معنى تقارب فرنسا تجاه العرب فى العهد الديجولى يبدو أكثر وضوحا •

ان الورقة العربية تسمح لفرنسا باستكمال مظاهر استقلالها وذلك بصفة خاصة بالظهور كزعيمة للعالم الثالث بفضل صـداقتها للدول العربية فى الشرق الأوسط ، وذلك بعكس الحال بالنسبة لاسرائيل ذات الوزن السياسى الأقل أهمية والتى تعتبر بصفة تقليدية ضـمن المعسكر الغربى •

لقد أدرك فرانسو مورياك ذاته هذا الرجل المؤمن بواعث هـذه السياسة الواقعية التى تتجاهل الأخلاق والروابط المقدسـة عنـدما يكون الاستقلال هو هدف الكفاح «[1]» •

انه لا يسعنى وأنا المسيحى الذى اتخذ موقفا معينا فى المناقشات السياسية منذ الحرب الأهلية الأسبانية ، والذى لم يفصل قط بين السياسة وبين القانون الأخلاقى (•••) ان أشعر بالضيق اذ أجـد نفسى مرتبطا بمكيافيللى ، حتى لو كان هـذا هو مكيافيللى الذى ذكره التاريخ (••••)

---

(١) انظر كتاب ديجول لدى الناشر ((جراسيه)) •

ذلك لأن الفكرة التى يعتنقها ديجول هى فكرة معينة كانت دائما أساس سياسته المتعلقة بفرنسا الناهضة فرنسا ذات السيادة فرنسا التى ان لم تسيطر على أوربا فهى على الأقل تستطيع أن تقوم بدور المنظم والموجه لها ، وتستطيع عن طريق أوربا ان تقوم بهذا الدور فى العالم الثالث • (••••)

وأضاف فرانسوا مورياك الى ذلك قائلا : « ان ديجول لا يخضع لمقتضيات الواقع الا لكى يسيطر عليها فى نهاية الأمر ••••

ـ وكانت مصر من بين الدول العربية التى حظيت باهتمام الجنرال ديجول منذ عام ١٩٦٥ ، رغم تردد فرنسا قبل ذلك فى عام ١٩٦٣ وأعرب عن رغبته فى تعزيز العلاقات معها • والواقع أن مصر الناصرية هى وحدها التى يمكن أن تعتبر زعيمة العالم العربى • وهى وحدها التى تملك الاستقرار السياسى الذى جاءت به حكومة تعمل بفاعلية منذ ستة عشر عاما •

ذلك الاستقرار الذى يمكن أن يستمر وخاصة وأن الجنرال ديجول مقتنع ، ان خطأ أو صوابا ، بأن الهدف الحقيقى للرئيس عبد الناصر ليس شن الحرب ضد اسرائيل وذلك رغم ما يدلى به فى هذا الصدد من تصريحات نارية ، وان هذا الموقف ليس من شأنه تهديد السلام الذى يعتبر الهدف المقدس لنظام حكمنا والشرط الأساسى لاستقلالنا الوطنى » !

لقد استقبلنا أندريه مالرو وزير الشئون الثقافية الفرنسية المسبح بحمد الديجولية ، والرجل الوحيد الذى يحب الجنرال ديجول وأن يعرف آراءه النيرة فى مسائل السياسة الخارجية والتى كثيرا ما يتبعها استقبلنا وأدلى الينا بوجهات نظره بشأن المسألة المصرية وهى وجهات نظر تشبه آراء رئيس الدولة الفرنسية فى شكلها الجوهرى وفى عنفها الذى لا يرحم •

ان التحفظ الذى ينبغى أن يلتزم به كل رجل شريف يفرض علينا

الا نوردها بعد مقابلتنا لاندريه مالرو سوى بعض مقتطفات « ملونة » من حديثه بعد أن أعدنا تشكيلها بمعرفتنا ، وهى مقتطفات تعطى فكرة عن النغمة العاطفية التى اتسمت بها أقواله :

« ان ما يهم عبد الناصر الذى يعتبر رجل الدولة الوحيد فى العالم العربى ، هو اتمام الثورة الصناعية فى مصر . وعبد الناصر يعرف أنه لا يمكن تحقيق السلام قبل تصنيع مصر وانتهاء الحرب فى فيتنام . لأنه حينئذ فقط تكون الضمانات التى سوف يعطيها السوفيت لمعاهدة الصلح لها قيمة حقيقية وقادرة على اعطاء الثقة للاسرائيليين أن عصرنا يعود الى معاهدات القرن التاسع عشر من ضمانات الدول الكبرى .

« ان عبد الناصر لا يريد تدمير اسرائيل . ان اسرائيل بوصفها عدو ضرورية بالنسبة له طالما لم تتم ثورته الصناعية ولكن اسرائيل بالنسبة لعبد الناصر أشبه بالرأسمالية فى نظر الصينيين . وعبد الناصر لا يتصور أنه لا يستطيع تدمير اسرائيل اللهم الا اذا كانت صحيفة فرانس اوبزرفاتير تستطيع تدمير الديجولية .

« ان الحقيقة العربية الوحيدة هى مصر والحقيقة المصرية المحيدة هى عبد الناصر والحقيقة الوحيدة بالنسبة لعبد الناصر والوسيلة الوحيدة التى لديه لتحقيق ثورته الصناعية هى السد العالى والبحيرة . ان البحيرة تعنى بالنسبة لعبد الناصر ادخال القوى الذرية فى مجالات أخرى غير عسكرية بعكس الحال مع أمريكا . وهو يعرف أن أمامه عامين لتحقيق ذلك .

« الجامعة العربية ؟ انها أشبه بعدد خاص من صحيفة « فرانس أوبزارفاتير » .... ان عبد الناصر يريد السلام ..

« الوحدة العربية ؟ ان عبد الناصر لا يهتم بها . كل ما يهمه هو مصر التى يبلغ عدد سكانها ثمانية وعشرون مليون نسمة والبحيرة . ان كل مشاكل افريقيا هى مشاكل تتعلق بالأنهار وتاريخ افريقيا هو تاريخ الأنهار . أما الوحدة العربية فهى مسألة تتعلق بالاستعراض

والمظهرية ، ولم يكن أحد يحاول أن يتصور مثلا أن نكروما يستطيع خلق الوحدة الافريقية ؟! .

ولكن الموقف خطير . ان اسرائيل تعانى من عقدة الحصار كما كان الحال بالنسبة لروسيا فى عهد استالين قبل الحرب . ثم ان من مصلحة الاتحاد السوفيتى أن يلتهب الموقف فى الشرق الأوسط ان الشرق الأوسط مرتبط بفيتنام .

« هل يستطيع عبد الناصر توقيع معاهدة صلح مع اسرائيل بالتأكيد أن الدول العربية الأخرى ستكون سعيدة اذا فعل ذلك !

وماذا يكون موقف الرأى العام العربى ؟ ان الرأى العام يمكن أن يتحول خلال ثلاثة شهور .... »

علاوة على هذه الوسائل السياسية التى تسمح لفرنسا عن طريق التقارب مع الدول العربية بصفة عامة ومع مصر الناصرية بصفة خاصة، بتدعيم مركزها الدولى فأنه يجب من قبيل التذكرة اضافة الوسائل الاقتصادية .

ان العالم العربى يملك البترول . والذى يملك البترول يملك الاستقلال .

والجنرال ديجول لم يقتنع بهذه الحقيقة بمناسبة الأحداث القريبة فقط ، فقد سبق أن صرح فى يوم ٢ يونيه ١٩٤٥ خلال مؤتمر صحفى عقده بشأن أحداث سوريا : « ان البترول يوجد فى كل مكان ، ومع ذلك فانه لا توجد منه كميات كبيرة فى الشرق ، وهذا هو أحد الأسباب التى من أجلها أصبحت فرنسا لها مصالح فى هذه المنطقة . »

« ان الاهتمام بالموضوعية يدفعنا مع ذلك الى الاعتراف بأن علاقة البترول بالاستقلال كان لها تأثير على أشخاص آخرين غير الجنرال ديجول . ألم يقل جى موليه يوم ١١ سبتمبر ١٩٥٦ فى مدينته الصغيرة فلير ـ دى ـ لوران : « اننا نعتمد كما تعرفون الى حد كبير فى

الحصـــول على حاجاتنا من البترول على الشرق الأوسط . ان أزمة السويس قد أظهرت بصورة عنيفة انه من الضرورى أن تكون لنا فى فرنسا ذاتها وفى الأرض التابعة للجمهورية أشكال جـديدة للطاقة لضمان استقلالنا ... ؟

والجنرال ديجول نفسه لا يجهل أنه عندما يمتدح سرا الاتجاهات التى بدت فى الجزائر والعراق وســوريا للانفصال عن الاتحـادات الدولية للبترول التى يسيطر عليها الأنجلو ساكسون ، وعندما يعمل على تشجيع دخـول فرنســا مباشرة الى موارد البترول المختلفة فى الشرق الأوسط فانه انما يتيح لبلادنا الفرصة لكى لا تنحنى أمام أى تهديد من جانب (الدول الكبرى) باغلاق مصدر البترول فى الشرق الأوسط فى وجهها .

وينبغى على ضــوء هذه الحقـائق تفسير النصـائح التى أعطاها الجنرال ديجول الى ماخوس وزير خارجية سوريا فى نهاية عام ١٩٦٦ وهى نصائح تبدو ظاهريا انها تناقض مصالح فرنسا ذاتها .

ذلك أن ماخوس اضطر بسبب الضـغط الذى قامت به شركات البترول الغربية على حكومته الى المجىء الى باريس ليطلب نصيحة رئيس الجمهورية الفرنسية (ولعل هذه الخطوة تفسر وجهات النظر التى سقناها من قبل والتى أكدنا فيها أن عام ١٩٦٦ كان بداية التقارب الفرنسى العربى على حساب اسرائيل) .

(ومع أن فرنسا شريكة فى شركة نفط العراق فأن الجنرال ديجول نصح الوزير السورى بالانفصال عن الكتلة الغربية أو مما أســماه فى عام ١٩٦٥ خلال زيارة الرئيس اللبنـانى شـارل حلو لفرنســا بالامبرياليات العصرية » .

والواقع ان فرنسا لا تملك سوى حصة ضئيلة فى بترول الشرق الاوسط ولكن نصائح الجنرال « غير المغرضة » تستحق الاهتمام .

ان السيطرة الأمريكية التى يمثلها العلم الأمريكى المرصع بالنجوم تغزو دائما أحلام رئيس الدولة الفرنسية ....

٢ ـ من التحول الى الانكار

« انه (أى الأمير) يجد نفسه مضطرا فى كثير من الأحيان من أجل المحافظة على ولايته الى العمل ضد ما يقول وضد الخير وضد الانسانية وضد الدين • وهذا هو السبب فى أنه مستعد للتحول مع الريح وللتغير مع الظروف • وهو كما سبق أن قلت لا يكره الخير ولكنه يعرف أيضا طريق الشر اذا دعت الضرورة الى ذلك • »

ان هذه الفقرة مأخوذة من كتاب (الأمير) لميكيافيللى وهو الكتاب الذى يعتبر أنجيلا للانتهازية السياسية والذى ربما أعاد الجنرال ديجول قراءته عشية أحداث يونية ١٩٦٧ ، وكما لو كان قد أراد أن يقنع نفسه نهائيا اذا اقتضى الأمر ليس بسلامة مهمته وهو شيء ليس هناك محل للشك فيه ، وانما بالوسائل التى تتيح له انجاح هذه المهمة فى أسرع وقت • أى أنه لكى « يحافظ على ولايته فأنه ينبغى أن يعمل ضد ما يقول وأن يعرف طريق الشر اذا دعت الضرورة » •

وفى عام ١٩٦٧ أصبحت « السياسة الواقعية » تقوم على أساس النظرية الميكيافيلية • وتجاوزت فرنسا عتبة الانتهازية السياسية كما كانت تمارس حتى ذلك الوقت وأصبح تحول فرنسا الطويل القاسى عن اسرائيل تملصا من العهود وانكارا لها وهل كانت « السياسة الواقعية » فى حاجة الى تدعيم نفسها بمثل هذا الانكار المثير ؟

ان الجواب على ذلك يتضح مرة أخرى عندما نعرف الأسباب التى دعتها الى انتهاج هذا السبيل •

(أ) الحصار :

فى الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ أذاع راديو القاهرة خطابا للرئيس عبد الناصر أعلن أن الجنود المصريين قد حلوا محل قوات الامم المتحدة منذ مساء اليوم السابق عند مدخل تيران • وقال الرئيس المصرى : « لقد أصدرت أمرا الى قوتنا بمنع السفن

التى تحمل العلم الاسرائيلى من المرور فى مضيق تيران وكذلك السفن التى تنقل منتجات استراتيجية وتكون متجهة الى اسرائيل • »

لقد كان حصـــار خليج العقبة بمثـــابة عمل عدوانى • لقد انتهك عبـــد النـــاصر بهذا الاجراء القـــانونى الدولى وســـاعده على ذلك الاستسلام الغريب الذى أبداه أوثانت ، ولكنه أتاح فى نفس الوقت الفرصـــة للدول التى ضمنت حرية الملاحة فى الخـــارج لكى تحترم تعهداتها •

وقد أعلنت الولايات المتحدة منذ ٢٤ مايو ١٩٦٧ أن حصار خليج العقبة يعتبر عملا غير مشروع ، واتخذت بريطانيا فى نفس اليوم موقفا يماثل موقف الحكومة الأمريكية •

وبينما كانت اسرائيل تنتظر الصوت الذى تعقده دائما أنه صوت العدل رغم كل المحن ، وهو صوت فرنســـا الديجولية كانت جاراتها من الدول العربية تعقد فيما بينها المعـــاهدات العســـكرية ، وكانت محطات الاذاعة فى القاهرة التى أصابها الجنون لا تتوقف عن الدعوة الى الحرب المقدسة والى ابادة اليهود ابادة شاملة •

وقد سمع هـــذا الصوت ــ ففى يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ نشر بيـــان لرئيس الجمهورية وللحكومة الفرنسية عقب اجتماع مجلس الوزراء وقد جاء فيه أن فرنسا ليست مرتبطة بأى شكل من الأشكال أو بأى موضوع مع أية دولة مشتركة فى النزاع وتبع ذلك القول التقليدى عن حق كل دولة فى الوجود • ونال هذا الصوت رضـــاء الجنـــود العرب الذين هم على استعداد لتمزيق أوصال الدولة اليهودية والذين تواعد زعماؤهم على اللقاء فى تل أبيب •

وكان زالمان أران وزير التعليم الوطنى الاسرائيلى يجلس فى مكتبه وقد أخذ يفكر • ولنراهن على أنه كان آسفا أشد الأسف فى هـــذا اليوم ، يوم ٢ يونيه لأنه لم يقرر ادراج كتاب « الأمير لميكيافيلى » فى برامج جميع الامتحانات فى البلاد •

وبعد يومين من نشوب الحرب الثالثة بين اسرائيل والعرب صعد وزير خارجية فرنسا منصة الامم المتحدة لكى يعلن بيانا حكوميا وقد صرح قائلا : « أمام الموقف الذى خلقته الجمهورية العربية المتحدة ما هو رد الفعل الذى كان يجب أن يكون لدى الدول الكبرى ، وخاصة لدى فرنسا ؟

نقد وجه الينا اللوم لأننا لم نؤكد رسميا على الفور تمسكنا بمبدأ حرية الملاحة فى خليج العقبة • ولم يكن هذا بالشىء العسير وكان سيعود علينا ببعض عبارات المجاملة • ولكن أية فائدة كانت ستنجم عن ذلك (•••) ؟ »

ان مثل هذه السذاجة لا بد وأن تثير الدهشة • لماذا تتمسك دولة بتعهد أعطته اذا رأت انه لن ينتج عنه شىء مفيد ؟ لقد قام الجنرال ديجول فى أعماق ضميره بعملية أعادة تقدير شخصية لتعهدات فرنسا الدولية ، ورأى أنه من الأفضل تجاهلها !

والواقع ان هذه الفلسفة السياسية التى تهدف الى اخضاع الاحترام الواجب لأقوى أسس الحياة الدولية للحكم اليومى للحكومات قد أثارت حيرة أشد الناس ادراكا لقيمة المبادىء العملية •

وعلى أى حال فأن جميع الوزراء الفرنسيين لم يشاركوا موريس كوف دى مورفيل رغم تضامنهم الرسمى ، هدوءه الثلجى الذى ظهر به فى يوم ٢ يونيه ١٩٦٧ •

ولقد أيد موريس كلافيل ذلك فقال :

« لقد أبدى ميشيل دبريه مشاعر قوية تنطوى على التعاطف مع اسرائيل • لقد قابلته يوم ٧ يونية وأعربنا سويا عن ابتهاجنا بالنصر الاسرائيلى • فلماذا لم يقدم استقالته؟ انهم لا يعرفون كيف يستقيلون وكل هذا جزء من الدوار الديجولى •••• »

ولكن هل كانت فرنسا مرتبطة حقا بتعهدات تجاه اسرائيل ؟ ليس هناك أى شك فى هذا الصدد •

غداة حملة سيناء فى عام ١٩٥٦ اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وطالبتا بحزم الفرنسيين والانجليز وحلفاءهم الاسرائيليين بالانسحاب والعودة على أعقابهم • وعندئذ طالب بن جوريون ، الذى بذل الانجليز والفرنسيون من قبل جهودا كبيرة لحمله على القفز فى القطار وهو سائر كما قال السفير جيلبير ، طالب بضمانات سواء فيما يتعلق بوقف غارات الفدائيين على حدود غزة أو فيما يتعلق بحرية الملاحة فى خليج العقبة وقال ان القوات الاسرائيلية لن تنسحب من غزة ومن شرم الشيخ الا اذا قدمت هذه الضمانات •

ان الضمانات التى طلبتها حكومة القدس قدمتها منظمة الأمم المتحدة ، وقد تمثلت هذه الضمانات التى قبلها عبد الناصر فى وجود قوات الطوارىء التابعة للمنظمة الدولية فى الأراضى موقع النزاع (ويجدر الاشارة بهذه المناسبة الى أن ثقة اسرائيل فى أصدقائها الفرنسيين وصلت الى حد أن أبا ايبان الذى كان حينئذ سفيرا لاسرائيل فى واشنطون أعطى كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسية فى ذلك الوقت توقيعا على بياض لكى يباشر المفاوضات المتعلقة بهذا الموضوع باسم حكومة القدس •

ولكن هذه الاتفاقيات التى أبرمتها الأمم المتحدة كانت بتعهد رسمى ، وخاصة من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بالمحافظة على الضمانات التى طلبتها اسرائيل وحصلت عليها •

وهكذا استطاع جورج بيكو ممثل فرنسا فى الأمم المتحدة أن يؤكد فى عام ١٩٥٧ أمام العالم أن الحكومة الفرنسية تعتبر خليج العقبة يشكل مياهاً دولية وبالتالى وطبقا للقانون الدولى فانها ترى أنه يجب ضمان حرية الملاحة فى هذا الخليج وفى المضيق المؤدى اليه والحكومة الفرنسية تعتبر أية عرقلة لحرية المرور بمثابة عمل يناقض القانون الدولى وبهذا يسمح بالالتجاء الى الحق الطبيعى للدفاع عن النفس الذى ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة فى حالة العدوان • »

لم يعد هناك أى غموض أو أيهام • ان المبدأ الجمهورى القـديم الذى ينص على أن تظل الدولة مرتبطة دائمـا بقرارات الحكومات التى تتعاقب على رأسها كان يلزم حكومة الجمهورية الخامسة بصورة مطلقة بأن تستجيب للتعهدات التى تعاقدت عليها فرنسا قبـل ذلك بعشرة سنوات •

ولكن من الحق القول أنه لا يمكن بسهولة فرض احترام مبادىء الجمهورية على الشخص الذى أسس هذه الجمهورية والذى لا يكل ولا يمل فى التحدث باسمها •

(ب) خطر ارسال السلاح

ولم يلبث الجنرال ديجول حتى أصدر قرارا بحظر ارسال شحنات الأسلحة والمهمات الحربية الى اسرائيل وردد فى نفس الوقت الصيغة الجوفاء عن حق اسرائيل فى البقاء وقد نسى بدون شك أنه كتب من قبل فى كتابه « نحو جيش الاحتراف » ان العدالة سرعان ما تتعرض للسخرية اذا لم تضع السيف الى جانب موازينها • ثم قال أيضا بعد ذلك : « أن القوة تعتبر الآن ضرورية أكثر من أى وقت مضى للأمم التى تريد أن تعيش •• »

ان هذا الخطر يشمل كل الأطراف المتحاربة بالتأكيد ولكنه لا يمس فى الواقع سوى اسرائيل التى كانت الوحيدة التى تستخدم حتى ذلك الوقت فى الشرق الأوسط مع لبنان بنسبة ضعيفة طائرات القتـال الفرنسـية • أما العـرب فانهم من جانبهم يزودون جميعا بالأسلحة السوفيتية • ولقد عقدت فى ابريل ١٩٦٨ صفقة لبيع ٥٤ طائرة ميراج منها ٣٢ طائرة ميراج ــ ٥ بين باريس وبغداد التى اشتركت كما يعرف الجميع فى حرب يونيـه ١٩٦٧ ضـد الدولة العبرية • أما الطائرات الخمسون من طراز ميراج ــ ٥ التى باعتها فرنسا لاسرائيل فى عام ١٩٦٦ والتى دفعت اسرائيل ثمنها كاملا فقد شملها قرار الحظر ••••

ولكن لا شىء يهم بعد ذلك • لقد تعرضت اسرائيل للظلم الفادح

بعد انكار التعهدات التى عقدت معها • لقد اخطأت اسرائيل لأنهـا تريد أن تعيش ولأنها تريد الحصول على الوسائل التى تمكنها من ذلك • ولقد ارتكبت اسرائيل أيضا غلطة لا تغتفر لآنها لم تتبع نصائح الجنرال ديجول • ان هذا شيء يتجاوز الادراك • ولقد حان أوان التكفير عن الذنب •

وقد قال السفير جيلبير عندما سألناه اذا كان يتوقع احتمال تغيير الجنرال لموقفه تجاه الشرق الأوسط •

« ان رأى عجـوز مستبد لا يقول مطلقا انه كان على خطأ فهـو يناقض نفسه بنفسه اذا فعل ذلك أنه يجرى وراء أمواله ، كما يقال فى لغة نوادى القمار فى الوقت الذى يجب عليه فيه أن يترك الميدان اذا حالفه سوء الحظ •••• »

(ج) التناقض

الواقع أن الجنرال بدأ يصدق ادعاءاته ففى يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧ حاول فى مؤتمر صحفى أثار ذهول رجال السياسة فى العالم كله أن يبرر بضربات كبيرة مخلبية غاضبة ــ اذا كان مثل هذا التعبير يمكن أن يطبق على رئيس دولة ــ سياسته فى الشرق الأوسط •

وأخذ الجنرال ديجول كأنه يتكلم بصوت القدر يقول بعدم مبالاة « أنا » أو فرنسا ، ويتلاعب بالتـاريخ ، ويوزع الصـواب والخطأ بلهجة مهيبة فى خطابه ، بل ويزيف التـاريخ باغفال الأحـداث التى لا تؤيد ما يصدره من قرارات الحرمان ، وأعلن : « •••• لقد ظهرت فى الواقع تحت سـتار حملة السـويس الفرنسـية البريطانية دولة اسرائيلية محبة للحرب ومصممة على التوسع ••••

وهذا هو السبب فى أن الجمهورية الخامسة تخلت عن العلاقات الخاصة جدا والوثيقة جدا التى كانت حكومة فرنسـا السـابقة قد عقدتها معها (••••)

ومن جهة أخرى وصف الجنرال ديجول الشعب اليهودى بأنه « شعب من الصفوة ، واثق من نفسه ، ومتسلط » •

وعندما ربط الجنرال بين فسخ العلاقات الخاصة التى كانت موجودة بين فرنسا واسرائيل وبين موقف الدولة اليهودية خلال حملة السويس فانه تناقض مرة أخرى مع نفسه وتظاهر بتجاهل تصريحاته السابقة فى هذا الصدد •

ولقد وافق ديجول فى مناسبات أخرى كما رأينا من قبل على حملة السويس ، وقد أكد ذلك لجى موليه فى شهر مايو ١٩٥٩ واعترف أيضا بذلك لمناحم بيجين زعيم حزب حيروت الاسرائيلى اليمينى فى عام ١٩٥٦ عندما نصحه قائلا : « لا تنسحبوا من شريط غزة حتى لو تعرضتم لضغوط قوية فى هذا الصدد ••• »

بل أنه قال قبل ذلك فى ٢٨ ابريل ١٩٥٥ ، لجاكوب تسور سفير اسرائيل السابق فى باريس : « ••• من رأيى ان اسرائيل مضطرة الى تعديل حدودها بما فى ذلك القدس ، وأنه ينبغى عليها بصفة خاصة أن تضمن نفسها منفذا على البحر الأحمر ، حتى لو أدى الأمر الى نشوب حرب •••• »

ان السياسة الواقعية لها صيغها ••• التى لا تستطيع الذاكرة الاحتفاظ بها !

ومن جهة أخرى فان الجنرال ديجول عندما وصف الشعب اليهودى بأنه متسلط فانه أثار بحق سخط الرأى العام وقد حاول بعد ذلك أن يوضح أن هذا الوصف خرج من بين شفتيه للأعراب عن اعجاب لا مثيل له •

واذا كان هذا التفسير لم يرض كل الناس فأنه بدا مع ذلك واضحا فى نظر روبير بوجاد السكرتير العام للاتحاد الديمقراطى الجمهورى • فعندما سألناه اذا كان الرجل السياسى فى رأيه ليس مسئولا فقط عن

فقط عن المعنى الذى يضعه فى أقواله ، وانما أيضا عن المعنى الذى يفهمه الرأى العام منها ، أجاب بدون أى تهكم أو سخرية :

« ان الجنرال دهش جدا من التفسير الذى فسرت به أقواله أن ديجول يبدو نصف مذهول تجاه التأويلات التى ينسبها الصحفيون كما يقول كوف دى مورفيل ، قوم تنقصهم الكياسة » .

والحقيقة ان « عدم الكياسة » فيما يتعلق بتفسيرات الصحافة الفرنسية لأقوال ديجول ليس لها علاقة كبيرة بالموضوع . فالجنرال الذى اختار منذ عام ١٩٦٦ أن يقف الى جانب القضية العربية لم يعمد بعد مضى عام الى مجرد اخفاء هذا الاختيار . (١)

وهذا الموقف يرجع الى سببين : الحساسية والخوف .

د ـ لماذا ؟

يحسن ، دون التطرق الى البواعث الأساسية لأعمال الجنرال ديجول السياسية خشية ان تعتبر ذلك تصرفا تفتقر الى الكياسة وبالتالى غير عادل ، فانه من الملائم أضفاء بعض الأهمية على ردود الفعل الناتجة من حساسية الجنرال ومن الاستياء الذى يستحوذ عليه اذا بدرت ممن يصغى اليه أية بادرة من بوادر التذمر أو الجدل أو اذا لم يحترم ما يقوله ولم يطعه طاعة عمياء . وهذا يمكن أن يحدث بالاحرى عندما يكون المتمرد الذى يعتقد أن له الحق ، رغم النصائح

---

(١) فى السابع من يناير عام ١٩٦٩ امتد الحظر الذى تقرر فى يونيه عام ١٩٦٧ على الاسلحة الهجومية لاسرائيل الى جميع العتاد العسكرى التقليدى الذى كان يسلم للدولة اليهودية أو الذى وعدت به فرنسا هذه الدولة . وكان رجال الكوماندوز الاسرائيليون قد شنوا قبل ذلك بعدة أيام غارة انتقامية على مطار بيروت ودمروا خلالها على الارض جميع الطائرات المصرية التى كانت رابضة على أرض المطار مستعملين فى ذلك طائرات هيلوكوبتر فرنسية الصنع وكان هذا بمثابة يستبيح الحرمات لم بفضل طائرات فرنسية ضد بلد عربى يعتبره رئيس الدولة تحت حماية فرنسا الطبيعية ولا يسعنا هنا الا أن نشير الى هذا الجانب الخاص بنتائج الخطر الذى أبرزه لنا الكسندر سانجينيتى الذى يعد دائما قويا من الحقائق وذلك عندما قال : سوف ترون ... اننا لن نبيع بعد عدة سنوات ولا حتى صامولة واحدة .... !!

التى تنهال عليه فى انقاذ بلاده من مذبحة وشيكة هو وزير دولة تعداد سكانها مليونين ونصف مليون نسمة ...

عندما استقبل الجنرال ديجول يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ فى قصر الاليزيه ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، بدأ الوزير الاسرائيلى يعرض على رئيس الدولة الفرنسية المأساة التى تعيش فيها اسرائيل وعندئذ قاطعه ديجول على الفور بهذه الكلمات « اننى أعطيكم نصيحة : لا تكونوا البادئين ولا تشنوا الحرب . »

ولكن العرب كانوا قد بدأوا الحرب فى اليوم السابق عندما حاصروا خليج العقبة وبعد اثنى عشر يوما من هذا الاجتماع العاصف المغلف بالمجاملة دمرت الطائرات الاسرائيلية فى خلال بضعة ساعات القوات الجوية للدول العربية ، وبهذا أنقذت الدولة العبرية مما كان ينتظرها ، على حد أقوال الزعماء العرب أنفسهم من ابادة شاملة .

وقد لمح أيضا الجنرال ديجول فى نفس الاجتماع الدبلوماسى الاسرائيلى ان التعهد الذى قطعته فرنسا على نفسها فى عهد حكومة جى موليه لم يعد من الممكن تفسيره بانه يعنى تقديم مساعدة فعالة من جانب فرنسا لفك الحصار المصرى .

ولم يستطع أبا ايبان وهو فى السيارة التى اعادته الى السفارة الاسرائيلية بشارع واجرام أن يمنع نفسه من التفكير فى الدعاية المجوجة التى أطلقها الجنرال فى شهر يولية ١٩٦٣ بمناسبة مسألة أخرى مختلفة تماما : « ان المعاهدات تشبه الفتيات الصغيرات والورود . وهى تدوم بقدر ما تدوم هذه الورود .... »

واذا كان ديجول قد احتضن القضية العربية دون أن يؤنبه ضميره لأسباب تتعلق بالمصلحة ، واذا كان قد اتهم الدولة اليهودية بانها كانت دائما مصممة على التوسع لأنها لم تتبع نصائحه فى عام ١٩٦٧ فأن هذه النصائح كانت ترجع بالنسبة لرئيس الدولة الفرنسية ای

اهتمامات أكثر عمقا وأقل مكيافيلية ومن هنا فأن موقف فرنسا لم يكن مستعبدا .

لقد كان الجنرال يخشى وقوع حرب عالمية . ان برميل البارود الموجود فى الشرق الأوسط كان يمكن فى نظره أن يسبب فى أية لحظة هذه الحرب الكبرى وكان استقلال فرنسا يبرر فى رأى ديجول « سياسته الواقعية » وأسلوبه الميكيافيلى . ولكن استقلال فرنسا لم يكن من الممكن ضمان استمراره بسبب وسائلها المتواضعة الا فى جو السلام وفى جو خال من التوتر . ولكن اذا وقعت حرب عالمية فانها سوف تدمر هذا الأمل الذى يطمح اليه النظام الديجولى .

وقد كانت هذه البواعث البسيطة لمنطق ديجول .

وكان من رأى ديجول أن اسرائيل كادت ــ لكى تنقذ وجودها ان تدفن الى الأبد ما كسبته فرنسا من استقلال ونفوذ .

وبين نفوذ فرنسا ووجود اسرائيل كان الاختيار سهلا وكان الرد أيضا بسيطا : « ان اسرائيل مصممة على التوسع » ، والشعب اليهودى شعب « متسلط » ....

وقد حاول روبير بوجاد السكرتير العام للاتحاد الديمقراطى الجمهورى تخفيف هذا التحليل . وقد صرح لنا هذا الرجل الذى يتجاذبه سرا تعاطفه الشخصى نحو الدولة اليهودية واعجابه الذى لاتحده سياسة الجنرال العملية بما يلى :

« ان كلمة متسلط التى أطلقها الجنرال ديجول تعنى فى نظره احدى الفضائل بالمعنى الذى كان يقصده الرومان . لقد كان ديجول يعتقد عندما وصف اليهود بأنهم شعب متسلط بأنه يزيل اتهاما ظالما مؤداه ان اليهود قوم عاجزون عن القتال . ان اسرائيل مضطرة بحكم وضعها أن تكون دولة محاربة ، وديجول يعجب بهذه الفضيلة ولكن الذى يفسر تحلله من تعهداته تجاهها هو أن الشعوب الكبيرة المحاربة،

كما كانت فرنسا فى عهد الثورة أو فى عهد نابليون تعتبر خطرا على نفسها أو على العالم • وقد اختار ديجول السلام •••• »

٣ ــ من الانكار الى الأسف :

ان التصريحات المنطوية على الادانة التى أطلقها الجنرال ديجول ضد اسرائيل فى يونية ونوفمبر ١٩٦٧ كان مبعثها الى حد ما ، كما أوضحنا من قبل ، الجرح الذى كان يعتقد أنه أصاب كرامته ولكن ردود الفعل الناتجة عن الحساسية ومشاعر الحقد المرير لم تكن لتجعل ديجول يفقد مطلقا الاحساس بالحقائق !! وليس ثمة أدنى شك فى أن الدولة اليهودية كانت ستعتبر أقل تسلطا لو كانت تربتها تخفى فى أعماقها « النفط » الذى يمنح الاستقلال بطريقة سحرية •

وقد عقد الجنرال ديجول مؤتمرا صحفيا يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧ فى القاعة الكبرى بقصر الاليزيه ، وخيل لبعض الصحفيين ذوى حاسة الشم القوية لدى سماعهم عبارته الأولى الخاصة بالشرق الأوسط انهم اشتموا فيها رائحة البترول •••• ولكن هذا مجرد شعور عابر سرعان مازال فى خضم الحديث عن السياسة الكبرى التى تناولها ديجول فى مؤتمره الصحفى والتى كان يناقشها بطريقة مهيبة فخمة مرة أو مرتين فى السنة من أجل مستمعيه ومن أجل الأجيال المقبلة •

ومع هذا فانه قبل عقد هذا المؤتمر الصحفى بثلاثة أيام وقعت شركة البترول الفرنسية « ايراب » فى جو من السرية التامة عقدا مع شركة البترول العراقية للتنقيب عن البترول فى العراق فى مساحة تبلغ ١٠ر٨٠٠ كيلو متر مربع •

ودون الدخول فى تفاصيل هذا الاتفاق البترولى ، فانه يبدو من المفيد مع ذلك التوقف عنده برهة لانه يشكل نموذجا ممتازا للروح العملية النفعية التى يتسم بها الجنرال ديجول الذى لا يفتأ يحاور ويناور ويلجأ الى الاعذار الزائفة ويفسخ تعهدات بدون وجه حق ويرفض على غير أساس بقصد تحقيق أغراضه •

ففى بداية عام ١٩٦٧ بادرت العراق التى كانت تريد التخلص من الاحتكارات الدولية للبترول الى التضامن مع سوريا كما انها عرضت على فرنسا استغلال البترول فى منطقة شمال الرملية ذات الثروات البترولية الخيالية .

لقد كانت العروس جميلة للغاية ولكن الموقف لم يكن ناضجا ورفض الجنرال هذه الهدية الملكية . بل انه انضم الى جانب حلفائه الأقوياء الانجلو ساكسون فى شركة البترول العراقية لممارسة الضغط على الحكومة الايطالية لكى ترفض هذه الحكومة بدورها « هدية بغداد » .

ولقد كانت هناك لعبة شطرنج تلعب مقدما . فقد طمأن حلفاءه ولكنه استغلهم فى سرية لمنع روما من الاعتداء على ماكان يعتبره ممتلكاته المقبلة . ولم يعد باقيا أمام رئيس الدولة الفرنسية الا أن يستغل الأحداث .

وقد أتاحت حرب يونيو ١٩٦٧ لديجول الذى لم يكن يريدها الظروف الملائمة لاستغلال هذه الصفقة الطيبة مع العراق ، ولم يعد هناك محل للتضامن مع بريطانيا والولايات المتحدة وكانت الدول العربية قد قطعت جميع علاقاتها مع هذه « الامبرياليات العصرية » وبدأ نجم فرنسا الديجولية يلمع فى سماء العرب .

لقد أدان ديجول فى شهر يونية ١٩٦٧ حكومة القدس لانها بدأت الحرب . وفى شهر سبتمبر هبط خبراء شركة البترول الفرنسية وشركة ايراب فى مدينة بغداد ، وفى ٢٣ نوفمبر تم التوقيع على بروتوكول اتفاق بين فرنسا والعراق ، وفى ٢٦ نوفمبر أدلى ديجول بتصريحاته برر فيها ادانته لاسرائيل فى شهر يونيه وهكذا تمت القصة فصولا ....

وحدث فى العراق بعد ذلك انقلابان عرضا للخطر فاعلية الاتفاق

المعقود مع فرنسا . ولكن هـذا لا يهم . فصفقة شركة « ايراب » الفرنسية ظلت مثالا رائعا للطريقة الديجولية !

وقد أكد الفريق احمـد حسن البكر صـاحب الانقلاب الثـانى السعيد الطالع منـذ أن تقلد زمام الحـكم فى العراق أن حكومته ستحترم جميع التعهدات التى التزمت بها الحكومة السابقة وخاصـة اتفاقية شركة ايراب للبترول والعقد الخاص بشراء طائرات فرنسـية من طراز ميراج الذى وقع فى عام ١٩٦٨ .

وأصبح السادة الجدد فى العراق يعتبرون فرنسا الديجولية دولة صديقة مثل الاتحاد السوفيتى والصين تماما .

ويبدو أيضا ان الصحفيين العرب لم تفتهم الفرصة لكى يطلقوا البخور وامتداح الجنرال الذى وصفوه بأنه « رئيس الدولة الغربى الوحيد الذى فهم العالم العربى » .

ولكن اذا كانت الظواهر تؤكد الى حد كبير سياسة فرنسا الموالية للعرب ، فان هذه الظواهر لا تستطيع الصمود أمام التحليل فقصة الحب لم تكن خالية من السحب .

فسرعان ما توقفت لبنان عن دفع ثمن طائرات الميراج التى باعتها فرنسا لها فى عام ١٩٦٦ ، كما أن العراق لم يدفع بدوره !

ان قليلا من التأمل يسمح فى الواقع بافتراض أن الاتفاق الذى عقد بين بغداد وباريس فى شهر ابريل ١٩٦٨ كان مجرد باقة ورد مقدمة الى فرنسا الديجولية ، فضـلا عن ان العراقيين كانوا يهـدفون من ورائه الى الظهور بمظهر « الاستقلال » عن الروس بالحصـول على أسلحة فرنسية .

وقد أكد جان جاك ليبيل ذلك بقوله : ان افتراضكم ليس سخيفا .. ان العرب يفضلون بصفة عامة الطائرات السوفيتية التى يسيئون

استخدامها بدرجة أقل عن غيرها من الطائرات ، ولا سيما وانها لا تكلفهم كثيرا لأن موسكو لا تطالبهم بدفع ثمنها •

ومن جهة أخرى فان بعض الصحفيين والزعماء العرب لم يكونوا من السذاجة بحيث يجهلون مناورات الجنرال ، وهم لم يترددوا فى ابلاغ الرأى العام أن ديجول لا يتصرف طبقا للعواقب وقد أبرز اريك رولو (١) فى هذا الصدد جزءا من مقال كتبه السيد بشير بن احمد فى مجلة « جين افريك » جاء فيه :

« يجب علينا بادىء ذى بدء استبعاد أية مشاعر وأن نعرف أن ديجول لا يحبنا ولا يكرهنا وانه فضلا عن ذلك لا يتصرف على أساس العاطفة • »

ولقد سمعنا نحن من جانبنا من أفواه الدبلوماسيين والسياسيين العرب المسئولين عبارات مثل هذه : « ان ديجول يوزع علينا الأقوال المعسولة فى مقابل بترولنا • »

وهكذا فانه يبدو أن العلاقات القوية التى أقيمت منذ عام ١٩٥٤ بين الاتحاد السوفيتى والدول الاسلامية فى الشرق الأوسط قد تركت أخيرا حيزا صغيرا ، فى المدى الطويل للنفوذ الفرنسى فى العالم العربى • أن هذا العالم العربى عرف كيف يستفيد فى الخفاء من دروس المذهب النفعى الذى ينتهجه ديجول ، وهو لا يترددبدوره من تقديم أقوال معسولة مقابل تأييد زعيم غربى واسع النفوذ ذى طموح لايشبع ولكنه محدود الموارد فى النزاع الدائم ضد الدولة اليهودية•

ان غزو السوفيت لتشيكوسلوفاكيا الذى عرقل مؤقتا عملية تخفيف حدة التوتر الدولى ، وانتخاب رئيس أمريكى جديد يميل الى ترك مزيد الاستغلال للحلفاء الغربيين وخاصة لفرنسا ، قد شجع فرنسا على اعادة النظر فى محالفاتها فى الشرق الأوسط •

---

(١) انظر مجلة لوموند ديبلوماتيك (العالم الديبلوماسى) يناير ١٩٦٨ •

وليس من المستبعد فى هـذه المرة حـدوث تحول أكبر أو أقل فى سياسة فرنسا لمصلحة اسرائيل سواء قام بهذا التحول الجنرال ديجول، أو بالأحرى خليفته •

وستصبح الدولة اليهودية به من جـديد ، من أجل بيع منتجات صناعتنا الخاصة بالطيران ، الشعب الشجاع الذى كان الجنرال يمتدح انجازاته المدهشة » •

ولكن دولا غربية أخرى سيتاح لها حينئذ الوقت الكافى لكى تملأ فى اسرائيل الفراغ فى النفوذ الذى نشأ نتيجة التقارب الفرنسى العربى الذى تشير التجربة فى كل يوم الى أن نتائجه غير ايجابية الى حـد كبير •

وليس على شـارل ديجول الا أن يعيـد قراءة كتـاب « الأمير لميكيافيللى » لكى يبحث فيه عن أسباب فشله •

ولكن هل سيقول ، وهو يفكر فى فشل مناوراته السياسية المثمرة هذه الكلمات ذات الطابع الشكسبيرى التى قالها ذات مرة فى مناسبة أخرى : يالها من مأساة ! ••••

وقد طلبنا من بعض رجال السياسة الذين كانت لهم صلة مباشرة ، ولكن بصورة مختلفة بالأحداث المشار اليها أن يشرحوا لنا انطباعاتهم عن النواحى البارزة لسياسة فرنسا فى الشرق الأوسط وقد تفضلوا بالاستجابة الى طلبنا معارضين أحيانا وجهات نظرنا تجاه هذه الأمور وقد جمعنا اجاباتهم لأسباب تتعلق بسهولة العرض •

سؤال : هل يمكن التحدث عن وجود تحول فى السياسة الفرنسية تجـاه النزاع الاسرائيلى العربى قبـل عام ١٩٦٧ ؟ فاذا كان الرد بالايجاب فما هى الأسباب والمؤثرات ؟

١ ـ موريس كلافيل :

لقد كنت مقتنعا بذلك ، وكنت فى اسرائيل فى عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ عقب مسألة شركة رينو بقليل وكان ذلك مؤشرا أكيدا •

وقد وجدت صعوبة فى اقناع أصدقائى الاسرائيليين بذلك وقد قلت لهم : انتبهوا جيدا ! ان ديجول يسعى للصلح فى الجزائر لكى يكسب العالم العربى ... ولماذا العالم العربى ؟ للحصول على أصوات فى الأمم المتحـدة ولكى يعطى فرنسـا نفوذا دوليا لا يتناسب مع مواردها الاقتصادية وأيضا لكى يستطيع مواجهة الأمريكيين .

« وينبغى من جهة أخرى الاشارة الى ولع ديجول بالأمجاد القديمة ففى شخصيته جانب من جوانب شخصية شـارلمان الذى يتقابل مع هارون الرشيد ويتبادل معه القبلة مقابل الساعات ! أما البترول ذاته فليس له أى دور فى الموضوع ، والمسألة كلها مسألة كبرياء والتعلق بالمجد القديم .

« اما عبارة » اسرائيل صديقتنا وحليفتنا ، فمن الخطأ أن تنسب اليه أية أهمية ، فقد كان ديجول يقولها لكل الناس ....

٢ ــ ليو هامون :

« لقد كانت فرنسا تتبع دائما سياسة معينة تنطوى على الصـداقة مع الدول العربية ، وهذه السياسة ترجع الى أسباب تقليدية : البترول وحماية الاقليات المسيحية والرغبـة فى اقامة علاقات طيبة مع الدول العربية الاسلامية التى تشكل عنصرا هاما فى بحر تتمتع فيه بالنفوذ . وكل هذه البواعث الدائمة للسياسة الفرنسـية تعرضت للاضطراب بسبب عاملين :

(١) التوتر الذى حدث بيننا وبين الجزائر والذى أثار النزاع بيننا وبين العالم الاسلامى .

(٢) العطف على اسرائيل الذى نشأ من عدة عوامل تألم الضـمير العالمى بصفة عامة والضمير الفرنسى بصفة خاصة تجاه الشعب اليهودى بعد المذابح التى تعرض لها على يد هتلر . والعطف الذى نشـأ عن التعاون بين دولتين وخاصة اثناء حمـلة السـويس . وأخيرا الميـل

الطبيعى الذى يحس به الفرنسيون الذين هم من أصل يهودى ، وغيرهم من الفرنسيين ، تجاه دولة تعتبر أقرب الينا جدا فى الروح والذكاء والديمقراطية من غيرها .

« وعندما سويت الأزمة الجزائرية وجدت فرنسا نفسها مطلقة اليدين فيما يتعلق بسياستها العربية التى كانت تنتهجها دائما ، هذا فضلا عن أنها كانت تريد أن تحتل فى العالم العربى مكانا انتزعته منها الانجلو ساكسون الى حد ما .

« ومن هنا فقد ظهر اتجاه منذ بداية عهد الجمهورية الخامسة يهدف الى تسوية الأمور مع العالم العربى وهو اتجاه تبلور على أثر الاتفاق مع الجزائر . وكان الأمر يتعلق بالتحديد بتطور بطىء لم يتم على شكل التباعد عن اسرائيل وانما على شكل التقليل من عدائنا تجاه الدول العربية .

« لقد كان الأمر يقتضى من قبل مكافحة النفوذ العربى لكى تستطيع فرنسا البقاء فى الجزائر . ولكن بمجرد أن زالت هذه الضرورة اختفت أيضا العوامل التى كانت تحول دون هذا التقارب وأصبح ينبغى علينا حينئذ التوفيق بين هذا وبين صداقتنا بل والتزاماتنا الأدبية تجاه اسرائيل .

٣ ـ جى موليه :

« أعتقد أنه من الخطأ الاعتقاد انه كانت توجد « سياسة ديجولية » مرسومة تجاه الشرق الأوسط والنزاع الاسرائيلى العربى أو تجاه أية مشكلة أخرى . »

ومن رأيى أن موقف الجنرال ديجول كان يتسم باهتمامات عامة ولكن العمل اليومى كان يتسم بأكبر قدر من الارتجال ، بل بالانتهازية المغرقة فى البرود .

« ومن بين الاهتمامات الدائمة كان هناك اهتمامان رئيسيان ـ

تخليص فرنسا من أى التزام دولى وهذا ما يسميه ضمان الاستقلال ولم يكن من المجدى الاعتراض عليه والقول أنه لو فعل العـالم كله مثل ذلك فأنه سوف يسقط بسرعة تحت حكم قانون الغابة ، فقد كان ديجول يعرف ذلك ولكنه كان يجيب بأن الآخرين لن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك ولهذا فأنه يحتفظ بدون مقابل بمنفعة الضمان العام •

ـ العمل مع ذلك على ضمان دور دولى لفرنسا •

ـ سواء باستغلال العداء القائم بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، بالتعاون أحيـانا مع احدهما وأحيـانا مع الأخرى وبعقد اتفاقيات مع هذه الدولة أو تلك ولكن دون قبول اتفاقيات تلزمه •

ـ أو بانشاء شبكة من العملاء بالمعنى الرومانى للكلمة فى عالم الدول غير المنحازة ، أى دولة مرتبطة بفرنسا ولكن دون أن تكون فرنسا مقيدة بالتزامات نحوها •

« ولهذا فانى لا أعتقد انه حدث فى أى وقت تحول فى السياسة الديجولية تجاه النزاع الاسرائيلى العربى •

« ومن جهة أخرى فأن الدول العربيـة التى استفادت من موقف فرنسا فى يونية ١٩٦٧ تكون مخطئة أيضا اذا تصورت أن هذا الموقف يشكل التزاما لمصلحتها فليس هناك تغيير فى أحلاف عندما لا تكون هناك أحلاف • »

٤ ـ السفير جيلبير :

« لا ينبغى الخلط بين الجمهورية الخامسة وبين الجنرال ! لقد كان هناك بالتأكيد نوع من الفتور منذ شـهر مايو ١٩٥٨ بين فرنسـا واسرائيل عندما عين كوف دى مورفيل وزيرا للخارجية الفرنسية ، ولكن لم تكن ثمة أية علاقة بين هذا التعيين وبين أى تقارب بين فرنسا والعرب •

ولما كان لم يحدث أى شىء فى الشرق الأوسط فى عام ١٩٥٨ فان ديجول كان مسرورا من علاقاتنا الودية مع الدولة اليهودية فقد كانت اسرائيل تبدو فى نظره كرأس جسر للحضارة الاوربية فى هذه المنطقة التى تتسم بالغرابة بعض الشىء • ولم يمكن الكشف عن وجود تحول الا أخيرا جدا • لقد غير ديجول موقفه فى الواقع فجأة فى يونيه ١٩٦٧ ••• لأسباب شخصية جدا ! »

٥ ــ ادجار بيزانى :

« من الغريب أنى سأقول نعم ولا فى نفس الوقت ، بمعنى أن التحول لم يدهشنى ، وأنى لا أستطيع مع ذلك القول أنى حددت العوامل التى سببت هذا التغيير •

« اننى لم أشترك مطلقا فى صياغة القرارات الدبلوماسية للحكومة باستثناء ما يتعلق بالشئون الزراعية والاوربية •

« واعتقد ان الشىء الذى يثير الدهشة فى الجنرال ديجول هو أن كل موقف يتخذه هو نتاج مزيج من الأهداف الدائمة والمعطيات المؤقتة أنه أحد هؤلاء الذين يقيمون سياستهم الخارجية على أساس المنطق الدقيق • والشىء الذى لم يكن من الممكن التكهن به هو الثقل المتبادل الذى كان يعطيه للاحتياجات الدائمة بالنسبة للاحتياجات العابرة • وهذا هو السبب فى أنه كان « لا يمكن التكهن الا بعد فترة من الوقت » بما ينوى عمله ! وهكذا فأنه فيما يتعلق بالمسألة الاسرائيلية كان ديجول يجد نفسه وسط عدد من الممثلين فقد كان هناك الممثل المصرى ــ العربى ولا أقول العربى فقط ، لأن هناك الناحية المزدوجة لهذا الممثل ، وهناك الاسرائيلى والممثل الأمريكى والممثل الروسى •

أليس ينبغى الحكم على موقف رئيس الدولة الفرنسية طبقا لهذا الممثل الروسى وسلوكه المحتمل ، وكذلك على أساس رغبة الجنرال ديجول فى التفاوض مع السوفيت لاتخاذ موقف معين تجاههم ؟

وعلى هذا فأن التحول الفرنسى لم يثير دهشتى ، ليس لأنه كان ثمة مؤشرات تشير الى ذلك ، بل لأنه كان يبدو لى ان الموقف الذى اتخذه الجنرال ديجول فى النهاية كان متناسقا فى جوهره مع مجموع سياسته التى يمكن تليخصها فى ظاهرتين :

احداهما سلبية والأخرى ايجابية • أما الظاهرة السلبية فهى موقفه تجاه الولايات المتحدة كما كان باديا فى ذلك الوقت • »

أما الظاهرة الايجابية فهى البحث عن منطقة نفوذ خاصة به •

هذا هو ما أحسست به ، والمهم فى الموضوع هو أنى لم أدهش ، ومن جهة أخرى فانى أقول باقتناع أن الجنرال وكذلك فرنسا لن تستطيعا تحمل نتائج سياسية موالية للعرب •• وأن كنت لا أزعم أن ديجول ليست لديه الرغبة فى ذلك أن العالم العربى عالم كثير المطالب ولكن هذه المطالب ضخمة بحيث لاتسطيع فرنسا تلبيتها ، سواء من الوجهة السياسية أو الاقتصادية أو المالية ، وربما يثبت التاريخ يوما ما بالنسبة للمطالب العربية التى أثارت نوعا من الزهو والتى لايمكن تلبيتها أنه كان من الافضل لنا أن تلعب اللعبة الاسرائيلية • ان فرنسا وحدها كانت تستطيع أن تتخذ الموقف الذى اتخذته ، ولكنها الآن لكى تستطيع الاستجابة للمطالب والاحتياجات التى يريدها العالم العربى فانه يجب على أوربا كلها ان تتكفل بذلك •

وعلى أى حال فان التحول الفرنسى ، هذا القطع للعلاقات الخاصة مع اسرائيل قد تكون له أخطر النتائج بالنسبة للدولة اليهودية •

والواقع انه يمكن ادراك انه يمكن أن تقوم علاقات خاصة بين اسرائيل ودول أخرى ، حيث أن اسرائيل نتاج سياسى حديث يتسم جزئيا بطابع صناعى ، وفى مثل هذه الظروف فان وجودها ذاته يخضع للاحترام الواجب للتعهدات التى تبذل من أجلها • فاذا كانت هناك رغبة لاثبات وجودها فان التعهدات الدولية تصبح أحد عناصر هذا الاثبات ، ومن هنا يمكن ادراك ان موقف الدول التى لها علاقات

خاصة مع اسرائيل له أهمية كبرى ، لان انكار هذه العلاقات الخاصة يعنى انكار اسرائيل •

وعلى العكس فان الشعب الذى له حقيقة تاريخية عميقة ومعترف بها ليس فى حاجة الى علاقات خاصة ، لان له وجوده ، ويكفى أن تنكر دولتان أو ثلاث دول هذه العلاقات الخاصة لكى تتعرض الدولة اليهودية لخطر الزوال ! وهذا هو ما فعلته فرنسا •

ولكن لاينبغى أن يكون الانسان ظالما تجـاه الجنرال ديجـول وسياسته واعتقد انه لو كان قد شعر بأن وجود اسرائيل فى خطر حقا لوجه عطفه نحوها ، واعتقد أيضا أن الجنرال أراد أن يستغل هذه العلاقة الخاصة والاهمية التى تعلقها عليهـا اسرائيل لاقنـاعها بعدم التحرك ، وفى تصورى أنه عندما يعرف مضمون المحادثات التى جرت بين ديجول وأبا ايبان فسوف نرى أن الجنرال قد ذهب الى بعيد فى هذا الصدد •

واعتقد أن كلمة (عصيان) يمكن أن تستخدم فى هذا الصدد وأن الجنرال قد صدم عندما وجد أن نصيحته التى تتميز بالحكمة وضرورة التروى والتى أعطاها لوزير الخارجية الاسرائيلية قبل بدء الاحـداث ببضعة أيام لم تجد اذنا صاغية •

ولكن لاينبغى اغفال عنصر آخر يفسر موقف ديجول : فالجنرال رجل « عمالى » وهو يحب الشعب العامل أكثر مما يحب الشعب البرجوازى أو العسكرى •• الى حد لايمكنك تصوره •

وهذا يرجع الى أنه عاش فى أيام طفولته أحداث مناطق المناجم فى الشمال ، فى « أتزين » فتركت هذه الايام أثرها فى نفسه •

ان النزاع الاسرائيلى المصرى يعتبر فى نظره نزاعا من جانب الغنى ضد الفقير ، وقد أثر هذا الاحساس المعنوى فى موقفه •

والخلاصة أن أسباب التحول الفرنسى يرجع الى مايلى :

(١) عدم اكتراث اسرائيل بالاستماع الى نصيحة الرئيس الفرنسى

(٢) نفور ديجول من أمريكا •

(٣) ميول فرنسا التقليدية تجاه الشعب العربى •

(٤) رغبة فرنسا فى عدم اثارة توتر لا فائدة منه مع الروس فى وقت يسعون فيه الى تحقيق هدف مغاير •

(٥) الشعور الذى كان يسـيطر على ديجـول بأن النزاع يتعلق بمواجهة بين الغنى والفقير •

كل هذا يفسر دون أن يبرر ، جانبا من سلوك ديجول •

سؤال : هل كان هذا التحـول يرجع ولو جزئيـا الى ردود فعل تتعلق بحساسية الجنرال ديجول •

١ ـ موريس كلافيل :

ليس من الممكن انتظار شىء حيث أنه لم تعد هنا سياسة«[1]» سواء كانت داخلية أو خارجية ومن رأيى أن ثمة اتجاها نحو التشدد من جانب السياسة الفرنسية فى الشرق الاوسط وأسباب هذا التشـدد ترجع جزئيا ، مثلها فى ذلك مثل أسباب التحول فى عام ١٩٦٧ الى بواعث ذاتية ، وان كان اعجاب ديجول يتجه الى اسرائيل • ان ديجول يتحدث عن العرب بعبارات تنطوى على الاحتقار فيقول عنهم : انهم قوم لانفع فيهم ، فهم مغلوبون على أمرهم دائما ••• الخ •

وفى خلال حرب يونية ١٩٦٧ كان الجنرال ديجول بوصفه خبيرا فى سلاح المدرعات منتشيا بانتصار الجيش الاسرائيلى •

وقد قال بهذه المناسبة كلمة فى مجلس الوزراء الفرنسى عقب حرب الايام الستة بشأن الوجود الاسرائيلى على شاطىء قناة السويس •

---

(١) كان موريس كلافيل يحادثنا فى الثالث والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٨ عشـية اليوم الذى أعلن فيه الجنرال ديجول ـ خالقا بذلك مفاجأة للجميع ـ انه لن يخفض قيمة الفرنك .

« هيه انهم لن يرحلوا من هنـاك سريعا » وينبغى أن هنـاك نقطة لايعرفها الكثيرون عن موقف فرنسا قبل حرب الايام الستة ، وقد رواها لى مصدر وثيق الصلة بقصر الاليزيه ، وهى تسمح جزئيا بتفسير الطابع النفسى لردود الفعل لدى الجنرال • ذلك أن ديجول كان قد أبلغ الاتحاد السوفيتى أن اسرائيل لن تهجم ، بحيث يمكن القـول أن الهزيمة المصرية يمكن الى حد ماتنسب اليه • وقد قال كوسيجين : « اننى أعمل على تهدئة اسرائيل ، فاعملوا انتم على تهدئة مصر » •

« وهكذا فان ديجول اتجه بعطفه فى مؤتمره الصحفى الذى عقده فى شهر نوفمبر ١٩٦٧ نحو العرب ، وأصبح الرجل الاول بعد النبى محمد ••• »

٢ ــ السفير جلبيير :

يرجع التحول لعديد من العوامل وحتى لردود الفعل الذاتية •

ان هذه الاخيرة كانت موجودة دائما فى السياسة الفرنسية فردود الفعل الشخصية لدى لويس الرابع عشر كان لها أهميـة كبيرة جدا وكذلك لدى نابليون الاول • وما عليك الا أن تعيد قراءة خطابات نابليون الى جوزفين : اذا أحس الامبراطور أنه « خدع » من جانب زوجته أكثر قليلا مما ينبغى فان مصير ايطاليا يصبح فى خطر !! ••

ولا شك أن البترول العراقى له أيضا أهميته فى الموضوع وكذلك الاستراتيجية العالمية الكبرى ، ورغبة ديجـول فى أن يكون بمثابة حكم ، ولكن لاينبغى مع ذلك اغفال ردود الفعل الشخصية ••

٣ ــ كريستيان بينو :

لشرح أسباب التحول الفرنسى تجاه اسرائيل ، يلجأ الناس دائما الى البحث عن أشياء معقدة جـدا ، فيقولون مثلا : البترول ! نعم البترول له دوره بدون شك ولكن البترول له دوره أيضا بالنسـبة للجميع !! ••

انني أعرف ردود الفعل لدى الجنرال ديجول منذ عهد طويل منذ عام ١٩٤٢ انها ردود فعل شخصية الى أبعد حد أكثر منها ردود فعل سياسية •

ان ديجول كان قبل كل شيء مستاء من اسرائيـل بسبب مساندة الولايات المتحدة لها • فالجنرال أشد عداء للانجلو ساكسون بأكثر مما يتصور أكثر الانجليز والامريكيين وطنية • انك لاتستطيع تصور مدى هذا العداء ، انها كراهية قاتلة ! وهو مضطر من حين لآخر الى التخفيف من حدة هذه الكراهية لأسباب اقتصادية وماليـة ، ولكن هذه الكراهية وأكرر ذلك ــ كراهية قاتلة •

ومهما يحدث فى العالم فان ديجـول سوف يتخـذ دائما الموقف المناقض للسياسة الامريكية • ويضاف الى ذلك أن اسرائيل تصرفت فى يونية ١٩٦٧ دون أن تحيطه علما بنواياها ، وقد اعتبر ديجـول هذا الموقف بمثابة غلطة لاتغتفر ! فلا تذهب فى البحث أكثر من ذلك•

ولكن يجب أن أضيف الى ذلك أن الجنرال شديد العداء للسامية، وهذا شيء لايعرفه الناس معرفة كافية • لقد كان فيمـا مضى ينتمى الى حركة « العمل الفرنسى » وكان من غلاة أنصار شارل مورا •• وهذا العداء للسامية ازداد حدة خلال الحرب العـالمية الثـانية لان الطائفة اليهودية فى لندن كانت شديدة العداء تجاهه حينئذ • اعتقد مع ذلك أن بوريس الذى أصبح بعد ذلك اليد اليمنى لمنديس فرانس قد صالحه بعض الشيء مع الوسط اليهودى •

ولقد قدم فى الواقع للجنرال خدمات كبيرة ، وكان أحد الرجال الاذكياء فى لندن ولكنى أعرف ديجول دائما منذ ذلك الوقت معاديا للسامية !•

ان عداء الجنرال للسامية ليس هو السبب فى تحـول سـياسته ولكن هذا يساعد على اتخاذ موقف محدد •••

٤ ــ جاك سوستيل :

ان العداء للسامية قد يكون بالتأكيد لعب دورا فى التحول السياسى لديجول ، ولكنه كان مجرد دور عابر !.

لقد لاحظت ان الجنرال كان شديد العطف على اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، وفى عام ١٩٥٠ ، وفى عام ١٩٥٦ خلال حملة السويس . ففى هذا الوقت قال لى كلاما عن الدولة الصهيونية ينطوى على أعظم تأييد لها يمكن تصوره . كلا .. ان السبب الحقيقى لهذا التحول سياسى . ان ما يريده ديجول هو أن يصبح أحد الاربعة الكبار ، ولكن ليس قولا فقط ، ولهذا فقد كان ينبغى أن يستند الى تأييد الجماهير الى أصوات كثيرة فى الامم المتحدة .. الخ . وعلى ضوء هذا فان مساندة دول العالم الثالث كانت ضرورية ، وخاصة دول العالم العربى ، ومنذ أن قبل الجنرال أن يلعب بالورقة العربية عندما أضحى بالسكان الذين ينتمون الى الاصل الفرنسى فى الجزائر فانه لم يجد غضاضة فى أن يلعب بنفس الورقة فى الشرق .. بأن يضحى باسرائيل ...

سؤال : كيف يمكن تفسير فرنسا بعد أن قررت حظر ارسال الاسلحة الى الجانبين المتحاربين ــ اسرائيل والعرب ــ عادت فعقدت فى شهر ابريل ١٩٦٨ اتفاقية لبيع طائرات ميراج للعراق التى اشتركت فى حرب يونية ١٩٦٧ ؟

من هذه الزاوية نفسها ما هى الاهمية الحقيقية التى يجب تعليقها على تصرف العدوان . ذلك التعريف الذى يأبى للعقل تصديقه تبنته الحكومة الفرنسية .

١ ــ ليوهامون :

اعتقد انه يجب اما تطبيق سياسة الحظر الشامل أو البيع الشامل ، ومن رأيى أنه لاينبغى ان عاجلا أو آجلا ــ وكلما كان عاجلا كان أفضل ــ انه يكون هناك ميزانان ومقياسان . هل هذا واضح ؟..

٢ ــ جى موليه :

ان فرض الحظر على شحنات الاسلحة ، والتعريف غير الصحيح للمعتدى (لأنه لو كان صحيحا لاعتبرت فرنسا معتدية فى عام ١٩٣٩) وتصريحات فرنسا فى الأمم المتحدة ، كل هذا ليس سوى نتائج للقرار الذى اتخذته الحكومة الفرنسية بالابتعــاد عن النزاع الاسرائيـــلى العربى . واذا كانت هذه المبادرات غير طيبة فان هذا يرجع الى انها لايمكن أن تكون غير ذلك . فالقضـــية السيئة لايمكن أن توحى بحجج جيدة حتى لمحام جيد .

٣ ــ السفير جيلبير :

الاتفاقية التى عقدت مع العراق ؟ انها بمثابة تصعيد لموقفنا المقيت .

أنها تعتبر منذ المــأساة الدبلوماسية التى ارتكبتها فرنسا فى عام ١٩٦٧ بمثابة تصعيد للحماقات . لقد اختارت فرنسا سياسة مواليــة للعرب وأدارت ظهرها لاسرائيل ، بل لقد أصبح هناك من يصرح بأن الدولة اليهودية سوف تختفى من الوجود ان عاجلا أو آجلا ! وهذا هو مانسمعه من أشخاص مسئولين كبروا أو صغروا ممن يحيطون بالجنرال ديجول ..

ثم ان العراق لن تدفع ثمن الطائرات الميراج .. وكذلك لبنان الذى توقف عن دفع الفواتير بعد أن تسلمت الطائرة الثانية ! ان الروس لايقبلون أن تشترى الدول العربية طائرات من أحد غيرهم . لقــد كانت فرنسا هى التى تقدمت بالرجاء الى الدول العربية لكى تتفضل بقبول شراء طائراتها .. وقد قدمت لرئيس هيئة أركان حرب الجيش العراقى الهدايا لكى يوقع على اتفاقية لشراء طائرات فرنسية ثم تغيرت حكومة بغداد مرة أخرى .. وانتهى كل شىء . ان العرب قد تعودوا أن تعطى لهم الطائرات مجانا ..

اما فيما يتعلق بالتعريف الفرنسى للعدوان فانه ببساطة تعريف بشع، ولقد كتب كريشيان بينو فى صحيفة « لوموند » انه اذا انتهكت مصر « الصفقة » التى عقدت بالأمم المتحـدة فى عام ١٩٥٧ فى نيويورك فانه يكون من حق اسرائيل التدخل عسكريا •• على أساس أن هذا الانتهاك يعتبر سببا للحرب •

٤ ـ ادجار بيزانى :

ان ما ينبغى تحاشيه فى جميع الأحوال هو أن يجرى تحليل المسائل الدبلوماسية على أساس المشاعر العابرة ان المأساة الوطنية كانت هناك مأساة وطنية خلقتها المسألة الاسرائيلية • ان عددا كبيرا من الرجال وبعضهم مهم جدا قد نظروا الى هذه المسألة خلال فترة من الوقت على أساس أحاسيسهم تجاه اسرائيل أو تجـاه العرب وليس تجـاه المصلحة الوطنية لفرنسا •

وهذا هو السبب الذى من أجله امتنعت شخصيا امتناعا تاما عن التدخل فى مناقشة هذه المسألة ، لانه ليس من حق أحـد فى مجـال السياسة الخارجية أن يكون مواليا لاسرائيل أو مواليا للعرب وانما ينبغى أن يكون مواليـا لفرنسا وان ينتهج سياسـة منطقية ومتزنة ومصلحة باسم مصلحة ما ، ولست أفهم مطلقا أن يقال للاسرائيليين فى وسط المعركة أن مفهومنا للاتفاقيات التى عقـدناها معها قد تغير وليست هناك مشكلة ، فالتعهد الذى ارتبطت به الحكومة السـابقة يلزم دون أى غموض الحكومة التالية • فاذا جاءت حكومة جديدة وعزمت على تغيير تعهدات الحكومة السابقة فانها يجب أن تعلن ذلك ومن حقها أن تفعل ذلك ، فهذا جزء من قاعدة اللعب ، ولكن هـذا يجب أن يعلن وان ينـاقش ، ولا يصح عندما يقع الحدث الذى له علاقة بالاتفاقية القول : « اننى لا أدافع عن سلوك غير أخـلاقى ، فهذه اخلاقيات ذات طابع معين » •

وفيما يتعلق بالتوفيق بين تسليم طائرات الميراج الى العراق وبين

حظر شحن الاسلحة الى اسرائيـل فانى أقول لك انى لم أفهم ذلك مطلقا واعتقد أن أى شخص لايستطيع أن يفسر لى ذلك • ان الامر يتعلق بمعرفة ماهو مطلوب فى اللعبة السياسية وفيما يختص بى فانى أميل الى تصديق الناس عما يقولونه عن الهدف الذى يسعون اليه •

فاذا كان المطلوب حقا هو زوال « مسببات الحـرب » فى جميع أنحاء العالم أى تهدئة المنازعات لاننا نخشى من وقوع نزاع عالمى ، فيجب قول ذلك واعتقد أن خوف الجنرال ديجول من نشوب حرب عالمية يشكل أحد الاسس التى يقوم عليها منطقه فى تحليل الأحداث • فهو يسيطر عليه الخوف من وقوع حرب تجرف أمامهـا العالم كله بمافى ذلك الصينيين • وفى تصوره أن أية منطقة ساخنة فى أى ركن بالعالم يمكن أن تستخدم كعذر لحادث مشئوم وللرجال الذين قاموا به مما يترتب عليه نشوب هذه الحرب العالمية • والذى لم يستطع أن يفهم ذلك فانه لن يفهم أحد أبعاد تفكير الجنرال ، فهو رجل سلمى جدا لانه يخامره احساس عميق بالخوف من احتمـال وقوع صراع عالمى ، ولكن مادمنا قد وصلنا الى هذه النقطة فينبغى أن يكون المرء منطقيا حتى النهاية • فالذى أفهمه هو مايلى : فنظرا الى أن الجنرال يساوره هذا القلق العميق فقد أعطى نصائح ووجه تقريعا لاسرائيل• بل انى أفهم أيضا • أنه حمل الدول الكبرى على التوقف تماما عن ارسال الاسلحة سواء الى اسرائيل أو الدول العـربية عنـدما قال : اننى لا اكتفى بالقول لكم لاتسلسوا أسلحة بل انى أبادر فاتحمـل مخاطرة عدم تسليم أسـلحة • وقد كان هذا القـول صحيحا لفترة محددة • وقد تم تنفيذ هذا العمل بطريقة جيدة جدا ، ولكن بعد أن اتضح أن الآخرين لايريدون الالتزام بعدم ارسال أسلحة فقـد كان ينبغى على رئيس الدولة الفرنسية • أن يحترم تعهداته السابقة ، وخاصة الا يفعل العكس • فهذا غير منطقى • انى لا أعيب على أية سياسة سوى عدم تكاملها ، بما فى ذلك عدم تكامل هذه السـياسة المشار اليها •

ولكن مهمـا تكن الحقـائق فانه يجب الا ننسى أن التحليـل الدبلوماسي هو التحليل الموضوعى • والموضوعية بالنسبة للمحـلل السياسى هى الاعتراف بانه لاتوجد رغبة سياسـية حقيقية لاتنطوى على تزييف ولو قليل للتاريخ لان السياسة هى تطبيق الرغبـة على الحقيقة • وفى مجال الذكرى والاستدلال لايمكن التمييز بين الرغبة والحقيقة • والاشتراك فىجدل سياسى عنصر مخيف من عناصر تشويه الحقيقة ، حيث انه لايوجد رجل سـياسى موضـوعى ، ولا ينبغى أن يوجد •

والجنرال رجل يعرف كيف يكون سيء النية بطريقة عجيبـة فهو يدافع أمامك بسبب الضرورة عن حجة تعرف تماما أنه لايعتقد أنهـا صحيحة ، وهو يروى لنا فى مجال السياسة الداخلية ، وفى مجلس الوزراء « حججا » لاتصدق ، ويقدم براهين يبدو فيها الزيف واضحا وهو زيف لايمكن أن يجهله ، ولكن هدفه هو ، كما قلت من قبل ، اثبات وجهة نظره بالطريقة التى يريدها • ان هذا شيء لايكاد يصدق ثم بعد ذلك يتكلمون عن الرياء •• حسنا •• ولكن هذا جزء لايتجزأ من الحياة السياسية ، ولكن كلمة الرياء لاتلائم التحليل السياسى •

سـؤال :

كيف تفسر خضـوع البرلمـانيين الديجوليين ، وأغلبيتهم الكبرى متعاطفون مع اسرائيل ، لسياسة الجنرال ديجول المتعاطفة مع العرب ؟

١ ــ موريس كلافيل :

ان هذا يعتبر دناءة بكل مافى هذه الكلمة من معنى لقد استسلموا واذعنوا • انهم « مساكين » فليس لهم وجود بدونه •

لمـاذا تخليت أنا عن السفينة الديجولية ؟ لان عنـدى ضـمير ، وخاصة لأنى لا أنتظر شيئا من نظـام حكم الجنرال •• بينمـا هم يشغلون مكانا فيه ويتمسكون به ••

٢ ــ السفير جيلبير :

ان جميع هؤلاء السادة يؤيدون اسرائيل بنسبة ٨٠٪ ، وقد كان ميشيل دبريه وغيره من الأعضاء المؤسسين لجمعيات الصداقة الفرنسية الاسرائيلية ومنهم شميلتين ودبريه ، وفراى ، وغيرهم ، ولكن الجميع لزموا الصمت الآن . واذا كان يجوز الصمت فى مسائل ذات طابع عاطفى أو بسيكولوجى فان الصمت لايجوز اذا كان الأمر يتعلق بانتهاك كلمة فرنسا .

ان هؤلاء السادة يجب عليهم أن يستقيلوا ..

ان وزراء الحركة الجمهورية الشعبية الذين لم يكونوا أبطالا من طراز جوسكلان قد تركوا جميعا حزبهم عندما القى الجنرال أيضا بالفكرة التى كانت عزيزة على قلوبهم وهى فكرة «المجموعة الاوربية».

٣ ــ ليوهامون :

« أود فيما يتعلق بهذه المسألة الجوهرية أن أعرض ملاحظة ورأيا :

(١) أما الملاحظة فهى أن الرأى العام الفرنسى وعمليات استطلاع الرأى تثبت ذلك بصورة قاطعة ــ متعاطف فى هذا الصدد بصراحة مع اسرائيل . ان الديجوليين والنواب الديجوليين يعيشون فى الرأى العام ولابد أنهم قد أحسوا بمشاعره .

« فلماذا لم يكتشفوا عن هذه المشاعر بصورة أوضح ؟ ان الوزير يجب أن يذهب أو يصمت . أما البرلمانيون فان لديهم حرية أكبر فى الحركة وفى التعبير عن وجهات نظرهم الخاصة : وقد طرح أيضا بشأنهم فى وقت معين سؤال بشأن الحد الذى يستطيعون الذهاب اليه فى التعبير عن رأيهم دون أن يؤدى ذلك الى حدوث تصادم .

(٢) أما الرأى فانه ينطوى على ناحية تتعلق بالموضوع وناحية أخرى ذات طبيعة أكثر عمومية :

(أ) ففيما يتعلق بالموضوع :

« لقد ترك كثير من البرلمانيين أنفسهم يتأثرون بالحجة القائلة :

« ــ ان نصائح فرنسا لاسرائيل بشأن عدم المبادأة بالحرب ــ كانت من أجل مصلحة الدولة اليهودية نفسها ، ولهذا فانه كان ينبغى على اسرائيل أن تتبع نصائح جنرال •• فرنسا • هذا من جهة •

« ونظرا لأنى قلت شخصيا للجنرال ديجول ان اسرائيل لا تستطيع اتباع النصائح التى أعطاها لها ، فانى أشعر أنى أستطيع أن اعبر عما اعتقده فى هذا الصدد •

« ــ ومن جهة أخرى فأن مما ساعد على تهدئة عدد من البرلمانيين الفرنسيين هذه الفكرة القائلة انه بينما تصدر فرنسا بعض التصريحات فانها تساعد اسرائيل بالأعمال بطريقة ينبغى أن تظل سرية جدا •

(ب) وفيما يتعلق بالمسألة ذات الطبيعة الأكثر عمومية :

« فى أى حـزب ، وفى أية حركة ، وفى أية أغلبية فان الأغبيـاء وحدهم هم الذين يوافقون على كل شىء • ان أى رجل سياسى لديه فكرة خاصة يمكن أن يطلب منه فى داخل الأغلبية لكى يؤيد أشياء تعجبه ، ولكى يؤيد أشياء أخـرى لاتعجبه ، ودائما تثار بالنسبة له مسألة اذا كان هو يسير الى حد الاصطدام واليقظة أم لا • ان أى رجل سياسى لايستطيع أن يقول انه يدلى بصوته دائما بما يتفق مع ضميره وميوله (وأنت تعرف ماقاله دزرائلى فى هذا الصدد : ان المرء يقترع مع جماعته كجنتلمان وليس مع ضميره كمغامر) •

« وعندما يصبح الخلاف خطيرا الى درجة ان الضمير الذى يدرك المصالح العامة يحتم القطيعة ، فان المسألة تترك لتفكير كل شخص ، وهذا ليس بالشىء السهل •

(ان الرجل الذى يتحدث معك الآن قطع علاقته مع الحركة التى كان عضوا فيها (الحركة الجمهورية الشعبية) بسبب مسألة مجموعة

الدفاع الأوربية لأن ضميره لم يكن يستطيع الموافقة على شيء يبـدو له مناقضا للسلام ويتنافى مع المحافظة على الشخصية الوطنية لفرنسا ٠

« وفى نفس هذه الفترة اقترعت لصالح قانون بارانجيه لانى وان كنت لم أوافق على شروطه الا أن هـذا كان يبـدو لى شـيئا أقل خطورة ٠٠٠

« ان كل رجل سياسى يجب عليه دائما ان يختار بين المسائل التى لا يشاطر فيها رأى قيادة حزبه والتى يريد اخفاء نوع من السرية فى التعبير عن رأيه فيما يتعلق باختلاف وجهة نظره بشأنها ، وبين المسائل التى يكون مستعدا للمضى فيها الى حد القطيعة ٠

« ان هذه مسألة تقدير شخصى ٠ ومن الممكن التفكير فى أن عمل فرنسا فى المسألة الاسرائيلية وطبيعة هذا العمل كان من الأهمية بحيث ان هؤلاء الذين كانوا يتصورون الأشياء بطريقة أخرى رأوا ان من واجبهم بالاحرى التأثير من الداخل على الأغلبية بدل المضى الى حد القطيعة التامة وهذا هو الموقف الذى اختاره معظمنا ٠

« وينبغى أن أضيف شيئين لشرح الأسلوب الذى اختارته الأغلبية :

« الأول مما سهل عملية القبول هو أن اكبر المستويات فى الدولة لم تشعر بانزعاج تجاه تعبير نوابنا ، عن مشاعرهم الشخصية ٠ وقـد استطعت ، فيما يخصنى ، أن أنشر فى صحيفة « لاناسيون » بيـانا عنيفا جدا ضـد تصريحـات للفريق عارف أثنـاء مروره بباريس ، وكثيرون منا قد أظهروا أيضا مشـاعرهم برصانة وتعقل ولكن دون غموض ٠

« ولم يحدث مطلقا أن سقط جيلوتين الحزب فوق أعناقهم ، وهذا لم يمنع مطلقا أى واحد منا من الحصـول على تأييـد حزبنـا فى الانتخابات التشريعية مثلا ٠ لقد كان هناك نوع من التعايش السلمى ٠٠ لقد سجلنا اننـا غير راضيين دون أن نذهب مع ذلك الى درجة الخصومة ، وظلت الأمور عند هذا الحد ٠

« وكان هذا أيضـا هو موقف رجـل مثل مسيو تريبوليه رئيس جماعة فرنسا ــ اسرائيل وغيره من البرلمانيين ذوى الأصل اليهودى الذين تستطيع معرفتهم بسهولة .

« الثانى : أود أن أضيف كلمة أخيرة بشأن هذه الفئة الخاصة التى لدى من الأسباب ما يتيح لى معرفتها حين يكون المرء رجلا سياسيا فى فرنسا يعنى أيضـا الدفاع عما يعتقد أنه مصلحة الأمة كلهـا وليس مصلحة جماعة تربطه بها علاقة روحية .

« اننى لست نائبا عن الفرنسيين الذين من أصل يهودى ، وانما أنا نائب عن الفرنسيين الذين ينتمون فى أغلبيتهم الساحقة الى أصـل غير يهودى ، واذا كنت أنتمى الى أصل يهودى فان هذا لا يعطينى الحق فى أن أطلب من فرنسا ان تنتهج سياسة تطابق مشاعرى .

« وبعبارة أخرى فانى حر اذا أردت أن اشترك كمتطوع فى الجيش الاسرائيلى (لأن هذا عمل خاص) ولكنى لست حرا فى الاقتـراع بصوتى الذى من أجله يجب أن ألزم بلادى كلها .

« ان الشىء الذى من حق الفرنسى ذى الأصل اليهودى أن يريده هو الا يتم التعبير عن السياسة المتبعة مهما يكن لونها ، بصورة يمكن ان توحى بأى شك فيما يتعلق بولائه التام الى الأمة الفرنسية .

« واعتقد أن الجنرال ديجول كان واضحا تماما فى هذه النقطة فى التصريحات التى أدلى بها الى حاخام فرنسا الأكبر فى أول يناير ١٩٦٨ وقد كان هذا الايضاح مطلوبا .

٤ ــ ادجار بيزانى :

اعتقد أن دور الرجل البرلمـانى فى النظام الفرنسى الحالى ، كما هو فى النظام الانجليزى ، ليس أن يكون له رأى ، وانما أن يؤيد الاغلبية . فهذه هى وظيفته ومع ذلك فان النظام الديجـولى يغلب عليه انتهاج هذا الاسلوب ، ولكن هـذا الاسلوب متبع فعـلا فى انجلترا وفى المانيا والى حد كبير جدا فى أمريكا .

التذمر ثم السير . هذا هو شـعارهم ، ولكن الشيء الذى يميز بصفة خاصة نواب الاغلبية الفرنسية هو احساسهم بوجـود ظاهرة مقدسة تحيط بالجنرال ديجول انه البابا . انه « يعرف كل شيء ، وهو يسمع الاصوات » ..

وهو يسمع هذه «الأصوات» بصفة خاصة فى السياسة الخارجية . والطابع المقدس المعصوم من الخطأ الذى يتسم به الجنرال يعترف به عدد كبير جدا من نواب الاغلبية .

والمشكلة الحقيقية هى احساس الرجل البرلمـانى فى النهاية بعدم فائدته وبافتقاره الى الاستقلال الذاتى .

ولكن لا تظن أن هذا لايوجد الا فى صفوف الاغلبية ، كأعضـاء المعارضة أيضا « يسيرون بالعصا » !! .

وقد سمحنا لأنفسنا بمقاطعة الوزير الديجولى السابق لنسأله اذا كان يؤمن بالعبارة التى قالها دزرائيلى ، والتى يحلو لمسيو ليوهامون وهو أيضا من نواب الاغلبية ان يذكرنا بها . ان المرء يدلى بصـوته مع جماعته كجنتلمان ، وليس مع ضميره كمغامر . فقال :

لقد أدليت بصوتى طبقا لضميرى .. ولقد قلت مافيه الكفاية[1] .

ولمـا سألنا مسيو ادجار بيزانى اذا كان يعتقد أن ديجـول يعتبر ــ فيما يتعلق بالمسألة الاسرائيلية العربية ــ رجلا « عاطفيا » أم انه على العكس رجل « واقعى » . أجاب وزير الجنرال السابق بمايلى :

هل يؤمن شارل ديجول حقا بوجود شعب يرجع تاريخ دولته الى عشرين سنة فقط ؟ ان هذا شيء غير مؤكد .

اما الامة العربية فهى الامير ، والنبى ، واحداث التاريخ ، وهى التى عاصرت الاخطار والكوارث ..

لقد طلب منى يوما طالب انجليزى أن أحدد له شخصية الجنرال وقد قلت له انه رجل كلاسيكى جدا ، وانه يحـل جميع المسـائل

---

(١) كان بيزانى النائب الوحيد ضمن جماعته الذى أيد اقتراح موقف المعارضـة اليسارية من الحكومة بصدد احداث شهر مايو ١٩٦٨ .

الكلاسيكية بطريقة كلاسيكية ، وخاصة المسائل الدبلوماسية ، ولكن بمجرد أن تعرض له مسألة ذات طابع جديد فانه يصبح حرا تماما ويمكن أن يتحول الى رجل ثورى بمعنى الكلمة ..

واذا نظرت الى الجنرال عندما يعالج مسألة تتعلق بالحضارة التى ينتمى اليها أو مسألة لاحقة لهذه الحضارة ، فانه يتخذ تجاه هاتين المسألتين موقفين مختلفين تماما . انه لايستطيع الخروج من اطاره الكلاسيكى عندما يعالج مسألة ذات طابع كلاسيكى ، اما فيما يتعلق بالمسائل الجديدة فانه لايوجد ثمة مايدعوه لكى يصبح كلاسيكيا ، فهو يصبح شيئا آخر تماما .

والعلاقات الدولية تعتبر بصفة خاصة ذات طابع كلاسيكى فى نظر الجنرال مهما تكن الدول التى توجد بينها هذه العلاقات ، بما فى ذلك اسرائيل اذا اثير موضوعها فى مناقشة ..

هذا بينما اعتقد انا أن العالم ، بالنسبة لدولة معينة ، مقسم الى مناطق ، أو الى دوائر كما يقال عادة .

وبالنسبة لكل دولة يوجد عدد محدود جدا من الدول تكون هذه الدولة مرتبطة معها بعلاقات ذات طبيعة سياسية أى أن المصلحة ليست هى العنصر الوحيد فى الموضوع .

ودول السوق الاوربية المشتركة يمكن ان تكون مثالا فى هذا الصدد .

ثم تأتى بعد ذلك باقى دول العالم التى لاترتبط بها هذه الدوله المعينة الا بروابط المصلحة ، وان كان هذا لايستبعد احترام التعهدات ..

ولكنى لا أستطيع أن أتصور أن علاقات فرنسا بالمانيا أو ايطاليا أو بالاحرى اسرائيل لها نفس طبيعة العلاقات التى تربطها بدول العالم الاخرى[1] غير أن الجنرال لم يفهم ذلك . ان الجنرال رجل كلاسيكى وكلاسيكى كبير . .

---

(1) ان المرء لا يتفاوض مع القدس كما يتفاوض مع بريتوريا .

الفصل السادس
الامم المتحـــدة فى الشرق الادنى

اوثانت الغامض

« ان الانسان له دائما مصلحة فى انتصار شخص ما »

« نابليون بونابارت »

— ١ —

١٩٤٧ ــ ١٩٥٧ : الفعالية

(أ) ١٩٤٧ :

فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة ، بفضل اتفاق الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ورغم اختلافهمـا فى كل مكان آخر فى العالم ، على مشروع لتقسيم فلسطين ينص على انشاء دولتين احداهما يهودية والاخرى عربية ولاول مرة منذ صدور وعد بلفور[١] قبل ذلك بثلاثين عاما أصبح أمل اليهود فى اسـترداد جزء منالاراضى التى كانوا يعتبرونها دائما ملكا لهم على وشك ان يتحقق

من الوجهة الاسـتراتيجية على الاقل لم يكن مسـتقبل الدولة اليهودية مضمونا فقد كانت هذه الدولة تتألف من ثلاثة مثلثات تتلامس عند رؤوسها ويحيط بها العرب الذين كانوا يهددونها دائماء لقد كانت أشبه بثلاث قطع من القماش على رداء التاريخ لقد كان هـذا هو مافكرت فيه الدول لصنع دولة اسرائيل ، ومع هذا فقد قبل اليهود حل الامم المتحدة بحماسة كبيرة •

---

(١) الذى وعد اليهود بوطن قومى •

أما دولة الانتداب البريطانى فانها اغرقت البلاد فى الفرضى بسبب اعلانها موعد انسحابها قبل الأوان وعرقلت بذلك عمل الأمم المتحدة ، وقد رفض العالم العربى مشروع التقسيم ودعا الى الحرب المقدسة . وتعرضت المستعمرات اليهودية الموجودة فى فلسطين لهجوم قوات جمعت من كل البلاد العربية ، وحمى وطيس القتال فى أراضى فلسطين وبدا أن السكان اليهود سيتعرضون لمذبحة .

وعندما أعلن بن جوريون يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ قيام دولة اسرائيل قال البعض ان هذه الدولة ولدت ميتة . والواقع انه فى نفس هذا اليوم قامت الجيوش النظامية لخمس دول عربية يبلغ مجموع سكانها ٣٥ مليون نسمة بالهجوم على ٦٥٠ ألف يهودى عزل من السلاح وغير منظمين .

وحاولت الامم المتحدة والحرب مستمرة أن تجد حلا لنزاع أصبحت هى المسئولة عنه موضوعيا تتيجة لمبادرتها الشجاعة . وبعد جهود عديدة فاشلة استطاع الكونت فولك برنادوت وسيط الامم المتحدة الذى عين فى هذا المنصب فى شهر مايو ١٩٤٨ التوصل الى عقد هدنة يوم ١١ يونية ١٩٤٨ لمدة شهر ، ولكن العرب عادوا يوم ٩ يولية فاستأنفوا عمليات الابادة .

وعندئذ أصدر مجلس الأمن « أمره » من جديد بوقف القتال وهدد بتدخل مباشر من جانب الامم المتحدة تطبيقا للفصل السابع من الميثاق الذى يسمح لهذه المنظمة الدولية بأن تفرض وجودها فى المنطقة لتنفيذ أوامرها وقد أوتى هذا التهديد ثماره .

وفى شهر اكتوبر ١٩٤٨ أصبح قرار وقف اطلاق النار نافذ المفعول على جميع الجبهات . وفى شهر نوفمبر ١٩٤٨ قرر مجلس الأمن ، لاستكمال مهمته فى اقرار السلام عقد اتفاقيات هدنة فى جميع قطاعات فلسطين . واستؤنف القتال فترة من الوقت فى صحراء النقب ، ولكن أمكن بفضل تعاون رالف بانش الوسيط الجديد للامم المتحدة (بعد ان اغتيل برنادوت فى القدس فى ظروف غامضة فى سبتمبر ١٩٤٨)

عقد اتفاقيات هـدنة فى ٢٠ يولية ١٩٤٩ مع جميع الدول العربية المشتركة فى الحرب ضد اسرائيل •

لقد أصبحت الدولة اليهودية حقيقة ، وأصبحت أكثر مساحة مما نص عليه مشروع التقسيم ، لقد تمكن اليهود باعجوبة من صد الهجمات العربية وحولوا العمليات التى كانت تهدف الى ابادتهم الى نصر لهم • وهكذا تغلبت ارادة الحياة ، وفى ١١ مايو ١٩٤٩ رحبت الجمعية العامة للامم المتحدة باسرائيل كعضو فيها ، وكانت ٥٢ دولة من دول المنظمة الدولية اعترفت بها حتى هذا التاريخ •

لم تحاول الامم المتحدة فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، كما رأينا أن تنفض يديها من النزاع الاسرائيلى العربى ، أو أن « تسحب أوراقها من اللعب » بل عملت على الاحرى على التوفيق بين آمال اليهود وآمال العرب الفلسطينيين الذين يعيشـون على نفس الارض • ان رفض العرب لمشروع التقسيم ، مهما تكن قيمة هذا الرفض ، ومأأعقب ذلك من حرب ، لم يؤثر مطلقا على شجاعة مبادرة هذه المنظمة الدولية•

لقد أدت الامم المتحدة مهمتها عندما انشأت دولة ، وعندما فرضت اتفاقيات الهـدنة على هؤلاء الذين أرادوا أن يحرموا من حق الأمل شعبا افلت من الابادة النازية ، وعندما ضمت الى عضويتها هذه الدولة الجديدة • لقد كان هذا هو زمن الفعالية •

(ب) ١٩٥٧ :

بعد عشر سنوات من قرار تقسيم فلسطين ، بدأت الامم المتحـدة تستعد لان تلعب من جديد دورا ايجابيا فى الشرق الاوسط •

لقد كسبت اسرائيل خلال بضعة أيام معركة سـيناء ، وعسكرت قواتها على شاطىء قناة السويس ، وأعادت بالقوة فتح خليج العقبة الذى يمكن عن طريقة الوصول الى ميناء ايلات الاسرائيلى والذى منعت مصر السفن الاسرائيلية من دخوله منذ عام ١٩٤٩ ••

ولكن سرعان ما اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على العمل من أجل تحقيق انسحاب القوات الفرنسية والانجليزية والاسرائيلية من مصر ، قد أحس الفرنسيون والانجليز انهم لايستطيعون مقاومة أوامر « الكبار » •

غير أن اسرائيل التى كانت حملة سيناء تنطوى على أهمية حيوية بالنسبة لها «[1]» رفضت الاذعان • ثم صرح رئيس حكومة الدولة اليهودية بعد ان تراجعت قواته من بور سعيد انه لن يقبل الانسحاب من غزة (التى كان الارهابيون الفلسطينيون يشنون منها الهجمات على اسرائيل) الا مقابل ضمانات قوية •

وكانت المشكلتان التى واجهتا الجماعة الدولية حينئذ هما تقديم ضمانات لاسرائيل من جهة ، واعطاء حل ذى طابع دائم للنزاع • وكان ينبغى ايجاد حل لكل من هاتين المشكلتين داخل الامم المتحدة ، وكان هذا العبء يقع بصفة خاصة على عاتق مسيو همرشولد السكرتير العام لهذه المنظمة الدولية ، وقد كان شخصية سويدية مرموقة لامع الذكاء ، قوى النفوذ ، وقد تميز الخطاب الذى القاه فى الامم المتحدة عند تقليده هذا المنصب بالعبارة التالية التى اختتم بها خطابه : ــ

ان أعظم صلاة يؤديها الانسان ليست تلك التى يطلب فيها النصر ، وانما تلك التى يطلب فيها السلام ••

وقد قررت الجمعية العامة للامم المتحدة فى شهر نوفمبر ١٩٥٦ ، بناء على اقتراح كندا ، انشاء قوة طوارىء دولية توضع تحت سلطة السكرتير العام للأمم المتحدة وتساعده لجنة استشارية •

وهذه القوة الرمزية التى كانت تتألف من ٣٤٠٠ جندى نرويجى وسويدى وهندى ويوغوسلافى وبرازيلى وكندى ، والتى عهد اليها فى بادىء الأمر ضمان وقف اطلاق النار ، وجدت فى بداية عام ١٩٥٧

---

(١) انظر الفصل الثانى والخامس .

ان مهامها قد اتسع نطاقها : فقد استخدمت حينئذ كحاجز يمنع تسلل الفدائيين الى الأراضى الاسرائيلية •

وهكذا فانه فى الفترة من عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٦٧ أصبحت قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة ذات « الخوذات الزرقاء » تمارس رقابة فعالة على شريط غزة الذى يبلغ طوله ٥٦ كيلو متر وعلى طول الخط الذى يفصل بين صحراء النقب الاسرائيليـة وصحراء سـيناء المصرية ، وفى شرم الشيخ أخذت هـذه القوات تسهر على ضمان احترام حرية الملاحة فى مضيق تيران وخليج العقبة وهما طريقان مائيان دوليان طبقا لنفس التعبير الذى ورد فى التصريحات التى أصـدرتها فى ذلك الوقت الدول البحـرية ، ومن بينهـا بريطـانيا وفرنسـا والولايات المتحدة •

ولكن كيف يمكن أن يعطى محل الامم المتحدة طابعا دائما ؟ ان الجمعية العامة للامم المتحدة كانت تستطيع بالتأكيد ، كما حدث فى عام ١٩٥٦ ، ان تشكل قوة البوليس الدولى • ولكنها ، على عكس مجلس الامن ، لاتستطيع أن تطلب من هذه القوة « المرابطة » فى مكان ما ، أو القيام «بعمليات» الا بموافقة الدولة المضيفة وهى مصر •

وبدأت حينئذ مفاوضات صعبة فى القاهرة بين الرئيس عبد الناصر ومسيو همرشولد • وفى يوم ١٨ نوفمبر تم عقد اتفـاق سـجل فى مذكرة كان يطلق عليها دائما من قبيل السخرية اسم « اتفاقية حسن النية » ••

وفى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ صعد السكرتير العام فوق منصة الجمعية العامة للامم المتحدة لكى يلقى تقريرا يحيط فيه مندوبى الدول علما بالاتفاق الشهير الذى ابرمه مع الرئيس المصرى قبل ذلك ببضعة أيام ، وقال :

لقد أكدت الحكومة المصرية انها عندما سـوف تمارس حقـوق السيادة بشأن الية مسألة تتعلق بوجود قوات الطوارىء التابعة للامم

المتحدة أو بممارسة هذه القوات لعملها ، فانها ستستوحى فى ذلك حسن النية المنبثقة من قبولها لقرار ٥ نوفمبر ١٩٥٦ (وهو القرار الذى انشئت بمقتضاه قيادة لقوة الطوارىء الدولية تابعة للأمم المتحدة والذى طلب فيه من السكرتير العام اتخاذ جميع التدابير الضرورية لتشكيل هذه القوة على وجه السرعة) وذلك الى أن تنتهى مهمة هذه القوات •• وكانت هذه العبارة الأخيرة بمثابة انتصار للسكرتير العام وفى ٧ نوفمبر أعلن ليستر بيرسون مندوب كندا :

يبدو أننا نجونا من كارثة ونحن على قيد شعرة منها وذلك بفضل العمل الذى قام به مسيو همرشولد •

وفى يوم ٢٤ نوفمبر أعرب جميع أعضاء الجمعية العامة للامم المتحدة عن اعترافهم بأن الثقة التى أولوها للسكرتير العام كان لها مايبررها تماما •

ان قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ترابط فى مصر لان مصر تريد ذلك ، ولكن مصر لاتستطيع أن تسحب من جانبها وحدها موافقتها على وجود هذه القوات فى أراضيها • لقد كان هذا بصفة عامة هو مافهمه أغلبية أعضاء الجمعية العامة ، ومن بينهم السكرتير العام فى شهر نوفمبر ١٩٥٦ من الاتفاقية التى عقدها همرشولد مع مصر •

ومع هذا فقد كان هناك نوع من « الميوعة » يسود هذا الاجراء : فقد أخذ مندوب مصر يردد تصريحات غامضة • بل ان ليستر بيرسون نفسه لم يتردد فى القول بأنه « من الحماقة ان تلتزم اسرائيل بشىء بدون وجود قرار قانونى » •

وقد كان الغموض شديدا الى حد انه كان هناك تساؤل عما اذا كان عبد الناصر قد تعهد سرا ، ولكن دون أى ايهام ممكن ، على عدم المطالبة من جانب واحد بسحب قوات الطوارىء من مصر •

والواقع ان كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسية فى عهد حكومة

جى موليه التى وقعت أحداث السويس خلال حكمها نشرت يوم ٨ يونية ١٩٦٧ مقالا فى صحيفة « لوموند » اشار فيه الى واقعة الغذاء السرى الذى اجتمع خلاله فى نيويورك مع همرشولد ومع محمود فوزى الذى كان حينئذ وزيرا لخارجية حكومة الرئيس عبد الناصر . وقد جاء فى هذا المقال الذى كتبه الوزير الفرنسى السابق عن هذا الاجتماع مايلى :

لقد كانت هذه المقابلة التى تمت بعد أربعة شهور من احداث السويس ايجابية بل وودية ، والنية الحسنة التى بدت من هاتين الشخصيتين لم تكن فى نظرى موضع شك مطلقا . لقد وافقت مصر على وجود قوات الطوارىء فى غزة وفى شرم الشيخ ..

ماهو المغزى الدقيق الذى يمكن ان ينسب الى هذه الاقوال ؟

هل هذا « الاتفاق الغامض » الذى لم يعثر له على اثر حتى الآن كان يعطى عبد الناصر حق طلب سحب قوات الامم المتحدة فى أية لحظة ؟؟

لقد أعربت لنا شخصية كبيرة جدا بوزارة الخارجية الفرنسية عن شكوكها فى هذا الصدد فقالت :

لقد بحثت عن هذا الاتفاق فى أرشيف وزارة الخارجية ولكنى لم أعثر له على أى أثر ، ان البرقية الوحيدة التى أرسلها كريستيان بينو فى ذلك الوقت الى وزارة الخارجية من نيويورك كانت تتعلق بالجزائر ، كما بحثت عن هذه الاتفاقية فى الامم المتحدة دون جدوى لقد كان الأمر صعبا للغاية لاسيما اذا عرفنا ان همرشولد كان يرسل جميع أوراق الارشيف الخاص به الى السويد ، وهو تصرف غريب من جانب السكرتير العام للامم المتحدة ..

ولكن الغموض ظل يخيم على هذه الواقعة المحيرة ، وبدا لنا من المفيد أن نستطلع رأى كريستيان بينو نفسه ، فصرح لنا بقوله :

انك تسألنى اذا كان عبد الناصر تعهد ، عن طريق محمود فوزى خلال الغذاء السرى الذى اشرت اليه فى صحيفة لوموند بألا يطلب سحب قوات الامم المتحدة الا بعد انتهاء مهمة هذه القوات ..

وأجيب على ذلك بأن الامور لم تسر على هذا النحـو تماما ان اسرائيل التى وكلتنى لكى اتفاوض باسمها كانت تعلق أهمية كبيرة على شيئين :

الاحتفاظ بمخارج خليج العقبة ، ثم تحاشى نشاط الفدائيين الذين يقومون بغاراتهم من غزة وقد ناقشنا هاتين النقطتين مع محمود فوزى وهمرشولد ، وتم الاتفاق على ان تكفل قوات الامم المتحدة حـرية المرور فى مضيق تيران بحيث يمكن تحاشى ان ترابط القوات الاسرائيلية فى الاراضى المصرية ، وهذا ماكان عبد النـاصر لايريده بأى ثمن ، وقد اتخذنا نفس هذا الحل بشأن غزة حيث اتفقنـا على ان ترابط قوات الامم المتحدة فيها ، وهـذا الاتفـاق هو مايسـمى فى اللغة الدبلوماسية بالاتفاق السرى ، ولابد أن همرشولد سجل هذا الاتفاق فى محضر الاجتماع .

ولكن لم يذكر مطلقا فى هذا الاتفاق اذا كانت قوات الامم المتحدة ستنسحب أو لا تسحب .

والواقع أنه منذ أن قبل عبد الناصر حرية المرور فى خليج العقبة ، وخاصة عندما اقترح هو نفسه أن تتولى جنود الامم المتحدة ضمان هذا المرور ، فانه أصبح واضحا انه لم يكن يستطيع التفكير فى نفس الوقت فى رحيل هذه القوات ، والا كان هذا يعنى انه يريد أن يقول: « اننى لا أوافق على حرية المرور الا لمهلة محدودة » وهو مالم يقله فى ذلك الوقت .

« وترتب على ذلك ان السكرتير العام للامم المتحدة قال بعد ذلك بعشرة أعوام ان اتفاقا سريا يعقد لا يمكن أن يكون أزليا . وهـذه نظرية يمكن الدفاع عنها ، ولكنه لا يستطيع الادعاء انه كان يوجد اتفاق مع عبد الناصر ينص على أن من حقه طلب سحب قوات الامم المتحدة فى أى وقت .

« وأقول مرة أخـرى ان مصر لم نوقع معاهدة اعترفت فيها الى

الأبد ، أو على الأقل لفترة طويلة جدا ، بشرعية وجـود قوات الامم المتحدة فى أراضيها ولكنها وقعت اتفاقية تنص على حرية الملاحة تماما فى خليج العقبة ، وقد رابطت قوات الامم المتحدة هناك لهذا الغرض، ولا يمكن القول فى أى وقت ان مهمتها قـد انتهت وهـذه النظرية صحيحة بدليل انه عقب سحب جنود الامم المتحدة من شرم الشـيخ بفترة قصيرة بادر عبد الناصر الى اغلاق مضيق تيران ..

« واذن فالمسألتان كانتا مرتبطتين تماما فى عقله ! انه لم يكن يريد وضع حد لوجود قوات الطوارىء بقدر ماكان يريد وضع حد لمرور السفن الاسرائيلية فى خليج العقبة وخاصة ان اسرائيـل أعلنت أن اغلاق خليج العقبة فى وجه سفنها يعتبر بمثابة « اعلان حرب » .

« اما فيما يتعلق بمعرفة ما اذا كانت فكرة سحب القوات كانت موجودة فى ذهن عبد الناصر أثناء توقيع الاتفاق ... فان كل ما يمكن قوله انه انقضت عشر سـنوات بين هذا التـوقيع وبين الأمر الذى أصـدره اوثانت بسحب هـذه القوات وفى ذلك الوقت كان الأمل يراود النفوس فى امكان التوصل الى حل للنزاع الاسرائيلى العربى، لقد كان هذا الأمل ينطوى على تفاؤل شديد ! ولكن النـاس كانوا يعيشون مع ذلك على هذا الأمل ... غير انه لم يتحقق . ولم يكن هناك سوى أحد احتمالين اما الاحتفاظ بالوضع القائم أو الغاؤه . ولكن الغـاء هذا الوضـع لم يكن يعنى مجرد سحب قوات الامم المتحدة ، ولكنـه يعنى بالاحرى استئناف النزاع مع اسرائيل وعلى هذا فان قوات الامم المتحدة كانت فى جوهر الأمر مجرد عنصر ثانوى فى الموضوع .. »

وهكذا فان ثمة نقطتين ينبغى الاشارة اليهما فى هذا التحليل :

١ ـ لم يكن فى اتفاق بينو ـ فوزى ـ همرشولد أى نص بشأن سحب قوات الامم المتحدة .

٢ ـ ذلك لأن هذا الاتفاق لم يكن ينص على وجود جنود الأمم المتحدة وانما على حرية الملاحة فى خليج العقبة الذى أصبحت قوات

الامم المتحدة بناء على رغبة عبد الناصر نفسه ، تضمن المرور فيه للسفن الاسرائيلية ؟

ولما كان وزير الخارجية المصرى الذى كان يتكلم باسم رئيس الجمهورية العربية المتحدة لم يقترح فى أى وقت أن تستمر حرية الملاحة لفترة محدودة فقد أصبح من المستحيل اصدار أمر بسحب قوات الأمم المتحدة قبل عقد صلح رسمى مع اسرائيل ، لان اتخاذ هذا الاجراء يعتبر حينذ بمثابة استئناف فرض الحصار على الخليج بصورة غير مشروعة ، وهذا هو ماحدث فعلا فى شهر مايو ١٩٦٧ •

واذا كان مسيو همرشولد يعتبر « استاذا فى تمييع المواقف » كما قالت بسخرية هذه الشخصية الكبيرة جدا بوزارة الخارجية الفرنسية السابق ذكرها (ولنلطق عليها حرف ك) فانه استخدم هذا التمييع بطريقة جيدة ، فالتمييع عنده لم يكن سوى وسيلة لتحاشى ما هو أسوأ •

واذا كان السكرتير العام للامم المتحدة قد استطاع أن يقر الهدوء النسبى بين اسرائيل ومصر لمدة عشر سنوات بفضل عملية قوات الطوارىء (التى كان يقضى معها جميع عطلاته فى نهاية العام •••) فان هذا يعنى انه عرف كيف يستخدم التوزيع الجديد لمختلف القوى داخل المنظمة الدولية وان يدعم بها مبادراته •

ان انضمام عدد كبير من الدول المنتمية الى ما يطلق عليه اسم المجموعة الافريقية الاسيوية الى الامم المتحدة جعل أغلبية الثلثين التى كانت الولايات المتحدة تتمتع بها تلقائيا غير مضمونة تماما كما كان الحال من قبل ، والواقع أن دول هذا العالم الثالث حاولت الا تنزلق الى هاوية الحرب الباردة والاحتفاظ بنوع من الحياد وقد استغل مسيو همرشولد هذا الموقف الجديد وانشأ نظرية أطلق عليها اسم « التحييد الدولى » واستند السكرتير العام للامم المتحدة على هذه الأغلبية الجديدة لكى يخلص المنازعات الدولية مع الصراع الدائر بين الشرق والغرب • وقد ازداد نفوذه ولم تعد المحافظة على السلام

تعتمد على « الدول الكبرى » وانما على الدول الصغيرة التى عهدت اليها الامم المتحدة بمهمة « الحضور » لتحاشى وقوع أى نزاع وان تشكيل قوات الامم المتحدة التى كانت ترابط فى مصر فى الفترة من عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٦٧ يصور تماما هذا الموقف •

ولكن نجاح مسيو همرشولد يرجع بصفة خاصة الى أن عمله « الحيادى » لم يكن يتم مطلقا « ضد » الدول الكبرى دائما على العكس بالاتفاق على الأقل مع الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة • وقد كان هذا الاتفاق موجودا أثناء مسألة السويس : وهذا هو السبب فى نجاح العملية •

وهناك آخرون لا يستطيعون أو أحيانا لا يريدون الامتناع عن تغليب مصالحة أحدى الدول الكبرى على حساب دولة كبرى أخرى، وقد كان هذا هو الحال فى شهر مايو ١٩٦٧ • وقد كان على رأس الامم المتحدة حينئذ ، منذ بضع سنوات خلت سكرتير عام جديد — أوثانت • لقد انتهى عصر الفعالية بوفاة مسيو همرشولد الذى لقى مصرعه فى ظروف مفجعة ، وجاء عصر الأخطاء السياسية والغموض •

— ٢ —

مايو ١٩٦٧ : الخطأ

ان وجود قوات الامم المتحدة قد وضع حدا من الوجهة العملية لتسلل الارهابيين على طول الحدود الاسرائيلية المصرية وسمح بنمو التجارة البحرية الاسرائيلية فى خليج العقبة • وقد كان وجود هذه القوات فى شهر مايو ١٩٦٧ ضروريا أكثر منه فى أى وقت آخر ، رغم ان عددها كان محدودا ورغم انها لم تكن قوات ضاربة ، ولكنها كانت تعتبر مع ذلك رادعة لأنها كانت تمثل اتفاق الامم •

عادت الجيوش المصرية الى التجمع فى سيناء استعدادا للهجوم ونادى العالم العربى « بالجهاد » أى بالحرب المقدسة ، وأصبحت الاغنية العربية المفضلة هى « اذبح ، اذبح » التى كان صوت أم كلثوم

السماوى يرددها باستمرار فى الأسواق ، وكانت دمى اليهود تشنق فى شوارع القاهرة ، وفى هذا الشرق الأوسط المستعد للاشتعال لدى أقل حادث ، كان وجود ٣٤٠٠ جندى من جنود الامم المتحدة يشكل العقبة النهائية ولكن الجوهرية أمام المواجهة بين الاسرائيليين والعرب •

ان هذا الدور الحيوى الذى قام به جنود الامم المتحدة فى مايو ١٩٦٧ يقتضى أن تفحص بعض جوانبه بدقة ، وهى جوانب غير معروفة جيدا غالبا ذلك لأنه فى هذه المسألة التى بدأت كقصة بوليسية رديئة يوجد مسئولون •••

(أ) أيام السكرتير العام الثلاثة :

ـ فى يوم ١٦ مايو ١٩٦٧ استقبل الجنرال الهندى جيث ريكى قائد قوات الامم المتحدة فى مقر قيادته فى غزة ضابط اتصال مصرى جاء لتسليمه رسالة من الفريق محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب قوات الجمهورية العربية المتحدة ، وكانت الساعة حينئذ العاشرة مساء بالتوقيت المحلى وطلب الجنرال ريكى من ضابط الاتصال المصرى وهو العميد مختار ان ينتظر بضع لحظات ريثما يقرأ الرسالة ، وفيما يلى نصها :

« أود أن أبلغكم أنى أصدرت الأمر لجميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة بأن تكون على استعداد للتدخل ضد اسرائيل فى اللحظة التى تقوم بها بعدوان ضد أية دولة عربية ، مهما تكن ، وبناء على هذا الأمر فان قواتنا قد تمركزت فى سيناء على حدودنا الشرقية ، وأنى ارجوكم من أجل سلامة جميع قوات الامم المتحدة التى تحتل نقط مراقبة على طول حدودنا ان تأمروا بسحب كل هذه القوات ، وقد أصدرت الأوامر اللازمة لقيادتنا فى المنطقة الشرقية وأرجو التفضل بابلاغى انكم ستعملون طبقا لهذا الطلب • »

امضاء : « الفريق محمد فوزى »

ولكن الشيء الغريب للغاية هو ان العميد مختار طلب شفويا ، فى هذه المرة من قائد قوات الامم المتحدة « أن يبـدأ فورا فى سحب جنوده من موقع « الصبحة » على حدود سيناء ، وخاصة من شرم الشيخ » والطابع الشفوى لهذا الطلب جعل الشـكوك تحوم حول بواعثه فهل يريد قواد الجيش المصرى ان « يرغموا عبد الناصر على الاذعان لرغبتهم » باتخاذ مبادرات جريئة ؟ ان الغموض لايزال يحيط بهذه النقطة حتى الآن تماما .

وعلى أى حال فان الجنرال ريكى رد على الضابط المصرى بأنه ليس مخولا له ، سحب قواته بناء على هذا الأمر وانه لا يستطيع التصرف الا بناء على تعليمات من السكرتير العام للامم المتحدة . وقد أرسل الى اوثانت على الفور برقية يبلغه فيها بالنبأ .

وبادر اوثانت بمجرد علمه بالخبر الى استدعاء السيد القونى ممثل الجمهورية العربية المتحدة فى الامم المتحدة . وفى الساعة السـادسة والدقيقة ٤٥ مساء دخل الدبلوماسى المصرى مكتب السكرتير العـام الذى يقع فى الطابق الثامن والثلاثين من المبنى الزجاجى بحى مانهاتن . ووضع أوثانت بين شفتيه سيجاره الاسود الصغير الخالد الذى يبعث فى طلبه خصيصا من بورما ، مسقط رأسه ورجا المندوب المصرى أن يطلب من حكومته ايضاحات وشرح له وجهة نظره بشأن تقرير الموقف وكان جوهر ماقاله أوثانت فى هذا الصدد مايلى :

« اما ان رسالة الفريق محمد فوزى تعنى أن مصر تطالب بسحب قوات الامم المتحدة « مؤقتا » وفى هذه الحالة فأنى سوف أعتبر ان هذا الطلب يعنى الانسحاب « التام والنهائى » والواقع أنه سيكون من الصعب على جنود الامم المتحدة الذين هدفهم هو منع استئناف الحرب ان يشهدوا هذه الحرب وهم فى موقف سلبى ، وأما أن تكون حكومة الجمهورية العربية المتحدة عازمة على المطالبة بسحب قوات الأمم المتحدة نهائيا ، وفى هذه الحالة فأنى سألبى فورا الطلب الذى سترسله لى الحكومة المصرية فى هذا الصدد ، لأن هذه القـوات

استطاعت أن ترابط فى الأراضى المصرية بناء على اتفاقية بين الرئيس عبد الناصر وهمرشولد السكرتير العام للامم المتحدة • »

ويلاحظ أن تفسير أوثانت ترك للرئيس المصرى حيزا صغيرا للتراجع وقد تصرف السكرتير العام كما لو كان يريد ان « يضغط على يده » وأن يقوده طوعا أو كرها فى طريق تصعيد النزاع الذى لا بد أن يؤدى الى الحرب • ومن فى الواقع كان يجرؤ على تصور أن عبد الناصر كان يمكن أن يتراجع عن طلبه الخاص بسحب قوات الأمم المتحدة ، فى الوقت الذى كانت فيه الاذاعات العربية تتهمه بالقاء التصريحات الطنانة الجوفاء وبالجبن؟ ولكى يسكت عبد الناصر هذه الاتهامات التى أضرت بنفوذه فانه طلب فى يوم ١٦ مايو المشار اليه بأن تنسحب قوات الامم المتحدة « مؤقتا » الى مدينة غزة • وكان هذا هو المعنى الحقيقى لطلب مصر •

— فى يوم ١٧ مايو ، بينما لم ينتظر العسكريون المصريون فى مختلف نقاط سيناء انسحاب قوات الامم المتحدة لكى يحتلوا ثكناتها، بادر أوثانت فجمع فى مكتبه فى الساعة الرابعة بعد الظهر فى مكتبه بنيويورك ممثلى الدول التى زودت قوات الامم المتحدة بوحدات من جنودها ، وقال لهم نفس الكلام الذى سبق أن قاله للمندوب المصرى ، وأيد مندوبا يوغوسلافيا والهند اللذان تحتفظ حكومتاهما بعلاقات وثيقة مع الدول العربية وجهة نظر أوثانت • واقترح مندوبان آخران أن تتولى الجمعية العامة للامم المتحدة بحث الموضوع ، ولكن أوثانت لم يستمع لرأيهما ، فهو كان قد اتخذ قراره •

— فى يوم ١٨ مايو : وجهت اسرائيل الى السكرتير العام للأمم المتحدة تحذيرا قويا مهذبا ولكنه حازم فقد قال مندوب اسرائيل لأوثانت ان انسحاب قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة لا ينبغى أن يتم بناء على طلب من جانب الجمهورية العربية وحدها • وكانت الساعة حينئذ العاشرة والنصف صباحا فى نيويورك • وبعد ساعة ونصف من هذا المسعى سلم مندوب الجمهورية العربية المتحدة

لأوثانت خطابا من وزير الخارجية المصرية ، وكان هذا الخطاب يحوى طلبا رسميا بسحب قوات الأمم المتحدة وهو ما اقترحه السكرتير العام نفسه على الدبلوماسى المصرى قبل ذلك بيومين •

وحينئذ جمع أوثانت اللجنة الاستشارية لقوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة التى نص عليها فى عام ١٩٥٦ عند انشاء هذه القوات والتى يجب على السكرتير العام أن يأخذ رأيها فى حالة تقديم طلب بسحب هذه القوات • وتكرر المشهد الذى حدث قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة عندما جمع أوثانت ممثلى الدول التى لها وحدات فى قوات الأمم المتحدة فقد وافقت يوغوسلافيا والهند على الانسحاب ، بينما أعلن مندوب الدانمرك وكندا أن قرار سحب القوات ليس من اختصاص السكرتير العام وانما من اختصاص مجلس الأمن المنوط به المحافظة على السلام أو الجمعية العامة للأمم المتحدة وقد حاول أوثانت بالتأكيد أن يحترم الشكليات ولكنه لم يستمع الى هذين الصوتين اللذين كانا يجيزان من قبيل الحكمة سياسة التأجيل •

ولم تمض ساعتان على انتهاء اجتماع اللجنة الاستشارية حتى أرسل أوثانت رسالة الى محمود رياض وزير خارجية الجمهوريه العربية المتحدة عن طريق عوض القونى أبلغه فيها أنه يوافق على سحب القوات ــ وقد جاء فيها :

« لقد تمت الموافقة على طلب حكومتكم الذى ورد فى الرسالة التى وصلتنى منكم • وسأعرض على الجمعية العامة تقريرا كاملا عن هذا الموقف واعتقد أيضا أنه ينبغى أن أقدم تقريرا الى مجلس الأمن عن بعض جوانب الموقف الراهن فى المنطقة • »

وأضاف أوثانت : « ومهما تكن بواعث القرار الذى اتخذتموه فاسمحوا لى بالقول انه يسبب لى قلقا شديدا ••• »

وفى الساعة السابعة من مساء يوم ١٨ مايو عرف ، كما قالت شخصية أمريكية ، أول شخص مات فى الحرب : هو أوثانت نفسه

فقد عرض السكرتير العام للخطر بتصرفه المتسرع أى احتمال لتسوية دبلوماسية للازمة ووضع الجمعية العـامة ، وخاصة مجلس الأمن ، أمام الأمر الواقع •

وفى يوم ٥ يونية ١٩٦٧ بدأت الحرب الاسرائيلية العربية الثـالثة وبهذا وضع الرجل الذى يتصدر المنظمة المنوط بها ضمان السـلام العالمى رعايته الأدبية فى خـدمة الحرب نتيجة تصرفه المحزن وهكذا يبدو لنا اننا نستطيع أن نصف الاجراء الذى اتخذه بكثير من الحياء بانه كان « غلطة » ••

(ب) أوثانت موضع اتهام :

ان المشكلة الحقيقية التى كان يواجهها السكرتير العام هى كسب الوقت وحمل عبد الناصر على التزام الصبر ، بعد أن اضطر الرئيس المصرى الى طلب سحب جنود الأمم المتحدة للرد على سخرية الاذاعات العربية لتى كانت تتهمه بالتراخى والخيانة غير أن رغباته قد أجيبت بدرجة أكبر مما كان يتوقع •

ان هذا الانسحاب الشـامل لقوات الأمم المتحدة ترك فى الواقع الاسرائيليين والمصريين فى مواجهة بعضهم البعض ، وجعل اغلاق خليج العقبة أمرا لا يمكن تحاشيه ، حيث أن حرية الملاحة فى الخليج ووجود قـوات الطوارىء يعتبران مسـألتين مرتبطتين ببعضهما كمـا قال كريستيان بينو • فاغلاق الخليج كان يعنى الحرب !

ان رد الفعل الطبيعى لدى أى موظف حتى لو كان قـد ارتكب خطأ ، أو يشعر بضغط الأحداث هو أن ينتظروا « فتح مظلته » ، كما قال لنا السيد (ك) • فماذا فعل كبير موظفى الأمم المتحدة (أوثانت) ؟

ــ لقد استعجل بصورة لا تكاد تصـدق اجراءات سحب القوات وهل يمكن استبعاد أية نوايا سيئة أو أية أفكار مبيتة فيما يتعلق بما فعله أوثانت اذا عرف انه لم تمض سوى ثمان وأربعين سـاعة فقط

بين اللحظة التى علم فيها السكرتير العام بطلب مصر سحب قوات الأمم المتحدة عن طريق برقية أرسلها له الجنرال ريكى من غزة وبين اللحظة التى أمر فيها هذه القوات بالانسحاب بصورة فعالة !

وهناك دليل أفضل : فبعد أن تسلم أوثانت برقية الجنرال ريكى قائد قوات الطوارىء فى غزة بخمس وسبعين دقيقة فقط استدعى السيد عوض القونى ممثل مصر الدائم فى الأمم المتحدة واقترح عليه كما رأينا باسم الشكليات القانونية سحب قوات الطوارىء سحبا تاما !

ـ ولكن أوثانت لم يقنع باستعجال الأحداث بصورة غير ملائمة بل انه أغفل بوضوح طوال هذه الثمانى والأربعين ساعة العصيبة تحذير الأطراف الذين يهمهم الأمر باحتمال اغلاق خليج العقبة الذى كان يعتبر نتيجة منطقية وحتمية لانسحاب قوات الأمم المتحدة •

فهو يصرح بشىء فى هذا الصدد يوم ١٧ مايو عندما اجتمع مندوبو الدول التى لها وحدات فى قوات الطوارىء بمكتبه الخاص فى الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم • كما أنه التزم الصمت الغامض بشأن هذا الموضوع عندما اجتمعت اللجنة الاستشارية فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ١٨ مايو ١٩٦٧ •

ـ وعلاوة على ذلك ، وهنا نصل الى حدود غير المعقول ، فان السكرتير العام لم يقتصر على أن يغفل الادلاء برأيه علنا فى النتائج الحتمية لسحب قوات الطوارىء ، بل أنه تصرف دائما بما يفهم منه ان هذا القرار أصابه بدهشة بالغة ، كما لو كان حشد سبع فرق مصرية فى سيناء والطلب الذى قدمه عبد الناصر بسحب قوات الأمم المتحدة لم يكونا سوى سيناريو يمكن وقفه فى أية لحظة يراد فيها ذلك بمجرد ارضاء كبرياء العرب !

والواقع أنه عندما توقف أوثانت فى باريس يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ وهو فى طريقه الى القاهرة ، كان مسيو «ك» الذى استقبله فى مطار

أورلى هو الذى أبلغه بقرار مصر الخاص باغلاق خليج العقبة • وقد تظاهر السكرتير العام بالدهشة• وقال لنا مسيو «ك» فى هذا الصدد :

« لقد كانت الدهشة التامة تبدو على أوثانت بسبب اغلاق مضيق تيران وكان متضايقا جدا لأنه لن يستطيع الذهاب الى جينيف حيث توجد منظمته الاعلامية ••• بل انه كان يبدو أيضا متشككا فى صحة النبأ الذى أفضيت اليه به •••• ؟

وهذا التشكك سواء كان حقيقيا أو منطويا على التظاهر شيء لا يصدق على الاطلاق • اذ كيف يمكن تصديق دهشة السكرتير العام فى الوقت الذى كان ينبغى عليه فيه ، من الوجهة المنطقية التكهن بنتائج الأحداث؟

هذا فضلا عن أنه كان يجب عليه أن يكون على علم بوجود محضر فى أرشيف الأمم المتحدة بشأن الاتفاق السرى الذى عقد بين محمود فوزى وكريستيان بينو وهمرشولد •

ولكن كما قال لنا مسيو « ك » ، على فرض أن همرشولد قد أخفى كل أثر لهذا الاتفاق ، فان أوثانت كان يجب عليه رغم كل شيء أن يتكهن باحتمال اغلاق مضيق تيران منذ الساعة الخامسة والنصف يوم ١٦ مايو عندما وصل طلب مصر الى نيويورك • ولا يمكن على أى حال أن يكون قد بقى أى شك فى نفسه فى يوم ١٧ مايو فى الساعة الرابعة صباحا بتوقيت نيويورك ، أى قبل قبوله سحب القوات بأربع وثلاثين ساعة • والواقع انه فى هذه اللحظة قدم رئيس هيئة الأتصال المصرية رسالة الى الجنرال ريكى من رئيس هيئة أركان الحرب المصرية طلب منه فيها سحب الوحدات اليوغوسلافية المشتركة فى قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة الموجودة فى سيناء خلال أربع وعشرين ساعة وأعطى لقائد قوات الأمم المتحدة مهلة ثمان وأربعين ساعة لسحب القوة الموجودة فى شرم الشيخ ••••

وربما كان ينبغى أيضا على السكرتير العام أن يساوره الشك

عندما جاء ضباط مصريون فيما بين الساعة السادسة والساعة السادسة وعشر دقائق الى قائد موقع شرم الشيخ ليبلغوه أنهم جاءوا ليحتلوا موقع قوات الطوارىء فى رأس نصرانى (على بعد ١٥ كيلو مترا شمالى رأس الشيخ) وأنهم يطلبون ردا فى خلال ربع ساعة ، وان يدرك انهم فعلوا ذلك لأغراض أخرى ليس لها أية علاقة بمرور السفن الاسرائيلية فى مضيق تيران أمام أعلام الجمهورية العربية المتحدة بدل أعلام الأمم المتحدة .. !

ولكن أوثانت الهادىء الأعصاب لا يشك مطلقا فى أى شىء وهو فى نيويورك فى يوم ١٨ مايو المذكور ! لقد كان يرتشف حينئذ شرابه المفضل وهو كوكتيل مؤلف من الروم الأبيض والجن وعصير الليمون الاخضر لقد قال يوما « ان السكرتير العام للأمم المتحدة اذا كان ينبغى ألا يكون متحيزا ، فانه لاينبغى أن يكون محايدا » .

ويبدو بوضوح أن أوثانت له أفكاره الخاصة عن عدم التحيز .

فماذا يظن رجال السياسة عن مشكلة اغلاق المضيق الخطيرة ؟ لقد وجهنا اليهم السؤال التالى :

ـ ألا يعتبر سحب قوات الأمم المتحدة بهذه الصورة المستعجلة شيئا يستحق الاستنكار ، لاسيما وأنه يؤدى بالضرورة الى أقدام عبد الناصر على اغلاق مضيق تيران فى الوقت الذى أعلنت فيه اسرائيل ان اغلاق المضيق يعتبر بمثابة « اعلان للحرب » ؟

١ ـ لوى ترينوار :

« اننى سأجيب بالنفى لأن اغلاق المضيق كان شفويا ولم يطبق عمليا . وخير دليل على ذلك انه عندما وصلت طلائع القوات الاسرائيلية الى خليج العقبة لم تجد هناك أى أثر للحامية المصرية»[1]

(١) عندما وصلت القوات الاسرائيلية فى ٧ يونية ١٩٦٧ الى شرم الشيخ لم تجد هناك فعلا اى جندى مصرى . ولكن جميع أسلحة القوات المصرية التى لاذت بالفرار كانت موجودة هناك !! فاذا قيل بعد ذلك ، على ضوء هذه الظروف ، أنه لم يكن هناك جندى مصرى واحد فى شرم الشيخ مستعدلاغلاق مضيق تيران ، فان هذا القول يعتبر بمثابة ((تشويه)) للحقيقة .

والواقع أنه اذا كانت اسرائيل قد تعجلت فى التصرف فانها فعلت ذلك على اعتقاد ان الدول الكبرى سوف تتدخل ، وان الامريكيين سوف يبحثون الموضوع للتحقيق عما اذا كان الخليج مغلقا فعلا ، وذلك بارسال سفن حربية لحراسة قافلة اسرائيلية تمر فى مضيق تيران • وعندما نشبت الحرب كان هناك اتفاق بين الفرنسيين والانجليز والأمريكيين على تمرير سفينة اسرائيلية فى المضيق تحت حماية المدافع الامريكية ••

« ولكن هل تستطيع دولة فى براعة اسرائيل ان تسمح لنفسها بالاعتقاد أن عبد الناصر كان يهدف الى « التهويش » ؟ أجل بالتأكيد اذ ينبغى دائما أن تتذكر ان اسرائيل لديها أحسن جهاز مخابرات فى العالم • ألم يصرح الجنرال رابين ذاته لمراسل صحيفة لوموند عندما عين فى منصبه كسفير لاسرائيل فى واشنطن • « اننا نعرف تماما أن عبد الناصر لم يكن يريد الحرب ؟• ان الاسرائيليين هم الذين كانوا يريدون الحرب وقد أرسل سفير فرنسا فى تل أبيب مذكرات عديدة الى حكومته قال فيها :

« خذوا حذركم ، ان الاسرائيليين يريدون الحرب فى هذا العام بأى ثمن ••• »

وهذا هو السبب فى أن الجنرال ديجول الذى كان يعرف مجريات الأمور لم يتردد فى تحذين الاسرائيليين • ولو كانت الدولة اليهودية بريئة حقا ، ولو لم تكن لديها نوايا خفية سيئة ، لاعتبرت تدخل رئيس الجمهورية الفرنسية فى هذا الصدد بمثابة اهانة لها !•

« وعلى أى حال فانى لا أعتقد انه يمكن القول ان فرنسا لم تكن مستعدة لتأكيد الصفة الدولية لمياه خليج العقبة • لقد كنا على وشك اعادة تأكيد تعهداتنا عندما هاجمت اسرائيل مصر[1] » •

---

(١) ينبغى القول ان الحقيقة مختلفة من ذلك تماما . فعندما وصل ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية الى مكتب الجنرال ديجول يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ قال له رئيس الدولة الفرنسية : « لن فرنسا لا ترى فى اغلاق ابق تيران ما يمكن اعتباره بمثابة عمل من اعمال الحرب)) أما التعهد الذى اتخذته فرنسا تجاه اسرائيل فى عام ١٩٥٧ فانه كان يعتبر فقط من العلاقات الودية التى كانت قائمة بين الدولتين عقب ازمة السويس ولا يمكن ان يفسر اليوم بانه يعنى تقديم مساعدة فعالة لاقتحام الحصار المصرى !!!)).

« ولكن هناك ناحية من المشكلة تلاقى الاهمال فى معظم الأحيان • ذلك انه من المفيد معرفة الى أى حد أدى اغلاق ، ليس خليج العقبة وانما قناة السويس ، الى خدمة المصالح الأمريكية خدمة كبيرة ، والواقع أن اغلاق القناة كان بمثابة ضربة رهيبة لمصالح أوربا الغربية وكذلك الى المصالح الروسية ••• »

٢ ـ ميشيل حبيب ـ دولو نكل :

فى الواقع ان أحدا لم يقل بوضوح تام ان اغلاق مضيق تيران يعتبر عملا من أعمال الحرب«[1]» • ولكن كان من الأفضل من الوجهة السياسية ، كما سبق أن قلت ، لو كان أوثانت قد سعى لاطالة أمد المفاوضات وحينئذ كان يمكن أن تكون هناك فرصة لتحاشى الحرب ••• »

٣ ـ كريستيان بينو :

يبدو لى انه من المستحيل أن يكون أوثانت لم يتكهن باحتمال اغلاق خليج العقبة ، والا فانه يصبح حقا أقل من مستوى مسئولياته ان مالم يستطع التكهن به فى رأيى هو المرحلة الثانية ، أى رد الفعل الجاد من جانب اسرائيل • لقد كان يظن أن موقفها سيؤدى الى اجراء مفاوضات: وهذه هى الصورة التى رسمها له الاتحادالسوفيتى

ولكن هل كان اوثانت يملك الوسائل التى تتيح له تأجيل انفجار الموقف ، على افتراض انه كانت لديه النية لعمل ذلك ؟ وهل كان يستطيع أن يجد نصا يسمح له غموضه بكسب بضعة أيام أخرى تتيح للدول الكبرى الاستفادة منها لمحاولة ايجاد حل سياسى للأزمة ؟

---

(١) ان الحقيقة تظهر عكس ذلك تماما فعندما اعلن وزير خارجية اسرائيل وهو يتحدث باسم حكومته فى الجمعية العامة للامم المتحدة ، فى شهر مارس ٥٧ ١ ، ان بلاده تقبل سحب قواتها من غزة ومن شرم الشيخ ، احاط قبول سحب القوات بشروط معينة ، وقال فى هذا الصدد :

((ان اسرائيل تحتفظ بحق الدفاع بالقوة من حرية ملاحة سفنها)) •

ينبغي الرد بالايجاب . بل انه من الممكن أيضا ، على مايبدو الاعتراف بأن النصوص تحتم ، عن طريق وسائل عديدة ، ايجاد هذا الحل الدبلوماسي الذى رفضه عمدا .

ان الجميع متفقون على القول أن النصوص والوثائق كانت تحبذ على الاقل استشارة الجمعية العامة للامم المتحدة التى سبق أن قررت ارسال قوات الطوارىء الى الشرق الاوسط فى عام ١٩٥٦ ، بل والرجوع الى مجلس الامن الذى وان كان لم يتدخل اثناء انشاء قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة الا انه صدق على ذلك ، هذا فضلا عن انه يعتبر جهاز الامم المتحدة المسئول عن السلام فى العالم. وقد قال لنا كريستيان بينو فى هذا الصدد مايلى :

لقد كان ينبغى على اوثانت أن يأخذ رأى مجلس الامن . حقيقة ان ارسال قوات الطوارىء الى الشرق الاوسط قد تقرر بواسطة الجمعية العامة ، ولكن اذا كان مجلس الأمن لم يصدق رسميا على اتفاق مارس ١٩٥٧ فانه على الاقل أيده أدبيا ، وعلى أى حال فان أوثانت قد تجاوز سلطاته الى حد كبير عندما اتخذ وحده قرارا بسحب قوات الطوارىء ..

ولكن هل هناك نصوص تؤيد ذلك ؟ نعم ، وفيما يلى بعضها :

ـ هناك « اتفاقية حسن النية » التى تقر الاحتفاظ بقوات الطوارىء « حتى تنتهى من مهمتها » وهذه الاتفاقية كانت تسمح لاوثانت دون أقل شك فى الاعتراض على طلب عبد الناصر بشأن سحب هذه القوات . ولاشك أنه توجد حجج قانونية فيما يتعلق بالمدى الحقيقى الذى يمكن أن يقرن بهذه الاتفاقية . ولكن غموضها كان كافيا لاتاحة الفرصة لكسب بضعة أيام وبالتالى لكسب السلام .

وهذا القول صحيح بدليل أن السكرتير العام ذاته ذكر السيد القونى فى الساعة الخامسة والنصف مساء يوم ١٧ مايو ١٩٦٧ بوجود هذه الاتفاقية ولاشك أنه فعل ذلك لكى لايلومه أحد بعد ذلك بأنه

أغفل الاشارة الى هذه الاتفاقية . ولكن أوثانت فى هذه اللحظة كان قد اتخذ قراره منذ وقت طويل ، وكان تصرفه فى هذا الصدد يرجع الى البراعة فى المناورة اكثر مما كان يرجع الى تأنيب الضمير .

ـ ولكن اذا أمكن القول أن أوثانت قد استطاع بشىء من البراعة القانونية أن يستخرج من « اتفاقية حسن النية كل مايمكن أن يؤيد وجهة نظر عبد الناصر فى طلبه الخاص بسحب قوات الطوارىء ، فانه كان ينبغى أيضا الاعتراف بأنه لم تكن هناك نصوص أخرى ، للتخفيف من الاتهام الموجه الى أوثانت ، تسمح له بتأجيل البت فى هذا الموضوع ، ان لم يكن الاعتراض عليه ، ولكن الحال لم يكن كذلك .!

والواقع أن مسيو همرشولد كان قد حرر « مذكرة فى شهر أغسطس ١٩٥٧ ، وقد أوضح فيها أنه فى حالة ما اذا طرأ خلاف بين السكرتير العام للأمم المتحدة وبين الحكومة المصرية « فانه ينبغى احالة الموضوع فى الحال على الجمعية العامة » .

ولكن أوثانت تجاهل عمدا هذه الوثيقة التى و ان لم تكن تعتبر وثيقة رسمية الا انها كانت تسمح له على أى حال بتوخى الأناة والصبر كما أنه أغمض أيضا عينيه عن وجود مستند آخر حرره مسيو همرشولد فى شهر اكتوبر ١٩٥٨ وأعطاه هذا العنوان الفخم « دراسة موجزة حول التجربة المستفادة من انشاء وعمل قوة الطوارىء » والفقرة ١٥٨ من هذه الوثيقة تؤكد بصفة خاصة الطابع التعاقدى لقبول عبد الناصر وجود قوات الطوارىء فى الأراضى المصرية ، وتنص على أنه « اذا تصرف أحد الطرفين من جانب واحد ورفض بقاء هذه القوات أو قرر سحبها ، ورأى الطرف الآخر ان هذا الموقف يتناقض مع تفسير أهداف العملية ، فانه يجب الشروع فى تبادل (وجهات النظر) بقصد التوفيق بين الموقفين » .

ان أقل مايمكن قوله هو أن هذا التبادل لوجهات النظر لم يحدث فقد كان أوثانت خاضعا منذ أول لحظة ، أو بالاحرى ، مشجعا لمصر

فى طلب سحب قوات الطوارىء ، والاتهام الموجه الى أوثانت فى هذا الصدد تدعمه أسباب قوية •

ما هى الظروف المخففة التى يستطيع السكرتير العام للامم المتحدة أن يستند اليها ؟ لقد قال فى هذا الشأن : « لقد استشرت كل هؤلاء الذين فرضت على الوثائق ان استشيرهم • فلنشهد الآن الطـريقة الغريبة التى تمت بها هذه الاستشارات » ••

لقد استشار أوثانت اللجنة الاستشارية لقوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ، وهو ماكان ينبغى عليه عمله • واستشار أيضا ممثلى الدول السبع التى كان لها وحدات فى هذه القوات ، وهذا ما لم يكن ملزما بعمله ولكننا رأينا كيف أن السكرتير العام « قد فرض » فى كلتا الحالتين خلال الاجتماعات الحل الذى أراده ، وكيف فرض الأمر الواقع على اللجنة الاستشـارية التى لم يكن أحد يعرف بالضـبط الشخصيات التى كانت تتألف منها ، والتى كانت غير مستعدة بسبب ذلك لممارسة مسئولياتها ، أى للمطالبة بدعوة الجمعية العامة للامم المتحدة للانعقاد •

لقد اتهم أوثانت أيضا بأنه لم يستشر الدول الكبرى التى كان من الممكن بما تمارسه من ضغوط ان تحل الازمة ، ولكن يبدو أن هذا اتهام ظالم • فقد استشار أوثانت دولة كبرى هى : الاتحادالسوفيتى وهى الدولة الوحيدة ، التى لم يكن لها مصلحة فى أن تهدأ الأمور فى الشرق الاوسط والتى ، اذا كانت لاتريد الحـرب ، فهى تريد على الاقل حدوث توتر ••

لقد أكدت لنا مصادر عديدة ان هذه الاستشارات كانت قاصرة على ناحية معينة بالذات ، ومن هذه المصادر مسيو « ك » المسئول الكبير بوزارة الخارجية الفرنسية الذى أشرنا اليه من قبل ، فقد قال : انه من « المؤكد » أن السكرتير العام للأمم المتحدة قد أجرى فى نيويورك خلال الأزمة اتصالات مع السفارة السـوفيتية وأن ثمة « احتمالا

قويا » بأنه اجتمع مع شخصيات سوفيتية مسئولة يوم ٢٠ مايو فى دولة محايدة ..

واليك ماقاله لنا كريستيان بينو عن هذه الاستشارات المجزأة :

« واذا كانت استشارات أوثانت قد اقتصرت على أطراف معينة بالذات فان هذا يرجع الى أنه كان قد اتخذ قراره قبل أن يشرع فى اجرائها ! » . ولكن ليس من المستبعد أن يكون عبد الناصر قدسأل أوثانت « قبل حرب الأيام الستة » بعامين أو ثلاثة أعوام اذا كان يقبل سحب قوات الطوارىء فى أى يوم يطلب فيه ذلك ، ومن المحتمل أن يكون السكرتير العام للأمم المتحدة قد التزم فى هذا الوقت تجاه الحكومة المصرية بتعهد فى هذا الصدد .. .

ولما كان الاتحاد السوفيتى يعتبر أفضل حليف لمصر فقد كان من المنطقى أن يطلب منه أوثانت النصيحة ، ولكن سواء حدث هذا التعهد السرى أم لم يحدث فانى مقتنع بأن الاتحاد السوفيتى وأوثانت كانا أول من دهش لعنف الرد الاسرائيلى . فقد كانا يعتقدان أن اسرائيل سوف تذعن وأنه سيكون من الممكن فرض تسوية عليها .. ولكن اللعبة التى لعباها فشلت فشلا ذريعا ..

ولكن هناك شخصا لم يكن السكرتير العام للامم المتحدة يتردد مطلقا فى أخذ رأيه فى المسائل الهامة ، وهو مدير مكتبه : نراسيمهان .

لقد كان أوثانت لايهتم بالمسائل غير السياسية ، وكان معروفا ان نراسيمهان الهندى يمارس سلطة مطلقة على موظفى الأمم المتحدة الدائمين الذين يبلغ عددهم ٦١٠٠ ويشرف اشرافا تاما على ميزانية الامم المتحدة التى تبلغ عدة عشرات الملايين من الدولارات ، كما أنه وضع على رأس كل جهاز رئيسى من أجهزة هذه المنظمة الدولية موظفا هنديا ، وكان يمارس على أوثانت تأثيرا كبيرا للغاية .

وفى خلال أزمة مايو ١٩٦٧ كان من دواعى ابتهاج نراسيمهان ان يمارس هذا النفوذ لكى ينفذ السكرتير العام رغبته بشأن سحب قوات الأمم المتحدة وكان يسعده شخصيا أن تهزم اسرائيل .

والواقع أن هناك نوعا من « المؤامرة الهندية » الدائمة ضد الدولة اليهودية . ان أحدا لايعرف ذلك ، ولكن التاريخ سيتكفل بايضاح الأسباب التى جعلت الهند تقف دائما ضد اسرائيل ، سواء على المسرح[1] الدولى أو فى مناطق أكثر غموضا وعن طريق تأثيرات خفية من قبيل تأثير نراسيمهان مثلا ..

وحاول السكرتير العام بعد فترة من الوقت أن يبرر موقفه فى وثيقة نشرت بعد حرب يونية ١٩٦٧ ، وقد أشار فيها الى « الاعتبارات العملية » التى فرضت نفسها على قراره . ولكن هذه الحجج « العملية » تبدو ضعيفة الى درجة أنه من الصعب على من يريد تحديد المسئوليات أن يقاوم اغراء التحدث عن هذه الحجج بايجاز :

ــ قال أوثانت : « ليس من المنطقى لمجرد أن قوات الطوارىء نجحت فى المحافظة على الهدوء على الحدود بفضل تعاون السلطات فى الجمهورية العربية المتحدة الى حد كبير أن يقال لهذه الحكومة انها لاتستطيع المطالبة من جانب واحد بسحب هذه القوات « ومعاقبتها » بهذه الطريقة لانها تعاونت « طويلا » مع المجموعة الدولية من أجل مصلحة السلام » .

وهذا القول يكشف ، كمال قال أحد الناقدين ، مغالطتين : ــ

١ ــ ليس هناك محل لشكر مصر لانها تعاونت « طويلا » مع المجموعة الدولية لان عبد الناصر لم يحدد مطلقا ، كما قال فيما سبق كريستيان بينو ، وقتا محددا لبقاء قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة غير الوقت اللازم لاعادة السلام بين القاهرة والقدس .

---

(١) لقد اقترعت الهند ضد مشروع التقسيم فى عام ١٩٤٧ ، وفى عام ١٩٥٦ أيدت تأييدا تاما موقف مصر ضد اسرائيل . وفى عام ١٩٥٧ حاولت من طريق كريشنا مينون ممثلها فى الامم المتحدة اشاعة الغموض فى الاتفاقيات التى تمت بين مصر والامم المتحدة وفى مايو ١٩٦٧ وافقت الهند فى اللجنة الاستشارية على سحب قوات الطوارىء ، لم بادرت الحكومة الهندية فى الحال الى سحب الوحدة الهندية من قوات الطوارىء ، وفى نوفمبر ١٩٦٧ اعلنت الهند انها لا تهتم كثيرا باشتراك اسرائيل فى اية محاولة لتسوية الازمة ، بينما كانت تعلن دائما وخاصة اثناء نزاعها من باكستان ضرورة موافقة الاطراف المتنازعة على اية تسوية سياسية تضعها الامم المتحدة .

٢ ـ ان السكرتير العام بقوله ان رفض سحب قوات الطوارىء يعتبر بمثابة معـاقبة الحكومة المصرية انما يعترف ضـمنا بأن الأمر الذى أصدره بسحب هذه القوات يعتبر مكافأة على حسـن نوايا سلطات القاهرة ، وبعبارة أخرى فان السـكرتير العام يعترف بأن الحرب (وهى النتيجة الحتمية لانسحاب القـوات) هى المـكافأة المنطقية لقبول الهدنة !!

أى كان أوثانت يريد أن يقول لمصر بمنطقة الشاذ المثير للدهشة : « بما انكم سمحتم لى بأن أمنعكم من اعلان الحرب لمدة عشر سنوات فانى أمنحكم كمكافأة على رجاحة عقلكم ، حق مهاجمة اسرائيل » •

ـ وقد كتب أوثانت فيمابعد وهو يواصل تبرير موقفه : «•• منذ اللحظة التى تقدمت فيها قوات الجمهوربة العربية المتحـدة الى خط الحدود لكى تصبح مباشرة فى مواجهة القوات العسكرية الاسرائيلية لم يعد هناك فى الواقع أى دور مفيد تستطيع قوات الطـوارىء أن تؤديه •• ان دور هذه القوات هو المحافظة على السلام وليس ممارسة عمل ينطوى على القهر والارغام •• »

وهنا يتناقض السكرتير العام مع حججه السابقة : فالواقع أن أحدا لم يزعم أن قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة المولفة من ٣٤٠٠ رجل تستطيع أو يجب عليها أن تقاوم أى عمل تقـوم به القـوات المسلحة النظامية المصرية ، ولكن نظرا الى أن دور قوات الطوارىء هو الوجود ، والوجود « المؤثر » حيث انها تمثل مجموع الأمم ، فانه كان ينبغى عليها البقاء فى مكانها لكى توفر لعبد الناصر العذر الذى كان ينتظره فى عدم شن الحرب •

ان مصر لم تكن لتجرؤ مطلقا على أن تمر فوق جثث جنود قوات الطوارىء لأن هذا كان سوف يعتبر تحديا للمجموعة الدولية ، وهو شىء لم تكن لتتسامح ازاءه أية دولة • ولو ظلت قوات الطوارىء رابطة فى موطن النزاع بضعة أيام أخرى لاتاحت للدول الكبرى بدون

شك الفرصة لممارسة ضغوطها واجراء مشاورات والعمل على حل الازمة •

وهكذا فان الزعم بأن قوات الطوارى التابعة للامم المتحدة لم يعد أمامها أى دور تلعبه لأن دورها كان قاصرا على المحافظة على السلام ، يعتبر مجافيا للمنطق ذاته ، والواقع أنه مادام دون هذه القوات كان هو المحافظة على السلام فان هذا يعنى أنه كان لديها دور تقوم به •

ــ وقد ختم أوثانت « تقريره السيء النية » بهذه العبارات :

« لقد أدى الطلب الذى قدمته مصر بسحب قوات الطوارىء الى تفكك هذه القوات تلقائيا ، فقد بادرت حكومتان لهما وحدات فى هذه القوات بابلاغ أوثانت انهما ستسحبان وحداتهما منها •• »

هذا ونكتفى بأن نكرر هنا الحقائق التالية : ــ

ــ ان الأهمية العددية لقوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة كانت حجة واهية فى هذا الموضوع •

٢ ــ ان الدولتين اللتين أعلنتا أنهما ستسحبان قواتهما هنا الهند ويوغوسلافيا وهما دولتان تربطهما بمصر علاقات وثيقة معروفة للجميع •

٣ ــ فى أثناء اجتماع اللجنة الاستشارية كانت هاتان الدولتان هما الوحيدتان من بين أعضاء اللجنة اللتان وافقتا على قرار السكرتير العام بسحب قوات الطوارىء •

ان مثل هذه المغالاة فى المحاباة من جانب أوثانت تثير الدهشة وقبل أن نعرض وجهات نظرنا الخاصة بشأن الاسباب العميقة التى أوحت له باتخاذ هذا الموقف وجهنا السؤال التالى الى عدد من كبار السياسة للادلاء برأيهم فى هذا الصدد :

ــ كيف نفسر السرعة المذهلة التى وافق بها أوثانت على الطلب الذى تقدمت به مصر لسحب قوات الطوارىء ؟

١ ـ السفير جلبير :

ان أوثانت لم يكن له حتى من الوجهة القانونية الحق فى أن يأمر بسحب قوات الطوارىء • ان هذا يعتبر بمثابة وضع الأمور فى غير وضعها الصحيح •

لقد كان له الحق فى ذلك بصفته سكرتيرا عاما للامم المتحدة ولكن مـا كانت هناك اتفاقية تم التفاوض بشأنها وتوقيعها بين سلفه همرشولد وبين عبد الناصر وصدقت عليهـا الجمعية العـامة للأمم المتحدة ، فان أقل ماكان ينبغى على أوثانت أن يفعله هو أن يحيل الموضوع الى الجمعية العامة أو الى مجلس الأمن ، لما كان التعيين لمنصب السكرتير العام يتوخى ارضاء الجميع •• فاننا نصل بالضرورة الى اسناد هذا المنصب الى بلهاء بالمعنى الكامل للكلمة •• وسيكون السكرتير القادم اسوأ من سابقه •

لابد أن أوثانت تساءل فى لحظة معينة عما كان يمكن أن يحـدث اذا رفض أن يصدر أوامره بسحب جنود الأمم المتحدة وتخيـل أنه يتحمل مسئولية زحف القـوات المصرية فوق جثث هؤلاء الجنود ، أو يرى جنوده اليوغوسلافيين فى شرم الشيخ وقد بقرت بطونهم •

٢ ـ ريمون تريبوليه :

اعتقد شخصيا أن سحب القوات كان عملا ينطوى على الخـوف فى مواجهة سياسة كانت تهدد بأن تتحول الى حرب ربما يتسع نطاقها وتتخذ أبعادا عالمية ، فالخطوة التى قام بهـا أوثانت كانت تعنى انه « سحب أوراقه من اللعب » ••

ولكنى لا أفهم ، على صعيد السياسة الكبرى ، السبب الذى دفعه الى اتخاذ هذا القرار • لقد فعل ما استطاع أن يفعله أو ماكان يعتقد أنه يستطيع ولكنه تعرف أنه لم تساورنى عن أوثانت فكرة انه بطل •

٣ ــ لوى ترينوار :

انى أعتقد ان القرار الذى اتخذه السكرتير العام والذى وصف مرارا فى هذا الوقت بأنه قرار غير سليم انما كان حدثا واحدا ضمن سلسلة من الاحداث ، وانه لم يكن سوى عذر تشبثت به اسرائيل .

ان جميع المعلومات تشير فى الواقع الى أن الاسرائيليين وقد أحسوا بالخطر عند حدودهم ، من جانب ، وبالرغبة من جانب آخر فى الحصول على « مزيد من الاوكسيجين » أى توسيع رقعة أراضيهم الوطنية ، فانهم حاولوا فى النصف الأول من عام ١٩٦٧ توجيه ضربة كبيرة للعرب .

وهذا القول صحيح بدليل أن الجنرال ديجول حذرهم مرتين من أن يكونوا البادئين بالقتال ، ولكنهم لم يأبهوا لهذا التحذير ، وقد أصبح العالم كله يعرف ، بصراحة ، انهم المعتدون ..

٤ ــ دافيد روسيه :

ليست لدى معلومات خاصة عن هذا الموضوع ، ومع ذلك فانه يمكن تصوير بعض الاقتراحات . فربما كان السكرتير العام لم يشأ اقحام الامم المتحدة مباشرة فى حوادث كانت جميع الدلائل تشير الى انها خطيرة ، وربما كان متشككا فى قدرة قوات الطوارىء الموجودة فى المنطقة على منع وقوع أية مصادمات بين الاسرائيليين والمصريين . وأخيرا فانه من الجائز أن سحب القوات كان وسيلة قصد بها تحذير الدول الكبرى ، وذلك أنه عندما اذعن أوثانت لرغبات عبد الناصر فانه كان يقصد أن يقول لهذه الدول : خذوا حذركم . ان المهمة التى طلب من الامم المتحدة القيام بها أصبحت مستحيلة ،وانا سأسحب رجالى لتحاشى وقوع أى حادث . ان الموقف متفجر ، وعليكم انتم أن تقوموا بواجبكم .

ان السكرتير العام للامم المتحدة لايمثل فى الواقع شيئا عندما

تصبح الدول الكبرى غير متفقة فيما بينها ، وهو لايملك حينئذ الا أن يعرب عن الأمانى المتسمة بالتقوى والورع أو عن الاحتجاج لدى الرأى العام الدولى • ان الأمم المتحدة ليس لها وجود • ان هـذه المنظمة ليس لها وجود الا بصفتها برلمان كبير يتكلم فيه الأعضاء دون أن يقرروا شيئا أو يعملوا شيئاً • وعندما تقوم المنظمة بعمل يتسم بالفعالية فان هذا يعنى انها أصبحت أداة لتنفيذ اتفاق بين الامريكيين والسوفيت • هذه هى المشكلة الحقيقة •

٥ ــ ميشيل حبيب ــ دلونكل :

اننى أعتقد أن أوثانت شخصية جديرة بالتقدير التام وانه ، فى هذه المسألة عمل بصفة أساسية من أجل السلام ، وربما يكون السكرتير العام قد ارتكب فى المناورة ، وكل رجل عرضة للخطأ ، ولكن نزاهته لايمكن أن تكون موضع شك •

والواقع أنى أعتقد أنه تصرف على أساس قانونى ، وقد دافع عن قضيته فى الأمم المتحدة ، بناء على ذلك عندما قال ان وجود قوات الطوارىء يخضع لموافقة الدولة التى يرابطون فى أراضيها • وهذه الحجة تبدو سليمة جدا بالنسبة لنا ، نحن الذين نعارض وجـود سلطة تهيمن على سلطة الحكومات • ان الأمم المتحدة ليست لها سلطة تفوق الحكومات الا فى حالات ــ استثنائية وبناء على قرار من مجلس الأمن ، ولكن فى أزمة مايو ١٩٦٧ لم يكن هنـاك قرار من مجلس الأمن ، وعلى هذا فان السكرتير العام للأمم المتحدة كان هو صاحب السلطة فى ابقاء أو سحب قوات الطوارىء ، ومنذ أن طلبت الجمهورية العربية المتحدة سحب هذه القوات لم تعد هناك أية وسيلة قانونية تسمح برفض هذا الطلب •

ومع هذا فأنى اعترف أنه كان من الأفضل ، على الصعيد السياسى لو كان أوثانت قد رأى الدول الكبرى ، ولم يتصرف وحده • لقد كان ينبغى كسب الوقت •

هذا وينبغي الاعتراف رغم كل شيء بأن الفكرة القائلة ان السكرتير العام يتولى مهمة خاصة هي فكرة لها أهميتها .

وباختصار فاني أقول انه كان من حق أوثانت ان يتصرف وحده ولكنه أخطأ لانه لم يأخذ رأى أحد ، وعلى أى حال فان أحدا لايعرف ماهى الضغوط التى تعرض لها فى هذا الوقت ..

٦ ــ كريستيان بينو :

اننى لا أحب كثيرا أن أبنى اقتراحات . ومن رأيى أن أوثانت كان يتخذ فى كثير من الاحيان عكس الموقف الذى كان يتخذه همرشولد وربما كان السكرتير العام لايريد أن يظهر بمظهر الذى يعترف بالوسائل التى كان يستخدمها سلفه ، وخاصة فى مجال الدبلوماسية السرية .

لقد قال لى همرشولد ذات يوم : عندما تبرز أمامى مشكلة صعبة فى العالم فانى انسج الخيوط حولها ثم أغزلها بحيث لايمكن فهم شيء فيها أو التعرف على كنهها .

وهكذا فانه من المحتمل عندما طلب عبد الناصر من أوثانت أن يأمر بسحب قوات الطوارىء أن تبادر الى ذهن السكرتير العام أن الاتفاقية السرية التى عقدها همرشولد مع مصر لم يعد لها قيمة .

ولكن هل كان يريد أن يلعب لعبة أمريكية أو لعبة سوفيتية ؟ لا أعتقد أنه كان يريد شيئا من هذا القبيل ولكنه مع ذلك قد ارتكب غلطة سياسية .

ومن المحقق أن أوثانت لايشعر بأى تعاطف مع اسرائيل ، بينما هو يشعر على العكس ، بالميل نحو العالم العربى . هذا فضلا عن أن حاشيته تدفعه فى نفس الاتجاه ..

ان المراقب السياسى الذى يجد نفسه أمام الاحداث التى سبق وصفها مضطر الى التساؤل والاحساس بالتردد أمام افتراض : هل

أوثانت رجل يفتقر الى الكفاءة ، أم انه على العكس قد لعب « لعبة» تتسم بالعمق والميكافيلية ، وان كانت أيضا تستحق اللوم ؟ .

ـ ان أوثانت الذى داهمته الاحـداث قد صـدق « تهويش » عبد النـاصر وخيل اليه أن الشرق الاوسـط سيسقط فى اتون النار ولهذا شعر بأن الأحداث قد « تجاوزته » وانها قد أفلتت من سيطرته تماما : فقد تصور أن جنود قوات الطوارىء ستعرضون لبقر بطونهم على يد قوات عبد الناصر المختارة الزاحفة نحو تل أبيب بخطـوات رتيبة ..

وقد نسى أوثانت وهو فى حالة الذهول التى غشيته أن رحيل قوات الأمم المتحدة من شرم الشيخ سيرغم عبد الناصر ، تحت تأثير ضغط الرأى العام العربى ، على اغلاق خليج العقبـة . ومن المحقـق أن الوثائق والاتفاقيات التى عقدت بين الأمم المتحدة وعبد النـاصر فى عام ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ لم تكن لتسمح للسكرتير العام للأمم المتحـدة بأن يتصرف تحت مسئوليته وحده ، ولكن الاوراق « حمار » جيد ولابد ان القانونيين المعتمدين لدى الأمم المتحدة كانوا سيجدون فيها فقره أو « شولة » تؤيد قرار سحب القوات . وكان ينبغى العمـل بسرعة . وقد هرع الدبلوماسى البورمانى (يقصـد أوثانت) نحو قاعة البرقيات الملحة بالأمم المتحدة لكى يرسـل رده بالموافقة الى عبد الناصر ، وقد تقابل عرضا فى المصعد مع عضو مسئول فى الوفد السوفيتى وطلب منه النصيحة . وبعد أن تردد المسئول السـوفيتى طويلا بين فكرة قبول سحب القوات وفكرة رفض سحبها أعرب عن تأييده للفكرة الاولى . وعندئذ شعر أوثانت بالاطمئنان وبعث برده الى عبد الناصر ..

وهكذا خيل « لدالاديه »[1] المنظمـة الدولية أنه تحاشى وقوع حرب وانقذ جنوده اليوغوسلافيين .

---

[1] السياسى الفرنسى الذى استسلم لطلبات هتلر بقصد تحاشى وقوع الحرب (المترجم)

ان هذه الاحداث التى تطابق تقاليد هوليوود • تبدو غير مقنعة تماما للعقل • و « قيام » الأيام الثلاثة الذى مثله السكرتير العـام للأمم المتحدة والتفسيرات التى أعطيناها له لاتطابق تماما السيناريو الذى وضع للفيلم • وينبغى البحث عن الحقيقة فى مكان آخر •

ـ الواقع أن سحب قوات الأمم المتحدة لم يكن عملا ارتجاليا لم يتم التفكير فيه ، أو أنه كان نتيجة البلبلة التى صاحبت الأحداث ، أو حدث بسبب عدم الكفاءة • فالثقة التى اتسم بها تصميم أوثانت تجاه أحداث مايو ١٩٦٧ لاتترك دنى شك فى هذا الصدد ••

ان البعض يزعمون أن أوثانت قد لعب اللعبة الأمريكية ، أى أنه أدى الدور الذى كانت تريده الولايات المتحدة التى أفزعتها فكرة ان يلجأ الخصوم القابضون على جانبى الحدود فى سيناء الى استخدام السلاح فى أية لحظة فكلفت السكرتير العام للأمم المتحدة أن يسحب قوات الطوارىء من المنطقة بقصد احباط « تهويش » عبد الناصر •

ان كل ما قلناه عن المحادثات الر سمية وشبه الرسمية التى أجراها الدبلوماسى البورمانى أثناء الأزمة يستبعد مثل هذا الافتراض ، واذا كانت هناك كتلة لم يفكر أوثانت مطلقا فى محاباتها بالنسـبة للكتلة الأخرى فهى الكتلة الغربية التى كانت أمريكا تعتبر فى نظره التجسيد المخيف لها •

فهل معنى ذلك أن السكرتير العام للأمم المتحدة كان يلعب بالورقة السوفيتية (أى ينفذ رغبات السوفيت) ؟ ان التواطؤ بين الاتحـاد السوفيتى وأوثانت ، كما رأينا ، لم يكن موضع شك مطلقا •

ولكن الاتحاد السوفيتى الذى لم يكن يريد سوى حدوث توتر فى الشرق الاوسط وليس نشوب حرب ، قد وجد السكرتير العـام للأمم المتحدة يحقق له أكثر مما كان يشتهى ويبادر الى تسهيل سحب قوات الطوارىء طبقا لرغبة عبد الناصر ، ولكن موسـكو ، حليفة عبد الناصر المفضلة ، رأت أن أوثانت قد سار فى الشوط الى « أكثر مما كان ينبغى » •

وكان هناك ثلاثة « أسباب وجيهة » على الأقل دفعت أوثانت الى التصرف على هذا النحو :

١ ــ ان أوثانت يجهل كل شيء عن أفريقيا فضــلا عن أنه قليــل الاهتمام بالشرق الأوسط • أن حلمه الأكبر هو أن يجد حلا لازمة الهند الصينية ، ويلاحظ أنه فشل فى هذا المجال • وعلى هذا فانه من السهل ادراك أن الأمل فى حدوث توتر فى الشرق الأدنى تثير ابتهاجه ، وان كان لايمكن أن يكون قد فاته أن مثل هذا التوتر قد يتحول الى حرب ساخنة •

وقد كان السكرتير العام للأمم المتحدة يرمى الى جعل هذا التوتر « خراج » يستخدمه فيما بعد لربطه بالمشكة الفيتنامية لجر الامريكيين نحو مائدة المفاوضات ، وبعبارة أخرى فان أوثانت كان يعتقــد انه طالمــا ظل عبد الناصر يبدو فى مركز القوة فى الشرق الاوسط (سواء فى جويسوده التوتر أو بفضل انتصار الســلاح لأن العالم كله كان يعتقد حينئذ أن الحرب سوف تسفر عن انتصار العرب) فانه سيكون من السهل حمل الولايات المتحدة على التراجع فى فيتنام وذلك مقابل حمل عبد الناصر على التراجع فى الشرق الاوسط •

وقد تراجع عبد الناصر فعلا ، كما هو معروف ، ولكن تراجعه كان بسبب ضغوط أخرى تختلف عما كان يتوقعه أوثانت !•

٢ ــ من الظلم مع ذلك الزعم بأن الجمهورية العربية المتحدة لم تكن فى خاطر أوثانت سوى وسيلة للابتزاز السياسى • فان السكرتير العام للام المتحدة يعتبر بصفة خاصة ، نتيجة اهتمامه بمشكلة الهند الصينية « رجل العالم الثالث » هذا العالم الثالث الذى تحتل فيه مصر رغم ما تعانيه من تناقضات مكانا ممتازا •

والواقع أنه ينبغى ألا ننسى أوثانت قد صــحب قبل أن يتــولى منصبه الرفيع فى المنظمة العالمية بست سنوات السيد أونو (الذى كان صديق الدراسة فى الجامعة) الى مؤتمر باندونج الذى كان أول

مظاهره رسمية للتضامن السياسى بين الشعوب الافريقية الآسيوية المنتمية للعالم الثالث ••

وقد شهد الكولونيل عبد الناصر هذا المؤتمر والتقى فيه بأوثانت الذى سرعان ماتعاطف معه • ولكن هناك دولة كانت غائبة عن المؤتمر: هى دولة اسرائيل الشابة التى نجح الزعيم المصرى فى منع توجيه الدعوة اليها لحضوره ، والتى لم يكن السكرتير العام المقبل للأمم المتحدة يشعر تجاهها بأى عطف •

٣ ــ وأخيرا فقد كان هناك سبب خاص حمل أوثانت على الاذعان بحماسة غريبة للطلب الذى قدمه عبد الناصر لسحب قوات الطوارىء وهذا السبب هو رغبته فى • « تحطيم تراث همرشولد » ••

وأحد عناصر هذا التراث يتعلق بمهمة الأمم المتحدة ، لقد كان همرشولد يرى أن الأمم المتحدة منظمة تتجاوز مهمتها نطاق الحكومات بمعنى أن سلطاتها يجب أن تكون فوق الحكومات • أما أوثانت فكان يعارض هذا المفهوم معارضة ذات طابع شبه متيامیزبقى (وهو يشارك فى هذا وجهة نظر الجنرال ديجول) ، لانه يعتقد أن الدول الكبرى تستغل هذه المنظمة لقهر دول العالم الثالث• ولهذا فان الطلب الذى قدمته مصر بشأن سحب قوات الامم المتحدة من أراضيها فى أسرع وقت كان يعد فى نظره مظهرا بارزا لسيادة الوطنية فى كفاحها ضد السلطة التى تحاول الهيمنة على الحكومات • وكان أوثانت يعتقد عندما وافق على هذا الطلب انه يدعم قواعد القومية العربية ويحررها من اغلال « الغرب الاستعمارى » ••

ومن جهة أخرى فان اهتمام أوثانت بتدمير التراث الايديولوجى لسلفه بأى ثمن قد وجد فى النزاع الذى نشب بين نيجيريا وبيافرا فرصة جديدة لتطبيق وجهة نظره : فقد صرح مسيو « ك » بأن أوثانت كان يستطيع أن يعلن أن ابادة شعب بيافرا يشكل خطرا يهدد المحافظة على السلام وأن يوجه انتباه مجلس الأمن الى هذا الموقف

البالغ الخطورة • ولكنه لم يفعل ذلك ولن يفعله ، لانه يعتبر ذلك بمثابة تدخل فى الشئون الداخلية لاحدى الدول ، كما أن هذا يعنى الاعتراف للأمم المتحدة بسلطة تفوق سلطة الحكومات ، وهو ماكان يريده همرشولد ، ولكن أوثانت يرفضه ••

ومهما تكن الاسباب العميقة لموقف أوثانت ، ومهما يكن الحكم الذى ينبغى أن يصدر تجاه هذا الموقف ، فان ثمة نتيجة واحدة تفرض نفسها على هذا الموقف وهى • ان السكرتير العام للامم المتحدة قد تجاوز سلطات مهمته •

ان دور السكرتير العام لهذه المنظمة الدولية هو أن يحتفظ بأسبابه الخاصة لنفسه • أن أحدا لايطلب منه ان « يختار معسكره » دائما على العكس فان المطلوب منه هو أن يأخذ العالم كما هو وان يحاول تطويره والمحافظة على السلام فيه بأقصى قدر ممكن من العدالة • ان أحدا لايطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة أن يصنف دول الكرة الأرضية ، طبقا لخصائص شخصية ، الى دول « استعمارية » وأخرى « تقدمية » وان يوجه لبعضها اللوم وللأخرى المديح •

ولا يمكن بالاحرى لأحد أن يطلب من السكرتير العام قبول مخاطرة نشوب نزاع مسلح يرضى ، بما يسفر عنه من نتائج ، وجهة نظره الشخصية عن العالم ، عن السياسة ••

٣ ــ الغموض :

بعد أن وقع الخطأ ، ونشبت الحرب ، ألقيت على عاتق مجلس الأمن ، بعد فوات الأوان ، مهمة ايجاد تسوية يرضى عنها الجميع ، أو فى الحقيقة لايرضى عنها أحد ، فان أى حل وسط لايرتب عليه فى الواقع سوى الغموض •

فقد وافق مجلس الأمن بالاجماع يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ خلال جلسته رقم ١٣٨٢ على قرار ينطوى على تفسيرات متعارضة من جانب

أعضائه الدائمين ويتضمن بصفة خاصة المبدأين الرئيسين اللذين يجب أن تستوحياهما أية تسوية للنزاع الاسرائيلي العربى .

والنص الكامل لهذا القرار هو مايلى : ــ

ان مجلس الأمن ، اذا يعبر عن قلقه الذى لايزال يسببه له الموقف الخطير فى الشرق الاوسط .

واذ يشير الى الطابع غير المقبول المتعلق باستحواذ على أراضى عن طريق الحرب ، والى ضرورة العمل من أجل سلام عادل ودائم يسمح لكل دولة فى المنطقة بالعيش فى اطمئنان .

واذ يشير علاوة على ذلك أن جميع الدول الأعضاء بقبولها لميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالعمل طبقا للمادة ٢ من الميثاق .

١ ــ يؤكد أن تطبيق مبادىء الميثاق يقتضى اقرار سـلام دائم فى الشرق الأوسط ، وهذا ينبغى أن يشمل تطبيق المبدأين التالين :

(أ) سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من الأراضى المحتلة خلال الحرب الأخيرة .

(ب) وقف جميع نداءات الحرب أو جميع حالات الحرب ، واحترام والاعتراف بسيادة كل دولة فى المنطقة وسلامتها الاقليمية واستقلالها ، وحقها فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، بمنأى عن التهديدات أو أعمال العنف .

٢ ــ يؤكد من جهة أخرى ضرورة :

(أ) ضمان حرية الملاحة فى جميع الطرق المائية الدولية فى المنطقة .

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(جـ) ضمان السلامة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة بواسطة تدابير تشمل انشاء مناطق منزوعة السلاح .

٣ ــ يطلب من السكرتير العام أن يعين ممثلا شخصيا له للتوجه الى الشرق الأوسط بقصد انشاء والاحتفاظ بعلاقات مع الدول المعنية لتسهيل عقد اتفاق ومساندة الجهود التى ترمى الى عقد « تسوية سلمية » ومقبولة ، طبقا لنصوص ومبادىء القرار الحالى .

٤ ــ يرجو من السكرتير العام ان يقدم فى أسرع وقت ممكن الى مجلس الأمن تقريرا عن نشاط وجهود ممثله الخاص .

فماذا يرى رجال السياسة فى الطابع « الغامض » لهذا القرار ؟ لقد وجهنا اليوم السؤال التالى : ــ

ــ الا تعتقدون ان القرار الذى اتخذه مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٦٧ غير دقيق الى حد ما ، ان لم يكن غامضا ؟

١ ــ ميشيل حبيب ــ دلونكل :

ان القرار ليس غامضا الا بالنسبة لهؤلاء الذين لايريدون الالتزام به انه يهدف الى تخفيف حدة التوتر ، لقد اتضح من المسألة الفيتنامية انه من الممكن ايجاد حلول بمجرد قبول فكرة تخفيف حدة التوتر . وهكذا فانه من الممكن البدء بالجلاء عن الضفة الشرقية لقناة السويس واستئناف حركة الملاحة .

ويلاحظ الآن على العكس من ذلك فى اسرائيل وجود ميل نحو

تصعيد حدة الموقف وازدياد حدة المطالبة بالتوسع الاقليمى ، فكيف تريدون فى ظل هذه الظروف اقرار السلام ؟

وعلى العكس فانى ألاحظ أن الاجماع الذى تم فى مجلس الأمن بشأن هذا القرار لم يراع بما فيه الكفاية ، وانه لا الاسرائيليين ولا العرب أنفسهم قد استخلصوا كل النتائج الممكنة من هذا القرار أن الأمم المتحدة عندما وضعت هذه التسوية بذلت قصارى مالديها من جهود ، وأصبح من واجب الدول الأربع الكبرى الآن أن تعمل عن

طريق الضغط من أجل انجاح مهمة يارنج • أما فيما يتعلق باجـراء مفاوضات مباشرة بين العرب والاسرائيليين فانى لا أومن بذلك مطلقا •

٢ ــ كريستيان بينو :

« لقــد اجريت خــلال حياتى مفاوضات بشأن كثير من القرارات من هذا النوع فى مجلس الأمن ، وكل القرارات من هــذا القبيل • ذلك انه عندما يراد الوصول الى اتفاق فان النص يصــاغ بطـريقة ترضى الجميع ••

وفى هذه المسألة كانت توجد أيضا مشكلة الترجمــة الانجليزية : لقد كانت عبارات الترجمة الفرنسية أكثر تحديدا بالنسبة لاسرائيل أكثر من الترجمة الانجليزية لقد جرت مناقشــات كثـيرة حـول الكلمات ، والواقع انه كان ينبغى بالنسبة للامريكيين تسوية المشاكل أولا ثم الانسحاب بعد ذلك ، أما الروس فكانوا يرون عكس ذلك ، أى الانسحاب أولا ثم تسوية المشاكل فيما بعد •

٣ ــ لوى تيرنوار :

ان قرار نوفمبر ١٩٦٧ لايمكن أن يشكل فى حد ذاته نصا قابلا للتطبيق : انه يؤكد عددا معينا من المبادىء الجوهرية ، ولكن يجب أولا لكى يمكن تنفيذه أن يقبله الطرفان •

ان الاسرائيليين لايزالون حتى الآن يرفضون هذا القــرار برمته بشكل أو بآخر • ففى الوقت الذى كان العرب يعتبرون فيه الانسحاب من الأراضى المحتلة مسألة ينبغى تنفيذها أولا فان الاسرائيليين كانوا يطالبون بأن يتم تنفيذ البنود الأخرى التى تضمنها القــرار فى نفس الوقت ، بمعنى أن تنفذ جميع بنود القرار فى وقت واحد • ولكن عندما قبل العرب تحت ضغط الروس أن يتم فى نفس الوقت الانسحاب وتقــديم بعض الضــمانات التى يطالب بهــا الاسرائيليــون ، عاد الاسرائيليون فرفضوا التحدث عن القرار •!!

انهم يطالبون باجـراء مفاوضات مباشرة مع الدول العـربية أى يطالبون بالحل المستحيل .

والواقع أن المشكلة الأساسية هى أن الدول العربية تستطيع قبول وجـود اسرائيـل « كأمـر واقع » وليس « كواقع قانونى » ان مايستطيعون قبوله هو صلح قائم على الاذعان ، واذا ضمنت الدول الكبرى مثل هذا الصلح فانه يكون صلحا حقيقيا وربما دائما .

لقد تحدثت منذ شهر بالضبط[1] لمدة ساعة مع الرئيس اللبنانى شارل حلو وهو عربى مسيحى ويعتبر من العناصر المعتـدلة جدا ، وكان قد استقبل فى اليوم السابق مستر سكراتون المبعوث الخاص للرئيس نيكسون ، وقد قال لى الرئيس حلو انه حذر مستر سكراتون من أية فكرة تهدف الى فرض صالح قائم على الاذعان على العرب ، وقال له انه لايمكن مطالبتهم بقبـول شىء يبـدو لهم بمثابة انكار للعدالة نظرا لانهم يعتقدون أن دولة اسرائيـل قد أخـذت مكان الدولة الفلسطينية .

ويقع على الملك عبد الله أيضا جزء من المسئولية لأنه ضم خـلال حرب عام ١٩٤٨ منطقة الضـفة الغربية لنهـر الاردن ، ولكنك قد لاحظت أن الملك حسين وافق فى حديث له مع صحيفة « أوبزرفر » على أن تضم الضفة الغربية للاردن الى دولة فلسـطينية واسعة[2] وان كان قد نفى فيما بعد بدرجة أكبر أو أقل هذه الموافقة .

وسنكتفى بأن نوضح هنا بايجاز كيف أن غمـوض قرار مجلس الأمن وما فيه من تناقضات قد قضى على فرصة اجراء مفاوضات بين الأطراف المعنية .

---

(١) قابلنا تيرنوار يوم ٦ يناير ١٩٦٩ .

(٢) من الصعب أن يتخيل المرء قبول هذا التنازل من جانب حسين ملك الاردن ففى هذه الحالة ستنفصل مملكته عن جزئها الاكثر خصـوبة ، وسينخفض مستوى الملك الى مرتبه أمير الصحراء ! وفى الواقع أن مملكة الاردن لم تشعر قط فى الفترة ما بين عام ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ الى انها ستمنح سكان الضفة الغربية من الفلسطينيين أقل استقلال ذاتى داخل اطار بناء فيدرالى ، مثلا ...

ـ ان المبدأين الرئيسيين (وهما انسحاب القوات الاسرائيلية وانهاء حالة الحرب) اللذين يعتبر تطبيقهما شرطا أساسيا فى نظر قرار مجلس الأمن لأى سلام عادل فى الشرق الاوسط كانا منذ البداية موضعا لتفسيرات متناقضة ، فهل كان ينبغى تنفيذهما « على التعاقب » • (كما زعمت الدول العربية والاتحاد السوفيتى وفرنسا طويلا) أو على العكس « فى نفس الوقت » ، (طبقا لوجهة النظر الانجليزية والأمريكية والاسرائيلية) أى ربط الانسحاب من الأراضى المحتلة بتصريح مشترك بانهاء حالة الحرب ؟ وبعبارة أخرى هل ينبغى أن يكون انسحاب القوات الاسرائيلية هو مقدمة أية اجراءات تتعلق بعقد تسوية ؟ •

ان الترجمة الفرنسية لقرار مجلس الأمن تتحدث عن تطبيق « المبدأين التاليين » وهذا يلقى ظلا من الشك حول النظام الزمنى المتعلق بتنفيذ هذين المبدأين ويثير حالة من الغموض فى هذا الصدد• أما الترجمة الانجليزية للقرار فانها تقول : انه يجب تطبيق « كلا المبدأين التاليين » وهذا تعبير يختلف تماما عن التعبير الأول ويستبعد أى انسحاب مسبق •

ويبدو أن جميع الأطراف تقبل حاليا « تنفيذ الانسحاب وضمانات الأمن فى وقت واحد » ولكن شهورا ثمينة قد ضاعت •

ـ لقد كان القرار يتضمن « نصائح » لايمكن التوفيق بينها تماما فهو يشير الى الطابع غير المقبول لضم الأراضى عن طريق الحرب ، ثم يشير فى نفس الوقت الى حق كل دولة فى أن تعيش فى سلام داخل « حدود آمنة ومعترف بها » وهذا يعنى بوضوح الاعتراف لاسرائيل بالحق فى ضم بعض الأراضى •

ـ وينص أيضا قرار الأمم المتحدة على وقف أية حالة للحرب • ولكنه لم يلق أى ضوء على حالة عدم الحرب ، هل هى حالة السلام كما تتمثل فى الهدنة بالنسبة لحالة الحرب ؟

وهل هذا النوع من السلام هو الذى تقترحه الأمم المتحدة لتسوية نزاع عجزت ثلاثة حروب عن حله ؟

وهل يعتبر رفض مجلس الأمن النطق بعبــارة « معــاهدة صلح قانونية » بمثابة تأييد لوجهات النظر العربية القائلة ان توقيع معاهدة مع اسرائيــل يعنى الاعتراف بها ، وان هــذا الاعتراف يعنى انكار ما سبق أن أكده العرب من أن وجــود الدولة اليهودية ذاتها يعد عدوانها حيا ضد العالم العربى ؟.

ولكن موقف مجلس الأمن يتسم تجاه مثل هذه الحالة بالتناقض حيث أنه يوصى ضمن المبــادىء التى يقترح تطبيقهــا « بالاعتراف بسيادة كل دولة فى المنطقة » ..

ـ وهل ينبغى أخيرا الاشارة الى أن قرار الامم المتحــدة يدعو الأطراف المعنية الى التعاون للتوصل الى « تسوية سلمية ومقبولة » بينما لم يشر الى مؤتمر الخرطوم(1) ذاته الذى أقل ما يمكن القول بصدده أن نتائجه تتناقض مع أية محاولة لاجراء مفاوضات اسرائيلية عربية بأية صورة من الصور ؟ والواقع أن العرب قد اتخذوا فى هذا المؤتمر شعار « لا اعتراف باسرائيل ، لامفاوضات مع اسرائيل » .

ولاشك أنه يلاحظ أن غموض قرار مجلس الأمن يترك البــاب مفتوحا أمام جميع المحاولات . ولكن أوثانت ليس بالمفاوض الملهم غير المتحيز بعكس ماكان عليه الحال بالنسبة لهمرشولد ...

ويتبقى الأمل فى عمل الدول الكبرى : ولكن هل تستطيع أن تنسى مطامعها المتعلقة بالسيطرة وبسط النفوذ من أجل تحقيق سلام عادل ودائم ؟ ..

ليس هذا متوقعا بالمرة وكل مايمكن قوله هو ان النزاع الاسرائيلى العربى لايزال يعتبر بارومتر التعايش السلمى ، ولكن هذا البارومتر أثبت أنه « متقلب » .

---

(1) الذى انهى اعماله فى اول سبتمبر عام ١٩٦٧ .



خاتمـــة

أى لون من ألوان السلام ؟

« السلام ! ان المعاهدات الوحيدة
التى يمكن الوثوق بها هى تلك التى
تعقـد بين الافكار الخفية • ان كل
ما يعلن يعتبر مفتقرا الى أى مستقبل »

« بول فاليرى »

ان أى كتاب يوضع عن النزاع الاسرائيلى العربى لابد ان يختتم بنهاية حزينة مقرونة بعلامة استفهام •

اذن ماذا يمكن قوله عن الســلام فى منطقة تستطيع فيها القنابل المتفجرة القاتلة ان تجعل كل افتراض عديم القيمة ؟

لقد تركنا هذا السؤال لآخرين لكى يجيبوا عليه وقد يكون هذا نوع من الجبن من جانبنا ••

سؤال ــ الا تعتقدون ان اجراء مفاوضــات لاقرار الســلام فى الشرق الأوسط ينبغى بالاحرى ان يتم بين اسرائيل والفلسطينيين ، وليس بين اسرائيل والدول العربية ؟

١ ــ شارل بيرج :

ان هذا السؤال يشبه سؤال رجل وضع فى سجن ولا يقدم له فيه سوى قطعة من الخبز وماء بارد ، اذا كان لايفضل فى ظروف أخــرى الشمبانيا والكافيار وتناول الطعام فى معطم ماكسيم بباريس !•

ان الماركسيين لايستطيعون اصدار أحكام تجاه مسائل لايتحكمون فيها . فلماذا اختار بين الطاعون والكوليرا ؟

ان ما أتمناه هو أن تقع ثورة البروليتاريا فى الشرق الاوسط . وبدون ذلك فلن يكون هناك سلام ، لا فى الشرق ولا فى أوربا حيث من الممكن أن يشتعل اتون برلين غدا ..

اننى لايهمنى مطلقا أن تجلس منظمة فتح الى مائدة المفاوضات مع جولدا مائير ، فكلاهما لايمثل مصالح العمال الفلسطينيين والاسرائيليين ، أما الجناح الماركسى فى المنظمات الفلسطينية ، فلا يعرف شيئا عن الماركسية الا بقدر ما يعرفه عنها هوارى بومدين ، أو ما كان يعرفه بن بيلا . فكلاهما حارب من أجل الجزائر الجزائرية ولكن سياستهما تهدف الى اقامة دولة جزائرية بورجوازية .

ان الشيء الذى يهم هو جذور الشر ، أى العجز فى هذا الجانب أو ذاك عن اقامة مجتمع لاتثار فيه مشاكل الحرب ..

هل تريد أن تقول اننى رجل غير عملى ؟ اذن فقد كان لينين غير عملى عندما كان يعقد فى أعوام ١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ١٩١٦ مؤتمرات لم تكن يحضرها سوى أربعة وعشرين أو خمسة وعشرين شخصا كانوا يمثلون ، كما يقولون الحركة الدولية ، ومع هذا فقد قامت ثورة اكتوبر ..

ان الدعاة الجماهيريين القلائل الذين كان الصحفيون الجادون يتحدثون عنهم باستخفاف فى الصحف الفرنسية قبل شهر مايو ١٩٦٨ أصبحوا فجأة هم المسئولون عن حوادث التخريب الوطنى والدولى.

واذا كان هؤلاء الذين يكتبون الكتب قد أصابهم العمى السياسى فانه لايسعنا أن نفعل شيئا باسم الواقعية . اننا لسنا واقعيين ، دائما نحن مناضلون شيوعيون .

وبعد ذلك كله اذا حدث واستقر السلام غدا فى الشرق الاوسط

فانى سوف أعتبر ذلك عنصرا ايجـابيا ، وانى احتفظ لنفسى بحق اصدار حكم على هذا السلام ، ولكن عندما يتحقق •

وليس لدى دروس أعطيها للفلاحين الفيتناميين ، ولا تدعنى أقول انى لا أبالى بالسلام والحرب فى الشرق الأوسـط أو فى أى مكان آخر • ولكن الحرب ضرورة للامبريالية •

٢ ــ جاك دوهاميل :

يجب أن يكون هناك سلام بين اسرائيل والدول العـربية ، ولكن يجب أيضا أن يتحقق السلام بين شعب اسرائيل والشعب الفلسطينى•

والافتراض الأول يتوقف بصفة أساسية على تغير موقف الدول العربية التى لاتزال معظمها ترفض من الوجهة الرسـمية على الأقل وجود الدولة اليهودية ذاتها • ان هذا الوجود يجب أن يتم الاعتراف به بطريقة مؤكدة كما ينبغى ضمان هـذا الاعتراف • وهـذا هو الشرط الذى لايمكن بدونه ان يتحقق السلام مطلقا •

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين الشعبين اليهودى والفلسطينى فانهـا مسألة تعايش ، وتجربة ، ان السلام بين اسرائيل والفلسطينيين شىء جوهرى ولكن لا اعتقد انه يمكن ترجمته بوسـائل دبلوماسـية ، وانما يترجم بوسائل اجتماعية ••

٣ ــ جان ــ لوى تيكسييه ــ فينانكور :

ليس من المتوقع عقد اتفاق بين اسرائيل والدولة العربية ، فهى لن تقبل أى اتفاق • اللهم الا اذا حدثت ثورة ضد الحكام ••

ولكن تحقيق السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين شىء ممكن • ويكفى ان تقوم الدول الكبرى ، تحت رعاية الأمم المتحدة ، بتسهيل عقد اتفاق يهدف الى توطيد الفلسـطينيين فى الضـفة الغربية لنهر الاردن •

ان بعض الفلسطينيين سيرفضون بالطبع ترك البلاد التى يقيمون فيها حاليا ، مثل العراق ولبنان ومصر .. الخ . ولكن الأمر ممكن بالنسبة للباقين الذين يبلغ عددهم نحو مليون لاجىء . ان العرب الفلسطينيين سيكونون سعداء اذا وجهت اليهم النصائح ، وتم تأهيلهم وحصلوا على بعض الأموال . .

٤ ــ دافيد روسيه :

من الواضح أن اجراء مفاوضات بين الاسرائيليين والفلسطينيين يعتبر حلا للمشلكة ، ولكنى لا أعرف كيف يمكن أن يبدأ هذا الحل اذ من المستحيل الخروج من دائرة العنف الموجودة حاليا فى الشرق الأوسط الا بانشاء دولة علمانية ، وليس دولة عنصرية . ان الدولة العلمانية الوحيدة فى الشرق الأوسط هى سوريا .

ان اسرائيل لاتستطيع فى المدى الطويل ان تخرج منتصرة من الموقف الا بتحطيم الاسطورة الصهيونية وما يقترن بها من مفاهيم فولكلورية .

ان الفلسطينيين والاسرائيليين يجب أن يكون لهم فى اسرائيل نفس الحقوق وان يتقاسموا نفس المسئوليات . ان اسرائيل سيكون فى استطاعتها بمجرد التخلص من مهزلة الاسطورة أن تدمج الفلسطينيين المطرودين فى نطاق دولتها لانها تملك الحيوية والنشاط الكفيل بتحقيق ذلك . وهذا لم يتم فقط عن طريق اعطائهم أراض ، بل أيضا بتعليمهم وتكوينهم مهنيا واتاحة الفرصة لهم للحصول على مراكز اجتماعية حقيقية . ان هذه هى كل مشكلة السلام ، وليس غير ذلك.

٥ ــ ريمون تريبوليه :

من الصعوبة بمكان ان تستطيع اسرائيل اجراء مفاوضات مثمرة مع الفلسطينيين لقد سبق أن أثير جدل حول قيمة الاتفاقيات التى يمكن أن تعقدها الدولة اليهودية مع الدول العربية ، حتى ولو صدقت

الدول الكبرى على مثل هذه الاتفاقيات أو كان هناك اتفاق مسبق بينها فى هذا الصدد • وبالأحرى فان الأمل فى اجراء مفاوضات فلسطينية سيكون محدود النطاق للغاية ومثل هذه المفاوضات ينبغى أن تحصل على موافقة الدول العربية •

ولكن مع هذا فان الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى موجود وهو يتحقق على « الأرض » مع هذه المجموعة الفلسطينية أو تلك ••

٦ ـ وينيه اندريو :

لايبدو لى أنه من الممكن تحقيق سلام اسرائيلى فلسطبنى فى القريب العاجل طالما ظلت مثل هذه الفروق الكبيرة فى القوى التى تسمح لاسرائيل بأن تفرض شروطها • وعلاوة على ذلك فان اسرائيل تحتل أرضا ، تتبع دولا عربية أخرى • وأخيرا • وأخيرا فانه لن تتحقق تسوية نهائية طالما لم يتحقق الاعتراف بالحقوق الوطنية لعرب فلسطين •

ولكى يمكن احراز تقدم فى هذا المجال فانه ينبغى التعجيل بتطبيق قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وهو القرار الذى قبلته الدول العربية • ان مثل هذا الاجراء يمكن ان يؤدى الى حل يطابق مصالح الشعوب العربية والشعب الاسرائيلى على السواء •

٧ ـ جاك سوستيل :

ان النوعين من السلام أمر ضرورى • ان مشروع التقسيم الصادر فى عام ١٩٤٧ ، كان ينص على انشاء دولة يهودية للشعب اليهودى ودولة فلسطينية للشعب الفلسطينى • واذا كان هذا المشروع لم يتحقق فان هذا يرجع فقط الى أن الملك عبد الله ملك الاردن قد ضم الجزء العربى من فلسطين الى بلاده خلافا لما كان ينص عليه قرار

الامم المتحدة • أى أن دولة عربية هى التى حرمت الفلسطينيين من دولتهم ••

ومن الممكن جدا أن تتصور اليوم تنفيذ قرار الامم المتحـدة بعد تأخر دام اثنين وعشرين علما وذلك بأن تقول للفلسطينيين : « اقيموا دولتكم فى غرب الاردن ، واربطوها اقتصاديا باسرائيل وعيشوا معها فى سلام » ••

أما الدولُ العربية المشتبكة فى حرب مع اسرائيل فانه ينبغى عليها أن تعترف رسميا بالدولة اليهودية وأن تضع حدا لحالة الحـرب • والسلام لن يتحقق الا بهذا الثمن المزدوج •

سؤال : هل السلام بين اسرائيل والعالم العـربى يجب بالضرورة أن يكون سلام اذعان ؟ •

١ ــ الكسندر سانجينيتى :

لن يكون هناك سلام • والموقف الحالى سوف يسـتمر • ومثل هذا الموقف موجود فعلا فى برلين وفى كوريا •

ان مؤتمرات الدول الأربع الكبرى •• الخ • شىء جميل جـدا ولكن يجب أن تكون هناك مشروعات ••

ولكن الفرنسيين يعتقدون دائما انه يمكن وقف سـير التـاريخ بواسطة ورقة عليها طابع دمغة ومختومة بثلاثة اختام • •

٢ ــ جاك ديهاميل :

اعتقد اننا ، نحن الاوربيين ، لانستطيع أن ندرك مدى مايشعر به العرب من اهانة أصابت كرامتهم • والواقع أنهم سيظلون لفترة طويلة يحسون بالظلم والسـيطرة اللذين • عانوا منهما سـواء من جانب اسرائيل أو من جانب الامم المتحدة •

ان هذا الاحساس لن يزول قبل أجيال من الحياة المشتركة ، ولكنى شخصيا أومن ، فى نهاية المطاف ، بأن التعايش ممكن بين الناس مهما تكن دياناتهم وجنسيتم ، وذلك بشرط ألا يكون هناك من يثيرونهم ويستفزونهم •

٣ ـ جاستون موزفيل :

لقد تحقق الاندماج والتطور فى جزر الانتيل ـ موطن رأسى ـ عندما ألغى الرق فى عام ١٨٤٨ وجلبت فرنسا اليها حضارتها • ولم تكد تنقضى خمسون عاما حتى برزت نخبة من سكان شعب الانتيل ، وأصبح أبناء وأحفاد العبيد على قدم المساواة ، مع أخوتهم الفرنسيين البيض ••

فلماذا لانشهد تطور مماثلا فى الشرق الأوسط ؟ لن يكون هناك سلام قائم على الاذعان اذا تم اقناع العرب بالنظر الى المشكلة من زاوية تطور مجتمعهم ، ومستقبل أبنائهم •• الخ بدلا من التمسك بمناهضة السامية ، وبالعنصرية ، وبالمعارضة السياسية ، وكذلك على ضوء تحسين مصيرهم الذى يمكن أن ينبثق من التقارب مع اسرائيل، لاسيما وأن كثيرا من العرب أصبحوا يدركون مدى التقدم الذى طرأ على حياتهم داخل الدولة اليهودية •

وعندئذ سوف يسود السلام القائم على الوفاق والصداقة بين هذين الشعبين اللذين يعبران عن السلام بنفس اللفظ تقريبا : «سلام» و « شالوم » •

سؤال : هل ينبغى فرض السلام فى الشرق الاوسط بواسطة الدول الأربع الكبرى ؟

١ ـ كريستيان بينو :

اننى لا أؤمن مطلقا بأى « قرار مشترك » تصدره الدول الأربع الكبرى ••

فلا الروس ولا الامريكيون سوف يقبلونه • اننى أعرف هذا لانهم قالوا لى ذلك • انهم لن يقبلوا الا مفاوضات ثنائية بين الدولتين الأعظم ، وهذا هو أقصى ما يمكن توقعه •

لقد أعطت فرنسا لنفسها منذ أحداث يونية ١٩٦٧ أهمية لم تكن تملكها • لقد حطت من شأنها تجاه الولايات المتحدة عندما أرادت أن تشن حربها الصغيرة ضد الدولار • ان الامريكيين ينحون علينا باللائمة لسببين :

(١) لأن الحكومة الفرنسية لم تشترك مطلقا فى ذكرى نزول الحلفاء فى نورماندى •

(٢) ولأن فرنسا الديجولية قامت بشن حرب ضد الدولار •

وفيما عدا ذلك فان الأمريكيين لايهمهم شىء • انهم لاينتقدون ديجول لأن ديجول لايضايقهم • ولعل هذا هو مايثير غيظ الجنرال • وهذا سر رغبته فى التفاوض مع « الدول الكبرى » بشأن السلام فى الشرق الأوسط ••• الخ ••

٢ ــ جاك سوستيل :

ان السلام لايفرض ، وما يقال خلاف ذلك غير صحيح •• ان ماتستطيعه الدول الكبرى هو أن « تلعب دور الناصح لدى العرب » ولو قام الروس بتهدئة العرب ، بدلا من اثارتهم ، فان هذا يكون بالتأكيد أفضل •

واذا قام الامريكيون من جانبهم بافهام زعماء اسرائيل أن مساعدتهم ماديا وأدبيا لها حدود •• فان هذا سوف يحملهم على توخى الاعتدال ••

٣ ــ جاك دوهاميل :

« ان السلام لا يمكن فرضه بواسطة الدول الكبرى ، ولكنى أومن بامكان القيام بعمل منسق بواسطة من تسمى الدول « الأربع » الكبرى ، وان كانت فى الحقيقة ليست سوى « دولتين » عظيمتين •

« ان دور الولايات المتحـدة هو أن تقنع اسرائيل بالجـلاء عن الأراضى العربية المحتلة • ودور الاتحاد السوفيتى هو أن يقوم باقناع الدول العربية بقبول الاعتراف باسرائيل •

« ينبغى أن نجعل أعمالنا فى نطاق الأمم المتحدة • ويجب الكف عن القيام بأعمال منفردة ومسرحية (ففرنسا مثلا تتصرف كدولة صغيرة وان كانت تقوم بضجة كبيرة ، بينما الدولة الحقيقية يجب عليها أن تسعى لكى يكون تدخلها فعالا !!!) ويجب أن نعمل من أجل مجىء هذه المرحلة النهائية للمفاوضات التى تؤدى الى عقد اتفاق مباشر بين الأطراف المعنية • ولنضمن بعد ذلك هذا الاتفـاق • ان هـذا هو ما ينبغى ان تقوله الدول « الكبرى » لبعضها وان كان بعضها ليس كبيرا حقا ! »

٤ ــ جاستون • موزفيل :

« ان السلام لا يأتى أبدا من الخـارج ! ان المرحلة الأولى لأية تسوية يجب أن تتضمن مفاوضات بين الأطراف المعنية وحدها • ان الدول الأربع الكبرى لاتستطيع الاهتداء فى عملها الا على ضوء الخطوط الرئيسية لحل تتوصل اليه اسرائيل والعرب أنفسهم ، وليس العكس • ان كل ما يبدو لأى من الطرفين على انه شىء « موحى به » ، ولا أقول « مفروضا » سيكون مصيره الفشل •

« واذا كانت الدول الأربع الكبرى تتصور ــ وهـذا ليس هو احساس على أى حال ــ انها تستطيع ان تفرض حلا على اسرائيل ، فانها انما تضيع وقتها ! ذلك ان اسرائيل لن تقبله ••• »

وليسمح لنا القارىء بأن نتركه عند وجهة النظر هذه التى لا تنتمى الى التحليل السياسى وانما الى الحكايات الشرقية ، لقد كان هذا هو الرد الوحيد الذى أراد السفير جلبير أن يجيب به على الأسئلة التى وجهناها اليه بشأن فرص التوصل الى سلام بين الاسرائيليين والعرب•

انها حكاية بدون شك ، ولكنها أقرب الى الحقيقة من كثير من الافتراضات :

« أية مفاوضات اسرائيلية عربية ؟ اننى أحيلك على العالم العربى • انه عالم يعطيك الصورة الحقيقية التى تريدها • لقد هزم العرب ثلاث مرات •• ومع ذلك فهم لا يريدون الاعتراف بالهزيمة !!!

« من المستحيل أن أجيب على سؤالك الا بحكاية أرويها لك كيف يمكن التحدث عن السلام •• الخ دون ان ندرك ان الحضارة الصينية مثلا قريبة جدا من حضارتنا • أما الاسلام فهو غير ذلك • ان العالم يتغير ولكن شبه الجزيرة العربية لا تزال تعيش كما كانت تعيش فى القرن الخامس !

« فى نهاية حملة السويس ظهرت فى العالم العربى قصة على غرار قصص « الف ليلة وليلة » الجميلة ••• وملخص هذه القصة أن ضابطا سوريا شابا برتبة ملازم أخذ قنبلة ووضعها بين ذراعيه ثم قذف بنفسه (والله وحده يعلم كيف أمكنه أن يفعل ذلك) فى مدخنة الطراد « جان ــ بار » التى كانت ترسو فى ميناء بور توفيق ، وبهذا تمكن من نسف سفينة حربية فرنسية !

« وقد انتشرت هذه الحكاية فى صفوف الجيوش العربية الى درجة ان الحكومة الفرنسية اضطرت لكى تحطم هذه الاسطورة ، الى دعوة الضباط المصريين الذين كانوا أسرى لديها لزيارة ميناء طولون الفرنسى لكى يشاهدوا الحقيقة •

« هل تعرف ماذا كان رد الفعل لدى هؤلاء الضباط ، وخاصة لدى ضابط مصرى برتبة لواء ؟ لقد قالوا : « نعم ••• لقد أرونا الطرادة « جان بار » ولكن لديهم عدد كبير من هذا النوع بالتأكيد » !!!

« لقد قال لنا الضباط المصريون فى عناد اننا وضعنا على سفينة حربية أخرى نفس اسم وأرقام الطرادة « جان ــ بار » ولم يسعنا الا الصمت على مضض •

ان البحرية البريطانية تنشر فى كل عام على نفقتها كتـابا توضع فيه كل التفاصيل المتعلقة بأسطول كل دولة . ولكن هذا ليس له أية أهمية فى نظر العرب ، فهم يقولون : ان مثل هذه الكتب تصنع كما يريد أصحابها أن تكون ...

« والنتيجة . انه أصبح الآن فى دمشق شـارع باسم الضـابط السورى المذكور والعالم العربى كله يعتبر هذا الضابط بطلا .

« وعلى هذا فانك عندما توجه الى أسئلة عن السلام بين اسرائيل والعرب فانه لا يسعنى الا أن اسألك بدورى : أى سلام تقصد ؟ .

ملحـــق

خطاب من بيير منديس ـ فرانس

باريس فى ١٨ مارس ١٩٦٩

سيدى العزيز :

لقـد تلقيت خطابك المؤرخ ١١ مارس • ومن الصـعب فى نطاق خطاب بسيط معالجة المشاكل المتشعبة الأطراف التى أثرتها فى قائمة اسئلتك ، فهى فى حاجة الى كتاب حقيقى ، وهو ما سوف نضعه ، وانى ليسرنى مقدما ان اقرأ ما ستكتبه عن هذه المشاكل التى تهمنى كما تهمك •

والواقع ان هذه المشـاكل ذات جوانب سـيكولوجية وجوانب سياسية على السواء ، وهذا هو ما يجعلها واسعة المدى وصـعبة فى نفس الوقت • ولست أعتقـد أنه يوجـد ما تسـميه بالامبرياليـة الاسرائيلية ، ولكن الرجال والنساء الذين يعيشون فى اسرائيل تعودوا منذ سنوات عديدة ، قبل وبعد عام ١٩٤٨ ، على الاحسـاس بأنهم مهددون والشعور بأنهم فى خطر • ومن الطبيعى أن يبحثوا عن الأمن الذين يساورهم شعور يكاد يكون أشبه بالمرض بأنهم فى حاجة اليه (وهذا شىء مفهوم) • وفى مثل هذه الظروف فانه اذا وقعت بين أيديهم أراضى ، فان عـددا كبيرا منهم يتردد فى السـماح لأحـد باستردادها منهم فى الوقت الذى لا تقدم لهم فيه أية ضمانات مقابل ذلك • ومع هـذا فان العقلاء فيهم يعرفون أن السـلام ، السـلام الحقيقى والمضمون ، أفضل من المواقع العسكرية • لقد تأثرت جدا بالتصريح الأخـير الذى أدلى به بن جـوريون ، وهو تصريح غير مشكوك فيه ، والذى قال فيه ان « السلام أفضـل من الأراضى »

وانني على يقين من انه اذا عرضت على الاسرائيليين تسوية طيبة فانهم فى أغلبيتهم الكبرى، سوف يتخلون بدون صعوبة حقيقية عن الأراضى التى يحتلونها حاليا والتى يتهمون من أجلها بالامبريالية •

وفى مقابل ذلك فان الدول العربية يساورها احساس عميق بالاهانة والمذلة بسبب هزيمتهم فى ثلاثة حروب متتالية • وهذا ليس من شأنه أن يؤدى الى تسويات معقولة بل بالأحرى الى مواقف عاطفية • ان المسئولين والزعماء السياسيين قد يدركون يوما ما ان التوصل الى تسوية هو شيء تقتضيه الضرورة والحكمة معا • ولكن الجماهير العربية التى الهبت حماستها الى درجة الغليان خلال سنوات طويلة من التطرف والتعصب الوطنى والديماجوجية لن تقبل بسهولة أى توازن جديد وربما سوف تعتبر ذلك ما اطلقت عليه اسم « السلام القائم على الاذعان » أى السلام الذى سوف تأمل هذه الجماهير تحطيمه فى أول فرصة تتاح لها • وعلى هذا فانه لا بد أن يمضى زمن طويل قبل أن تلتئم الجروح • فاذا أمكن أن تهدأ الاحقاد بالتدريج خلال فترة طويلة من السلام وتطور العلاقات فى الميدان الاقتصادى مثلا ، فان الأمور قد تستقر فى نهاية المطاف • ولكن الموقف سيظل هشا وقابلا للانهيار لفترة طويلة من الزمن •

وهذا القول لا ينطبق فقط على الدول العربية وجيران اسرائيل وانما ينطبق أيضا بصفة خاصة على جيل من الفلسطينيين الذين يشعرون بأشد المهانة بسبب استمرار تجاهلهم وعدم الاعتراف بهم من جانب الحكومات العربية التى يخضعون لها بدرجة أو بأخرى • لقد استخدموا كأداة سياسية بواسطةهذه الحكومات أو بواسطة الاحزاب المتطرفة وانتهى بهم الأمر الى الاعتقاد بأن أحدا لا يهتم حقا بمصيرهم • وفى نفس الوقت روجت بينهم أشد الحملات التى تهدف الى اثارتهم واستفزازهم فلا عجب اذن بعد عشرين عاما ان يصبح شبابهم فى الحالة التى نشهدهم عليها •

والخلاصة انمجموع هذه المعطيات لا تبعث على الرضى والطمأنينة

ورغم هذا فانى لا أعتقد أنه يجب تأييد أى حل يقوم على تسـوية (تفرضها الدول الكبرى) ان مثل هذه التسوية وان كانت تنطوى على حل قانونى مؤقت فانها سوف تسفر عن أشد مشاعر الحقد أكثر من أى وقت مضى ، وخاصة تجاه الدول الكبرى ذاتهـا ، وتجـاه الحكومات العربية التى سوف تتهم بالخضوع والاذعان ، وكذلك تجاه الحكومة الاسرائيلية التى لن تكون قـد حققت اسـتقلالا أو سيادة حقيقية .

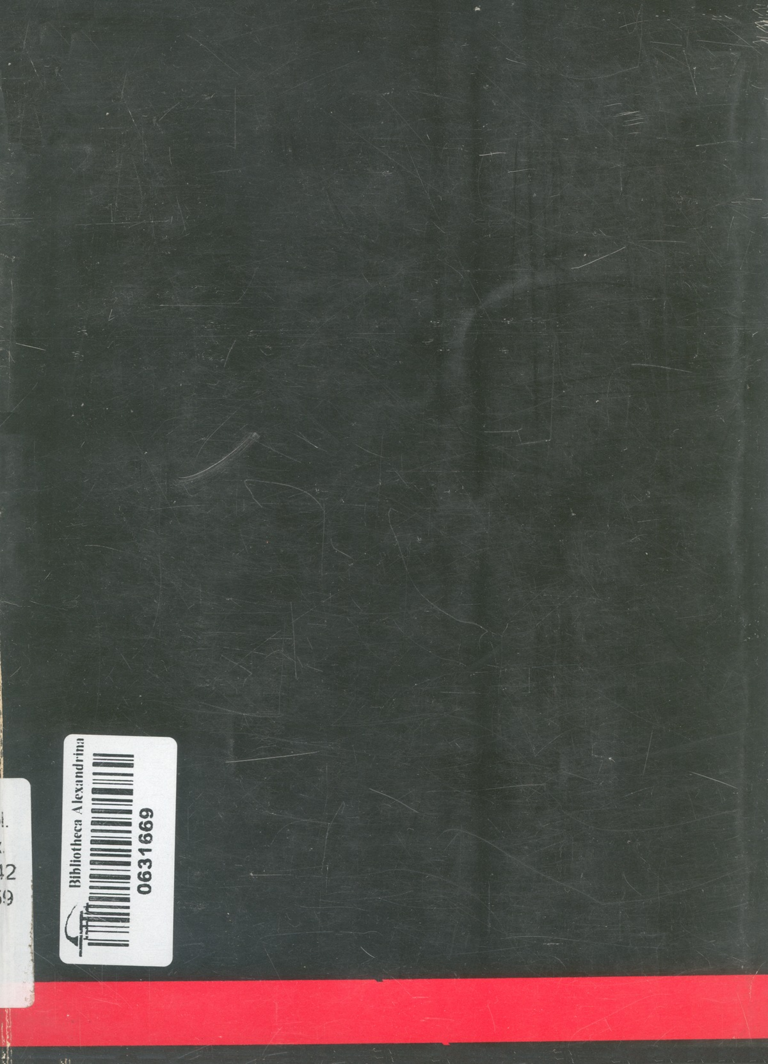
ويبدو لى بصفة عامة ان تدخل الأمم المتحدة كوسـيط يمكن أن ينطوى على قدر أقل من المهانة وايذاء الكرامة سواء بالنسبة للدول العربية أو لاسرائيل .

وانى لأعتذر لأنى لم أستطيع الاستطراد فى معالجة هذه النقـاط المختلفة التى تحتاج لايضاحات أكثر اسهابا . ولكنك تعرف مدى تعقد هذه المشكلة وتدرك انه ليس من الممكن حقا تلخيصها فى بضعة سطور ولتتقبل ياسيدى العزيز ، أصدق تحياتى الودية .

عن : بيير منديس فرانس
توقيع : أ . ميزى

انتهى




Bibliotheca Alexandrina
0631669